جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

جهود كمال بشر في الدرس اللغوي الحديث

إعداد الطالب
بدر سند السميحيين

إشراف
الأستاذ الدكتور عبدالقادر مرعي الخليل

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
اللغة العربية/ اللغة والنحو

جامعة مؤتة، 2012

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب بدر سند السمحيين الموسومة بـــ:

جهود كمال بشر في الدرس اللغوي الحديث

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. عبدالقادر مرعي الخليل		2012/05/17	مشرفاً ورئيسا
د. عادل سلمان البقاعين		2012/05/17	عضواً
د. منصور عبدالكريم الكفاوين		2012/05/17	عضواً
د. سيف الدين طه الفقراء		2012/05/17	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. عبدالفتاح خليفات

جامعة مؤتة عمادة الدراسات العليا

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :99-03/2372380
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

أهدي هذا الجهد :

إلى من أسس ونصح وأرشد .... جدي .

إلى من غرس الغرس ورعاه .... أبي .

إلى من دعت لي والناس نيام .... أمي .

إلى من أفتخر بهم ويفتخرون بي .... أشقائي .

إلى كل من تمنى لي التقدم .

بدر سند السميحيين

الشكر والتقدير

أتقدم بخالص الشكر والعرفان من أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبدالقادر مرعي، على قبوله الإشراف على رسالتي، وعلى ما بذله من جهد وتوجيه متواصلين مدَّة إشرافه على الرِّسالة، وتقويمه ما اعوج منها بملاحظاته القيمة.

كما أتقدَّم بجزيل الشكر والعرفان لأعضاء المناقشة الأفاضل، الدكتور سيف الدين الفقراء، والدكتور عادل بقاعين، والدكتور منصور كفاوين، على تكرمهم بقبول مناقشة هذه الرِّسالة وإبداء ملاحظاتهم القيمة .

بدر سند السميحيين

فهرس المحتويات

الملخص

جهود كمال بشر في الدرس اللغوي الحديث

بدر سند مليح السميحيين

جامعة مؤتة 2012م

تبحث هذه الدِّراسة في الجهود اللغويَّة عند كمال بشر، الذي يعد من أوائل علماء اللغة المحدثين الذين درسوا علم اللغة في الجامعات الغربية دراسة متخصِّصة، أفاد منها في دراسته للغة العربية، فتناول اللغة العربية من منظور حديث.

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. أمَّا التمهيد فيتحدَّث عن حياة كمال بشر، وأعماله ومؤلفاته وبحوثه.

وتناول الفصل الأول المستوى الصوتيَّ، بجانبيه الفوناتيكيِّ والفنولوجيِّ. وقد شمل المستوى الفوناتيكيُّ الحديث عن الأصوات الصامتة والصائتة، وجهاز نطقها، ومخارجها، ووصف هذه الأصوات من حيث الجهر والهمس، والشِّدَّة والرَّخاوة، وغيرها من صفات متفرقات. أمَّا المستوى الفنولوجيّ فتناول الحديث عن الفونيمات والمقاطع، وما يصاحبها من أحوال صوتيَّة، كالنَّبر والتَّنغيم والفواصل الصوتيَّة وغيرها.

أمَّا الفصل الثاني، فشمل الحديث عن المستويين الصَّرفيِّ والنَّحويِّ. فالمستوى الصرفي تناول بعض القضايا الصرفية التقليدية التي أعاد بشر النظر فيها، وتناولها من منظور حديث، مخرجًا بعضها من دائرة الصرف، وشمل كذلك الحديث عن همزة الوصل، التي كان لبشر رأيٌ خاصٌّ فيها. أما المستوى النَّحويُّ، فقد قلَّت جهود بشر في هذا المستوى، وعلى الرغم من قلة جهوده النحوية تحدَّث عن المسائل النحوية من منظور حديث، يقوم على مناقشة القضايا النحوية التقليدية من منظور علم اللغة الحديث

أمَّا الفصل الثالث والأخير، فقد تناول المستويين المعجميَّ والدَّلاليَّ . فالمعجميُّ يجعله بشر قسمًا من أقسام علم الدَّلالة، وشظيَّة من شظاياه. أمَّا المستوى الدَّلاليُّ، فقد شمل فيما شمل الموضوعات الآتية: اللغة مفهومها وماهيتها ونشأتها وعلاقتها بالمجتمع، علم المعنى (السيمانتيك)، والحديث عن اللفظ والمعنى .

وأمَّا الخاتمة، فتضمَّنت مجمل النتائج التي توصلت إليها الدِّراسة.

Abstract

Kamal Bishr's efforts in modern linguistic lesson

Bader Sanad AL-Smeiheen

Mu`tah University, 2012

This study discusses the linguistic efforts of Kamal Bishr, who was one of the earliest scholars studying linguistics, in specific manner, in west universities, benefited from this study; he studied the language in modern manner. This study consists of introduction, three chapters and conclusion. The introduction discusses his life, books, researches and his achievements.

The first chapter talks about the phonetic level including phonetics and phonology, Phonetics concentrates on vowels, consonants, plosives, fricatives, voiced and voiceless sounds. It also talks about phonology concentrating on phonemes and syllables containing stress, simplicity and pitch.

The second chapter is about the morphology dealing with some traditional morphological issues studied by Kamal Bisher. This chapter also talks about syntax level talking about syntactic issues in modern manner depending on modern linguistics.

The third chapter deals with semantic and lexical level, according to Bishr semantics includes lexical level. The semantic level includes the language concept, its substance, its origin and its relation with society .The conclusion contained the results of this study.

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، ولا مُوفِّق إلا الله، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله، وبعد.

فتبحث هذه الدراسة في جهود كمال بشر في الدرس اللغوي الحديث، وقد اخترت هذا الموضوع بتوجيه من أستاذي القدير الأستاذ الدكتور عبدالقادر مرعي. وبالنظر في مؤلفات كمال بشر وبحوثه، وجدته أنه من أصحاب الفضل الأوائل الذين خدموا اللغة العربية، ودرسوها من منظور علم اللغة الحديث ، فقد كان كمال بشر من أوائل علماء اللغة العربية المحدثين الذين درسوا علم اللغة الحديث في الجامعات الغربية، فاتسعت جهوده اللغوية حتى طالت مستويات علم اللغة جميعها: صوتها، وصرفها، ونحوها، ومعجمها، ودلالتها.

ونظرًا لهذه الجهود التي بذلها كمال بشر، وأسوةً بغيره من أقرانه المحدثين، ارتأيت أن يكون موضوع دراستي عن جهوده اللغوية. فقد دُرِسَتْ جهود غير واحد من اللغويين المحدثين، أمثال: إبراهيم أنيس، ورمضان عبدالتواب، وتمام حسان، وغيرهم.

وعلمت من خلال الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) أنَّ هناك دراسة حول السيرة الذاتية لكمال بشر بعنوان (كمال بشر مسيرة وتاريخ)، تحدث فيها مؤلفها محمد محمود القاضي عن ولادة بشر ونشأته، وتعلمه وأعماله، وشيوخه وتلاميذه، ومواقفه وإسهاماته، وصفاته وأخلاقه، مع ذكر موجز لكتبه وبحوثه. وهذا الكتاب لم تتسنَّ لي رؤيته.

وقد استندت في دراستي هذه إلى المنهج الوصفي، الذي يقوم بجمع المادة من مؤلفات بشر وبحوثه، والقيام بوصف هذه المادة، واستنتاج الظواهر اللغوية التي قال بها بشر، ورصد الجهود التي بذلها في الدَّرس اللغويِّ الحديث.

وقد جاءت الدِّراسة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. أمَّا التمهيد فيتحدَّث عن حياة كمال بشر، وتعلمه وأعماله، وأهمِّ إسهاماته العلمية، وذكر المناصب الإدارية والأكاديمية التي نُصِّب فيها، بالإضافة إلى عرض مؤلفاته وبحوثه التي وقف عليها الباحث.

وقد تناول المستوى الصوتيُّ، بجانبيه الفوناتيكيِّ والفنولوجيِّ. وقد شمل المستوى الفوناتيكيُّ الحديث عن الأصوات الصامتة والصائتة ،وجهاز نطقها، ومخارجها، و وصف هذه الأصوات من حيث الجهر والهمس والشِّدَّة والرَّخاوة، وغيرها من صفات متفرقات. أما المستوى الفنولوجيِّ فتناول الحديث عن الفونيمات والمقاطع، وما يصاحبها من أحوال صوتية، كالنَّبر والتَّنغيم والفواصل الصوتية وغيرها.

أمَّا الفصل الثاني، فتناول الحديث عن المستويين الصَّرفيِّ والنَّحويِّ. فالمستوي الصرفيُّ تناول بعض القضايا الصرفية التقليدية التي أعاد بشر النظر فيها، وتناولها من منظور حديث، مخرجًا بعضها من دائرة الصرف، وشمل كذلك الحديث عن همزة الوصل، التي كان لبشر رأيٌ خاصٌّ فيها. أما المستوى النَّحويُّ، فقد قلَّت جهود بشر في هذا المستوى، وعلى الرغم من قلة جهوده الصرفية فقد تحدَّث عن المسائل النحوية من منظور حديث، يقوم على مناقشة القضايا النحوية التقليدية من منظور علم اللغة الحديث.

وأمَّا الفصل الثالث والأخير، فقد تناول المستويين المعجميَّ والدَّلاليَّ. فالمعجميُّ يجعله بشر قسمًا من أقسام علم الدَّلالة، وشظيَّة من شظاياه. أمَّا المستوى الدَّلاليُّ، فقد شمل فيما شمل الموضوعات الآتية: اللغة مفهومها وماهيتها ونشأتها وعلاقتها بالمجتمع. علم المعنى (السيمانتيك)، والحديث عن اللفظ والمعنى.

وأمَّا الخاتمة، فتضمَّنت مجمل النتائج التي توصلت إليها الدِّراسة.

التمهيد:

ولد كمال محمد علي بشر بمحلة ، دياي مركز دسوق ، محافظة كفر الشيخ، عام 1921م .حفظ القرآن وجوّده بالكُتّاب، والتحق بمعهد دسوق الديني. ولما أنهى المرحلة الابتدائية فيه ، انتقل إلى المعهد الثانويّ الأزهريّ بالإسكندرية لعامين، ومنه انتقل إلى معهد طنطا لينال منه الشهادة الثانوية. التحق بعدها بدار العلوم جامعة القاهرة ونال منها ليسانس اللغة العربية والدراسات الإسلامية (تقدير ممتاز – أول الفرقة) 1946م. ومن ثمَّ حصل على دبلوم المعهد العالي للمعلمين في التربية وعلم النفس 1948م. ومن ثم ابتعث إلى إنجلترا للتخصص في علم اللغة، وفي جامعة لندن حصل على درجة الماجستير في علم اللغة المقارن 1953م، وعلى درجة الدكتوراه في علم اللغة والأصوات 1956م.

تدرج في مراتب التعليم الجامعي ، فعين مدرِّسًا بقسم علم اللغة بكلية دار العلوم سنة 1956م، ثم أستاذًا مساعدًا سنة 1962م،ومن ثُمَّ أستاذًا سنة 1970م. عين رئيسًا لقسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية بكلية دار العلوم من 1969م وحتى 1987م، ثم وكيلاً لها سنة 1973م، ثم عميدًا سنة 1973 – 1975م، ثم أستاذًا متفرغًا من 1978م وحتى الآن.

ولكمال بشر سجل حافل من النشاط الأكاديمي، فهو من الجيل الأول الذي نشر علم اللغة الحديث بالجامعات العربية، فقد نهض بتدريسه بجامعة الملك سعود، وبكلية التربية، وبكلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بقطر، وبكلية الآداب بجامعة الإمارات وبجامعة الكويت، وبمعهد بورقيبة للغات، هذا بالإضافة إلى تدريسه بكلية دار العلوم وبكلية الآداب والإعلام بجامعة القاهرة، وبكلية البنات وكلية الألسن جامعة عين شمس، وبمعهد البحوث والدراسات العربية بمعهد الفنون المسرحية، وبمعهد الدراسات والبحوث الإفريقية.

وبشر مدرسة وحده في إعداد الباحثين اللغويين: منهجيًّا وثقافيًّا. فقد أشرف على عدد كبير منهم بكلية دار العلوم ، وبكلية الآداب في جامعة القاهرة، وبمعهد البحوث والدراسات العربية، وبجامعة الأزهر. وشارك في فحص الإنتاج العلمي

والبحوث العلمية (للنشر أو الترقية) في مصر والسعودية والإمارات والأردن والكويت وفلسطين والبحرين.

أما نشاط بشر في التأليف فواسع ومتنوع، وقدر لمؤلفاته أن تنتشر غير مرة، وأن تكون مراجع موثقة لكلِّ الباحثين في علم اللغة الحديث، ومن كتبه:

1 - قضايا لغوية، 1962م.

2 – دور الكلمة في اللغة، وهو ترجمة لكتاب words and their uses :، وقد نشر أول مرة سنة 1962م، وأعيد طبعه أكثر من خمس عشرة مرة .

3 – علم اللغة العام، الأصوات العربية ، 1969.

4 – دراسات في علم اللغة، 1996م.

5 – علم الأصوات، نشر عدة مرات وأعيد تنقيحه وطبعه 1999م.

6 – علم اللغة الاجتماعي، نشر أول مرة سنة 1992م، وأعيد طبعه (منقحًا) سنوات 93، 94، 1995م.

7 – خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، 1995م.

8 – اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، نشر سنة 2000م.

9 – فن الكلام، 2003م.

10 – صفحات من كتاب اللغة، 2004م.

11 – مجمعيات، 2004م.

12 – إذاعيات لغوية، 2005م.

13 – التفكير اللغوي بين القديم والجديد، 2005م.

14 – إذاعيات في اللغة والأدب، 2006.

15 – قطوف من أزاهير اللغة، 2007م.

16 – حوارات في اللغة والثقافة الواقع والمأمول، 2010م.

ومن بحوثه ودراساته المنشورة والتي ألقى بعضها في مؤتمرات علمية

1 – دراسات في علم المعنى (السيمانتيك)، مجموعة بحوث ، مجلة الأزهر، 1381هـ - 1962م، العدد 11 ، المجلد 33 ، الصفحات (1377-1387).

2 – العقاد في الدراسات اللغوية ، مجلة الأزهر ، 1384هـ - 1964م ، الجزء الأول ، السنة السادسة والثلاثون ، الصفحات (74 - 79).

3 – (الألف) في اللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ،1386هـ 1966م ، العدد 21 ، الصفحات (47 – 55).

4 – همزة الوصل ، مجلة كلية دار العلوم ، القاهرة ، ، سنة 1968 م ، العدد 1، الصفحات (159 – 188).

5 – السكون في اللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1388هـ - 1968م ، العدد23 ، الصفحات (150 – 171).

6 – مفهوم علم الصرف ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1389هـ - 1969م ، العدد25 ، الصفحات (110 – 131).

7 – كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وموقعه من آثار الدارسين ، مجلة كلية دار العلوم ، القاهرة ، 1970م ، العدد 3 ، الصفحات (101 – 127).

8 – كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) لفرديناند دي سوسير وموقعه في آثار الدارسين ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1392 هـ ، 1972م ، العدد29 ، الصفحت (230 - 250).

9 - نوعية اللغة التي يتعلمها التلاميذ في المرحلة الأولى ، ووسائل التقريب بينها وبين اللغة الفصيحة ، بحث نشرته جامعة الدول العربية ضمن بحوث قدمت إلى مؤتمر اللغة العربية في عمان ، بالأردن ، سنة 1974م.

10 – جهود العرب في الدراسات الصوتية ، مجلة الثقافة العربية الليبية ، 1395هـ - 1975م ، العدد 4 ، الصفحات (48 - 51).

11 – الأصوات عند سيبويه ، مجلة الثقافة المصرية ، 1975م. ولم أطلع عليه.

12 – عوامل التوحد اللغوي ، بحث نشر ضمن بحوث في كتاب بعنوان (من ثمار الفكر) بإشراف كلية التربية في قطر ، سنة 1975م.

13 – التغريب في اللغة والثقافة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1407هـ - 1987م ، العدد60 ، الصفحات (186 - 206).

14 – اللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ ، مجلة مجمع اللغـــة العربيـــة ، القاهرة 1408هـــ - 1988م ، العدد 62 ، الصفحات (132 – 163).

15 – اللغة والثقافة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1411هـــ ت1991م، العدد68 ، الصفحات (25 - 52).

16 – خواص صوتية تمتاز بها اللغة العربية ، مجلة مجمـــع اللغـــة العربيـــة ، القاهرة ، 1413هـــ - 1992م ، العدد 71 ، الصفحات (31 - 51)

17 – التعريب بين التفكير والتغريب ، مجلـــة الـــدارة الـــسعودية ، الريـــاض ، 1994م ، العدد4 ، الصفحات (175 - 198).

18 – استخدام الحاسوب في تدريس اللغة العربية ، المـــؤتمر الـــسنوي الثـــاني لتعريب ، القاهرة ، 1996م ، عدد الصفعات (40).

19 – موقع اللغة العربية في المجتمع ، نـــشرة البحـــوث والدراســـات العربيـــة، القاهرة، 2002م ، العدد37 ، الصفحات (211 - 234).

20 – اللغة والثقافة بين العروبة والعولمة ، نشرة البحوث والدراســـات العربيـــة، القاهرة ، 2003م ، العدد 40 ، الصفحات (51 – 78).

وللدكتور كمال بشر نشاط ملحوظ في الهيئات العلمية ، فهو عضو بالمجلس القومي للتعليم، وعضو بالمجلس القومي للثقافة والآداب، وعـــضو بـــشعبة الثقافـــة، ومقرر شعبة الآداب بالمجالس القومية المتخصصة، وعضو بلجنة التعليم الأزهـــري، وعضو بالمجمع العلمي المصري، ومستشار اللغة العربية بمعاهد التدريب الإذاعـــي والتلفزيوني، ورئيس جمعية (حماة اللغة العربية).

أمَّا نشاطه المجمعيُّ فواسع ومتعدد: فقد اختير عـــضوًا بـــالمجمع عـــام 1985م، في المكان الذي خلا بوفاة محمد خلف الله أحمد، ثـــم اختيـــر لمنـــصب الأمين العام للمجمع خلفًا للأستاذ إبراهيم الترزي. وهو الآن نائب رئيس مجمـــع اللغة العربية، خلفًا للدكتور محمود حافظ الذي انتخب رئيسًا للمجمـــع فـــي ســـنة 2005م. وأعيد اختياره بعد ذلك ليكون الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. وهو عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ومن اللجان التي يشارك فيها بالمجمع: لجنة اللهجات ، ولجنة الألفاظ والأساليب ، وهو المقرر لكلتيهما. كما أنَّه كان أول مقرر للجنة الثقافية بالمجمع ، فأشرف على عدة ندوات أقامتها اللجنة بدار المجمع، منها:

1. ندوة عن الشاعر علي الجارم.
2. ندوة عن الدكتور إبراهيم أنيس.
3. ندوة عن قضايا الشعر المعاصر.

ولا يقتصر نشاط بشر الدائب على الجانب الأكاديمي والتأليف والعمل المجمعي، بل نجده دائمًا حاضرًا ونافعًا في المنتديات العامة وفي المؤتمرات العلمية وفي الندوات الثقافية والدورات التدريبية، ومن هذه النشاطات مشاركته في: مؤتمر خبراء اللغة العربية في تونس، ومؤتمر سيبويه بشيراز 1974م، ومؤتمر (الرصيد اللغوي) بتونس، ومؤتمر تعليم اللغة العربية لغير العرب بالرياض، ومؤتمر اللغة العربية في جامعات الخليج ، ومشاركته في:

1. الدورات التدريبية في اللغة العربية للمذيعين بمصر 1966م.
2. الدورات التدريبية في اللغة العربية للمذيعين في السعودية وقطر والإمارات العربية.
3. تقديم المادة العلمية لبرنامج إذاعي خاص باسم (لغة الشعب) والمادة العلمية للموسوعة العالمية العربية بالسعودية.

بالإضافة إلى إشرافه على ترجمة معجم المصطلحات اللغوية ومراجعته مراجعة نهائية 1983م.

نال تقديرًا عاليًا في مصر وفي العالم العربي. فنال جائزة الدولة التقديرية 1991م، ونال وسام العلوم والفنون من الطبقتين الثانية والأولى. كما نال جائزة صدام في الدراسات اللغوية عام 1987م.

الفصل الأول

المستوى الصوتيُّ

إنَّ دراسة الأصوات اللغوية الصفحة الأولى في كتاب اللغة التـــي لا بُــدَّ لدارس اللغة أن يمرَّ بها وينهل من مَنْهَلِها عند دراسته لعلــوم اللغــة الأخــرى: صرفها، ونحوها، ودَلالَتِهــا ومعجمهــا. وخيــر دليــلٍ علــى ذلــك مــا فعلــه السَّكَّاكي(ت626هــ) في كتابه (مفتاح العلوم) [1]، عندما استهل كتابــه بالــدرس الصوتيِّ، فكأنَّه أدرك – كُلَّ الإدراك – تلك الأهمية البالغة التي يحظى بها الجانب الصوتيُّ من بين الجوانب اللغويَّة الأخرى.

" وأهمُّ ما تبدأ به الدراسات اللغوية الحديثة بعد الإلمام بمجالها، أن تدرس المستوى الصوتيَّ للغة، فهذا المستوى هو الأساس، الذي يقوم عليه بناء مفرداتهــا وصيغها و تراكيبها، وأدبها: شعرًا ونثرًا، لذلك كان لا بُدَّ لدارس اللغة من دراسة أصواتها " [2].

وشعورًا من اللغويين بهذه الأهمية التي نالها الجانب الصوتيُّ في الــدرس اللغويِّ الحديث، ظهر عددٌ غير قليلٍ من علماء اللغة الذين درسوا هــذا الجانــب، ووضعوا قوانينه وأسسه، وكانت الرِّيادة في العصر الحــديث فــي مجــال علــم الأصوات لعلماء الغرب، الذين سبقوا العرب المحدثين في هذا المجال، ولكنَّهم لــم يسبقوا علماء العربيــة، أمثــال: الخليــل بــن أحمــد (ت170هــــ)، وســيبويه (ت180هــ)، وابن جني (ت392هــ)، وابن سينا (ت428هــ)، وغيــرهم مــن قدامى اللغويين العرب.

ولكن سرعان ما تأثر المحدثون من اللغويين العرب بهذه الجهود التي بذلها اللغويون الغربيون، وذلك من خلال اطِّلاعهم على هذه الجهود، بفــضل البعثــات العلمية للطلبة العرب، الذين اطلعوا على العلوم اللغوية الغربية، بالإضافة إلى مــا تُرْجِمَ من الآثار اللغوية الغربية إلى اللغة العربية، ومن هؤلاء اللغــويين:إبــراهيم

---

(1)السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، (ت626هــ)، مفتاح العلوم ، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة،ط1،1400هــ،1981م. ص109-119.

(2)شاهين، عبدالصبور، في علم اللغة العام، ط3 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 105.

أنيس، وتمام حسان، وعبدالرحمن أيوب، ومحمود السعران، أحمد مختـــار عمـــر، وكمال محمد بشر و غـــيرهـــم. فأخذوا هـــذا العـــلم عـــن العـــلماء الغـــربيين، وأحيوا به علمًا كان مصفَّدًا في الكتب القديمة، لا يقل شأنًا عن ذلك الذي جاء بـــه الغربيون، ذلك التراث الصوتيُّ الذي خلَّفه علماء العربية، في ذلك العصر الغابر.

ويعزو غانم الحمد السبب في عودة الدِّراسات الصوتية العربية إلى الحيـــاة ثانية إلى عاملين اثنين، أولهما: الدراسات الصوتية العربية القديمة عنـــد علمـــاء العربية و علماء التجويد. و الثاني: الدِّراسات الصوتية لدى الغربيين على يد عدد من المستشرقين و عدد من الباحثين العرب الذين درسوا في جامعات الغرب(1).

وكمال بشر من أوائل المحدثين العرب الذين درسوا في الجامعات الغربية، ونقلوا جديد دراساتهم إلى الدرس اللغويِّ الحديث عند العرب، فكان كتابـــه (علـــم اللغة العام، الأصوات العربية) الصادر عام 1969م، من أســـبق المؤلفـــات فـــي دراسة الأصوات العربية دراسة حديثة.

فجاء كتابه وفق المنهج الحديث للدراسات اللغوية، فبدأ الكتاب بالحديث عن الدرس الصوتيِّ بنظرة عامة، ومن ثمَّ تناول الأصوات العربية، وجهـــاز نطقهـــا، ومخارج حروفها، وتحدث عن الأصوات وتقسيمها إلى صامتة و صـــائتة وبيـــان صفات كلِّ قسمٍ منها: من جهر، و همس، واحتكاك، وانفجار، وغير ذلك، ومن ثم تناول الجانب الفنولوجي المتمثل بدراسة الفونيمات، والمقاطع، وما تتضمنه مـــن أحوال صوتية، كالنبر، والتنغيم، والفواصل الصوتية. وفي نهاية الكتاب ذكر أهمية علم الأصوات في دراسة اللغة بشكلٍ عام.

ومنذ زمن غير بعيد أعاد بشر النظر في كتابه السابق – الأصوات العربية – فأخذ بتوسيع دائرة أفكاره، و بالتوليد من هذه الأفكار، بنـــات كثيـــرات، فكـــان جديده متمثلاً بشرح ما أجمل، وتفسير ما أضمر، وتعميق ما لم ينل حظـــه مـــن الوفاء بحقّه، فأضاف الجديد، وطور القديم، فأصدر كتابه (علم الأصـــوات) عـــام 2000م، وقد اشتمل هـــذا الكتاب على عـــددٍ مـــن القضايا الصوتية التي ناقشها

---

(1)الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، منشورات المجمع العلمي، تكريت، 1423ه،2002م.

في كتابه السابق - الأصوات العربية -، بالإضافه إلى قضايا و موضوعات، أوجز ذكرها في الكتاب نفسه، تناولها بشيء من التفصيل، من مثل: دراسة المقطع، والنبر، وظاهرة التنغيم، والفواصل الصوتية، وغيرها.

بالإضافة إلى هذين الكتابين، قام كمال بشر بنشر عددٍ غير قليل من البحوث في الدرس اللغويِّ بشكلٍ عام، وفي الأصوات بشكلٍ خاص، فجاءت جهوده متنوعة في تناول الجوانب الصوتية في اللغة العربية. وفيما يأتي بيان ومناقشة لأهم الجهود الصوتية التي قدَّمها بشر مقارناً إياها بما قدمه المحدثون أقرانه.

1.1 بين الفوناتك والفنولوجيا

يبحث كُلٌّ من الفوناتيك (phonetics) و الفنولوجيا (phonology) في أصوات اللغة، فهما فرعان متخصصان بالجانب الصوتيِّ، ولكن مع توسع الدِّراسات الصوتية، توزعت هذه الدِّراسات على هذين الفرعين، فأصبح كُلٌّ فرعٍ يختص بجانبٍ معينٍ من الجوانب الصوتية. ولكنَّ الناظر في علم الأصوات و جوانبه، سيلحظ التداخل المستمر بين الجوانب الصوتية المختلفة، والذي يجعل من الصعب الفصل بين هذين الفرعين وتحديد الفواصل بينهما تحديدًا دقيقًا(1).

وقد يُفْصَلُ بين هذين الفرعين، ولكن هذا الفصل يكون مع الضرورة العلمية المُلحة، وفي هذه الحالة يطلق على كلِّ فرعٍ منهما المصطلح الذي يدل عليه، فيخصص مصطلح " الفوناتيك للدراسة الصوتية المحضة، التي تتضمن النواحي النطقية والفيزيائية، والفنولوجيا للدراسة التي تعمد إلى وضع القوانين والقواعد العامة للأصوات وإلى الكشف عن وظائف هذه الأصوات في اللغة المعنية " (2).

لذلك جاءت وجهات نظر المحدثين حول هذين الفرعين مُختلفةً و مُتَباينةً، فمنهم من فصل بين الفرعين، وجعل كُلَّ فرعٍ مغايرًا للآخر، ومنهم من جعل الفرعين وجهين لعملة واحدة، لا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر.

---

(1)أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط3، 1961. ص5.

(2)بشر، كمال، علم اللغة العام الأصوات العربية، مكتبة الشباب، ص60.

فإبراهيم أنيس يؤْثِرُ أن ينسب بحثه إلى الفرع الفنولوجي وفي ذلك يقول: " وقد يحب بعض القراء أن يسمي ما تعرضت له في هذا الكتاب – يعني كتابه الأصوات اللغوية – بالبحث (الفوناتيك) (phonetics)، ولكنِّي أوثر أن أنسبه إلى فرع (الفونولوجي) (phonology)" معللاً ذلك بأنَّ " الفوناتيك يعنى بالأصوات الإنسانية شرحاً و تحليلا ، ويجري عليها تجارب دون نظر خاص إلى ما تنتمي إليه من لغات. على العكس من (فرع الفنولوجي) فيعنى كُلَّ العناية بأثر الصوت اللغويِّ في تركيب الكلام نحوه وصرفه، ولهذا يمكن أن يطلق عليه علم الأصوات الذي يخدم بنية الكلمة و تركيب الجمل في لغة ٍ من اللغات"[1].

نلحظ هنا أنَّ أنيسًا يَفْرُق بين الفرعين في نسبة بحثه إلى فرع الفنولوجيا، إلَّا أنَّه يستدرك على ذلك فيؤكد التحام هذين الفرعين وصعوبة الفصل بينهما إذ يقول: " على أنَّ الفرعين قد يلتقيان في ميدانٍ واحدٍ، ويشتركان معًا في البحث في عدَّةِ نقط. فحدودهما متشابكة، يصعب تحديد الفواصل بينهما تحديدًا دقيقًا "[2].

وما جاءَ في كتاب أنيس خير دليلٍ على صلة الفرعين أحدهما بالآخر، وصعوبة الفصل بينهما، فحوى الكتاب الفرعين في موضوعاته، فعرض لمخارج الأصوات وصفاتها، كما عرض لمواقعها وسياقاتها، كالمقطع والنبر والتنغيم.

أمَّا تمام حسان فقد فَرَّق بين هذين الفرعين فأطلق على ال (phonetics) الأصوات، وعلى ال (phonology) التشكيل الصوتيَّ، وجاءَ تفريقه بين هذين الفرعين في سياق تفريقه بين اللغة والكلام، " فالكلام عمل و اللغة حدود هذا العمل، و الكلام سلوك و اللغة معايير هذا السلوك، و الكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، و الكلام حركة و اللغة نظام هذه الحركة، والكلام يُحسُّ بالسَّمعِ نطقًا و البصر كتابة، و اللغة تُفْهَمُ بالتأمل في الكلام...... والكلام قد يحدث أن يكون عملاً فرديًا ولكنَّ اللغة لا تكون إلَّا اجتماعية، وإذا كان الكلام لا يُدرس منفصلاً عن اللغة إلَّا عند اعتباره عملاً صوتياً بحتاً مقطوع الصلة بالمعنى، فإنَّ

(1)أنيس، الأصوات اللغوية، ص5.

(2)المرجع نفسه.ص5.

الدِّراسة اللغوية للكلام تجعله – حتى على هذا المستوى الصوتيِّ – على صلة باللغة، و لا بُدَّ أن يكون كذلك من حيث قصد به أن يدلَّ على معنى " [1].

كما ربط تمام حسان الفنولوجيا بدراسة اللغة، حين قال: " ذلك بأنَّ هذه الملاحظات والتسجيلات لا تتصل باللغة إلا حين يتم تنظيمها والربط بينها في نظامٍ صوتيٍّ كاملٍ، تُعرف فيه علاقات المخارج وعلاقات الصفات إيجاباً وسلباً، وتُعرف فيه الظواهر الموقعية التي يتطلبها ورود هذه الأصوات المدروسة في السياق"[2]. وقال:" فعلم الأصوات إذاً أوصاف لأعمال، وعلم التشكيل الصوتيِّ أوصاف لأبواب و قواعد"[3].

ومهما يكن فتمام حسان و إن كان يَفْرُق بين الفرعين إلا أنَّه لا يقلل من أهمية أحدهما، بل يرى أنَّ:" دراسة الأصوات من وجهة نظر المخارج والصفات مقدمةٌ لدراسة علم التشكيل الصوتيِّ الذي يعبِّر عن النظام الرمزيِّ الذي تنتظم به هذه الأصوات" [4]، ويؤكد كذلك أنَّه لا يُكتفى بأحد الفرعين دون الآخر، فيقول: " ولكن من ذا الذي يستطيع أن يكتفي من العملة النقدية بأحد وجهيها عن كليهما، فالأصوات والتشكيل الصوتيُّ كما قلنا وصفٌ ثم تقعيدٌ للموصوف"[5].

أمَّا محمود السعران فهو لا يَفْرُق بين النوعين، بل يجعلهما شيئاً واحداً لا يغني أحدهما عن الآخر إذ "إنَّ التحليل الوظيفيَّ للأصوات والكلمات مُكَمِّلٌ بالضرورة للتحليل الفيزيائيِّ والفيسولوجيِّ للأصوات والنطق عامة، وليس هذا بمغنٍ عن ذلك " [6]، ويؤكد ارتباط هذين الفرعين أحدهما بالآخر، واستحالة

([1])حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط2001، دار الثقافة،ص 32-33.

([2])المرجع نفسه، ص33.

([3])حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، 1979، ص139.

([4])حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،1958م.ص115.

([5])حسان، مناهج البحث في اللغة، ص110.

([6])السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة،ط2، 1420هـ،1999م. ص 164.

تفضيل أحدهما على الآخر، فيقول:" إنّ هذين النوعين من الدراسة يعتمد أحدهما على الآخرن وهما متكاملان. ومن العبث أن تحاول أن تقرر أيهما أفضل من أخيه........ لهذا يحسن تجميع الدراستين معاً تحت التسمية العامة التقليدية (علم الأصوات اللغوية)" [1].

وصفوة القول إنَّ علماء اللغة والأصوات عند دراستهم النظام الصوتيَّ وتحليله، يعمدون إلى توزيع دراستهم على هذين الفرعين – الفوناتيك والفنولوجيا – تلقائيًا ومن دون أدنى قصد منهم، وإن اختلفوا في وجهات النظر حول الفصل وعدمه بين هذين الفرعين.

وفي هذا السياق، جاءت جهود كمال بشر في الحديث عن هذين الفرعين، ويؤثر في الحديث عن الفوناتيك بتعريب المصطلح لا ترجمته قصدًا منه إلى الدقة في التعبير. فعرَّب المصطلح (phonetics) إلى فوناتيك، ولم يترجمه، لأنَّ ترجمته إلى (علم الأصوات) – في سياق المقابلة بينه وبين الفونولوجيا – تؤدي - في نظره - إلى اللبس، كما أنَّه لم يترجمه إلى المصطلح (علم الأصوات العام)، وذلك لأنَّ هذه الصورة العربية تناسب – في نظره أيضًا – المصطلح الإنجليزي وهو (general phonetics) [2].

ومن ناحية أخرى، ترجم المصطلح (phonology) إلى (علم الأصوات التنظيمي) أو (علم وظائف الأصوات)، وهو بهذه الترجمة يؤكد الوظيفة التي يقوم بها علم الفنولوجيا، وهي تنظيم المادة الصوتية وإخضاعها إلى التقعيد والتقنين، أو أنَّه يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللغة[3].

ويرى بشر أنَّ الفنولوجيا " فرع من البحث الصوتيِّ، خُصِّصَ أساسًا لدراسة الفونيمات ومشكلاتها، وذلك بالطبع لا يكون إلا في إطار لغة معينة، لارتباط

([1])السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص166.

([2])بشر، الأصوات العربية، ص 28.

([3])المرجع نفسه، ص 29.

الفونيمات بالمعاني "[1]. وأنَّ الفوناتيك يختصُّ بدراسة الـصوت المنطـوق، أو أحياناً ما يشار إليه بالمصطلح (phone) أو (allophone) أو (sound) [2].

نلحظ ممَّا سبق أنَّ بشرًا لا ينكر الخلاف بين هذين الفرعين و تعدد الآراء و تنوعها، وسبب الخلاف عنده، هو تنوع مبادئ الدارسين و فلسفتهم، في النظـر إلى الحقائق الصوتية وإلى طبيعة الأصوات ذاتها[3]. ولهذا يسوق لنا آراء عـدد من المدارس البارزة على هذه الطريق، التي تجمع شـتات الآراء حـول هـذه القضية، من مثل: مدرسة براج، ودي سوسير، والمدرسة الأنجليزية، والمدرسـة الأمريكية[4].

فكلٌّ مدرسة من هذه المدارس لها رأيها الخاص في هذه القضية، فمنها مـن فصل بين هذين الفرعين فصلاً تامًا من مثل مدرسة براج، ومنها من جمع وقرَّبَ المسافة بينهما، أمثال المدرسة الإنجليزية، وإن وُجِدَ عند هذه المدرسة نوعٌ مـن التفريق ولكنَّه لا يتجاوز الناحية النظرية.

أمَّا بشرٌ فيذهب إلى أنَّ هذين الفرعين " نظامان من الدرس الصوتيِّ يوجَّهان معًا نحو موضوع واحد، هو الأصوات اللغوية. فرجل الفوناتيك لا يقنع بمجـرد جمع المادة الصوتية ووصفها على أساس عضويٍّ وفيزيائيٍّ، وإنَّما ينظر بعد هذا الجمع والوصف إلى مرحلـة أخرى أهم، تخضع مادته للتنظـيم و التقعيـد، أو الكشف عن وظائف هذه الأصوات، التي جمعها ووضعها في المرحلة الأولى"[5]. وكما أنَّ رجل الفوناتيك لا غنى له عن الفرع الفنولوجي فكذلك "رجل الفنولوجيا لا يستطيع أن يقوم بعمله دون اعتماده على مادة الفوناتيك"[6].

([1])بشر، الأصوات العربية، ص 32.

([2])المرجع نفسه، ص35.

([3])المرجع نفسه، ص28.

([4])المرجع نفسه، ص35-56.

([5])المرجع نفسه، ص39.

([6])المرجع نفسه، ص39.

ويرى بشر أنَّ هذين الفرعين مكملٌ أحدهما الآخر ، ومن العبث أن نَفْــرُقَ بينهما، وإذا لزم الأمر وفصل بينهما، فإنَّ هذا الفصل لا يكــون إلا فــي حالــة الضرورة القصوى، وهذه الضرورة تتوقف على هدف الدراسة ذاتها، " فقد تكون الدراسة مركزة على الجانب الماديِّ للأصوات، أو موجهة فــي أساســها إلــى الجانب الوظيفيِّ لها. وحينئذٍ يجوز نعت المنهجين بنعتين مختلفين، هما: الفوناتيك و الفنولوجيا، ولكن دون أن يغيب عن بالنا شدَّة ارتباطهمــا بــبعض، واعتمــاد أحدهما على الآخر "[1].

ويشير بشر إلى أنَّ العمل السائد الآن، هو تقريب المسافة بــين الفــرعين ، حتى إنَّ المصطلح (علم الأصوات) وحده كافٍ للإشارة إليهما معًا دون تحديد أو تفريق[2]. وهو يوافق محمود السعران في جمعه العلمين تحت مسمى واحدٍ[3].

يقرر بشر أن هذين الفرعين " ليسا إلا مرحلتين أو خطوتين مــن خطــوات البحث، وكلاهما مرتبط بصاحبه، ومعتمد عليه، فمادتهما واحدة وهــي أصــوات اللغة، وهدفهما واحد وهو دراسة الأصوات، والفرق بينهما إنَّما هو في المــنهج والطريقة "[4].

ويُجيز بشر الفصل بين الفوناتيك والفنولوجيا، ولكن في مــرحلتين اثنتــين " أولاهما: عند العرض الخاص لمناهجهما، وطرق البحث فيهما، وتحديد الإطــار العام لعمل كل منهما. وثانيتهما: عند التحليل المرحليِّ للأصوات. فقد تبدأ بتحليل فوناتيكيٍّ، ثم تعقبه بآخر فنولوجيٍّ "[5].

ويؤكد بشر أنَّه " ليس من الخطأ أو سوء التقدير أن ننظر إلى الفرعين علــى أنَّهما جانبان لشيءٍ واحد، وأن نشير إليهما معا باسم واحد هو (علم الأصــوات)،

([1])بشر، الأصوات العربية، ص39.

([2])المرجع نفسه، ص 40.

([3])السعران، علم اللغة، ص 166.

([4])بشر، الأصوات العربية، ص 59.

([5])المرجع نفسه، ص 35 – 59.

ما لم تكن هناك ضرورة علمية ملحة، وذلك عندما يكون العمل مركزاً على أحد الجانبين دون الآخر"[1].

ومن خلال هذه الآراء السابقة نجد أنَّ بشراً يخالف كلاً من إبـراهيم أنـيس وتمام حسان ، فهما يفرِّقان بين الفرعين - نوع تفريق - ويجعـلان كـلَّ فـرعٍ مختصاً بجانب معين من الدرس الصوتيِّ. على العكس من محمود السعران الذي وافقه بشر في عدم الفصل بين هذين الفرعين وشدة الاتفـاق بينهمـا واعتمـاد أحدهما على الآخر، وانضمامهما تحت مسمى واحد هو (علم الأصوات)

2.1 الجهازالنطقي

إنَّ الصوت اللغويَّ[2]هو موضوع علم الأصوات، وهو كغيره من الأصـوات له مُحْدِثٌ ومُسبِّبٌ، فكما أنَّ خرير الماء سببه سيلان الماء واحتكاكه بما يـصادفه من معوقات، فإن الصوت اللغويَّ الصادر عن الإنسان سببه ذلك الهواء الخارج من الرئتين بفعل عملية الزفير ، فعند خروجه تعترضه بعض العـوارض التـي تتسبب بحدوث الصوت، وهذه العوارض سميت تجاوزاً بأعضاء النطق. ولـيس من العدل القول بأنَّ هذه الأعضاء تقتصر على وظيفة واحـدة وهـي إصـدار الصوت اللغوي (النطق) إذ " إنَّ الوظيفة الأساسية لهذا الجهاز ليـست متـصلة بالنطق اللغويِّ، وإنَّما تؤدي وظيفة حيوية بالعمل على جعل استمرار الحياة أمراً ممكناً..... ولكنَّ الضرورة الاجتماعية مضافةً إلى الذكاء الإنسانيِّ، خلقا وظيفـة ثانوية لهذا الجهاز الحيويِّ، هي وظيفة النطق اللغويِّ"[3].

فدارس علم الأصوات لابدَّ له من أن يعرض ولـو بـشيء مـوجز، لتلـك الأعضاء المسماة أعضاء النطق. وهذا ما نجده عند النظر في الآثـار الـصوتية بشكل عامٍّ، إذ إنَّ هذه الآثار لم تُغفِل ذكر هذه الاعضاء، فهذا إبراهيم أنيس يبتدئ

([1])بشر، الأصوات العربية، ص 60.

([2])يخص بالذكر هنا صوت الإنسان البالغ، لأن أي صوت غير صوت الإنسان لا يوصف بأنه صوت لغوي.

([3])حسان، مناهج البحث في اللغة، ص73.

كتابه الأصوات اللغوية - بعد أهمية السمع في إدراك الصوت اللغويِّ – برسم بيانيٍّ يوضّح فيه تلك الأعضاء، وهي: (القصبة الهوائية. موضع الوترين الصوتيين. فتحة المزمار. الحلق. اللسان: أقصاه ووسطه وطرفه. الحنك الأعلى: أقصاه ووسطه. أصول الثنايا. الأسنان: عليا وسفلى. الشفتان: عليا وسفلى.) [1]

ويضيف أنيس إلى هذه الأعضاء عضواً آخر، لا يقل أهمية عن غيره من الأعضاء، بل يجعله أنيس أهم هذه الأعضاء، وهو الرئتان، " فبغير الرئتين لا تكون عملية التنفس، وبغير التنفس لا يكون الكلام، بل لا تكون الحياة نفسها...."[2].

وقد تناول بشر هذه الأعضاء بشيءٍ من الإيجاز ، ونوَّه في بداية حديثه عن هذه الأعضاء على أمرين، أولهما: " ليست أعضاء النطق جميعها متحركة، أي قابلة للحركة ، فبعضها ثابت لا يتحرك ، وقليل منها قابل للحركة، وذلك كاللسان والشفتين. وثانيهما: التسمية (أعضاء النطق) تسمية مجازية، فالواقع أنَّ أعضاء النطق ليست وظيفتها الأساسية إصدار الأصوات الكلامية بل إنَّ لها وظائف أخرى أهم من ذلك بكثير؛ فاللسان مثلاً وظيفته ذوق الطعام، والأسنان من وظائفها قضم الطعام وطحنه..... "[3]

ويورد بشر في حديثه عن أعضاء النطق رسماً بيانياً ؛ لتوضيح هذه الأعضاء فيبدأ بالحنجرة (larynx) محدداً مكانها في أسفل الفراغ الحلقي، وهي المُكونة للجزء الأعلى من القصبة الهوائية، وهي الممر المؤدي إلى الرئتين، ويقع فوق الحنجرة شيءٌ يشبه اللسان، ويسمى لسان المزمار(epiglottis) أو (الغلصمة) ويرى بشر أنَّ لا دخل (للسان المزمار) في تكوين الأصوات بصورة مباشرة[4].

([1])أنيس، الأصوات اللغوية، ص17 -18. وانظر: الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، ط1، 1999م، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ص 71.

([2])أنيس، الأصوات اللغوية، ص20.

([3])بشر، الأصوات العربية، ص64-65.

([4])المرجع نفسه، ص 65.

ثُمَّ ينتقل إلى الوترين الصوتيين (vocal bands) " وهما عبارة عن شـــفتين تمتدان بالحنجرة نفسها أفقياً من الخلف إلى الأمام.......... وقد ينفرج الـــوتران وينقبضان حتى يلمس أحدهما الآخر فينغلق ممر الهـــواء نهائيـــا "[1]. فـــالوتران الصوتيان لهما صفة المرونـــة فـــي الحركة وفي اتخاذ أوضاع مختلفة تؤثر في الأصوات الكلامية، ويذكر بشر أهم هذه الأوضاع وهي أربعة: الوضع الخـــاص بالتنفس، وضعها في حالة تكوين نغمة موسيقية، وضعها في حالة (الوشوشـــة)، ووضعها في حالة تكوين (همزة القطع) [2].

ورمضان عبد التواب يجعلها ثلاثة أوضاع " أمَّا الوضع الأول: فهو وضـــع التنفس العادي. وأمَّا الوضع الثاني: فهو الذي ينتج نوعاً معيناً مـــن الأصـــوات، يسمى بالأصوات المجهورة.....، وأمَّا الوضع الثالث: فهو الوضع الـــذي ينـــتج صوت الهمزة في اللغة العربية مثلاً"[3].

أمَّا الحلق (pharynx): فهو ذلك الجزء الذي بين الحنجرة والفم، وقد يُسَمّى بالفراغ الحلقيِّ أو التجويف الحلقي[4]. ووظيفة الحلق الصوتية " هي أنَّ تجويـــف الحلق يكون مخرجاً لعددٍ من الأصوات اللغوية." [5]

أما اللسان (Tongue) فيعده بشر من أهمِّ أعضاء النطق ؛ لمرونته وقابليته للحركة إلى حد كبير. واللسان بدوره ينقسم لعدَّة أقسام، خصَّ بشر ثلاثـــة منهـــا بالذكر هي:

1ــ أقصى اللسان أو مؤخره، وهو الجزء المقابل للحنك اللـــين أو مـــا يـــسمى بأقصى الحنك.

([1])بشر، الأصوات العربية، ص 65.

([2])المرجع نفسه، ص 67 – 68.

([3])عبدالتواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغـــوي.مكتبـــة الخـــانجي – القاهرة. ط(2) 1985 م.ص27.

([4])بشر، الأصوات العربية، ص69.

([5])الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 55.

2ـ وسطه أو مقدمه، وهو الجزء الذي يقابل الحنك الصلب أو ما يسمى بوسط الحنك.

3ـ طرف اللسان، وهو الجزء الذي يقابل اللثة[1].

أمَّا الحنك (Palate) وهو من الأعضاء الثابتة، ويشار إليه أحياناً بالأسماء الآتية: الحنك الأعلى، أو سقف الحنك، أو سقف الفم، ويصدر عدد من الأصوات المختلفة باختلاف وضعية اتصال اللسان به، وقد قسَّمَ بشر الحنك إلى ثلاثة أقسام هي: (مقدمة الحنك أو اللثة، وسط الحنك أو الحنك الصلب (الغار)، أقصى الحنك أو الحنك اللين (الطبق) [2].

ومن ثم يذكر اللهَاة (uvula)، وموقعها في نهاية الحنك اللين. أمَّا التجويف الأنفي (nasal cavity) فهو ذلك الممر الذي يندفع من خلاله الهواء الخارج من الرئتين، عندما ينخفض الحنك اللين، فيسمح للهواء بالمرور عن طريق الأنف، وهذه هي الحال عند النطق بالنون والميم العربيتين[3].

أمَّا الشفتان (lips) ، فهما من أعضاء النطق المتحركة، فيعدها بشر من أعضاء النطق المهمة، فهي تتخذ أوضاعاً مختلفة حال النطق، ويؤثر ذلك في نوع الأصوات وصفاتها، وهذا التأثير يظهر بشكل خاصٍّ عند نطق الأحرف الصائتة (الحركات).

أما الأسنان(teeth)، وهي من أعضاء النطق الثابتة، ويقسِّمها علماء الأصوات إلى قسمين: أسنان عليا، وأسنان سفلى، وتشترك الأسنان مع غيرها من أعضاء النطق لتكوين الأصوات، فقد يعتمد عليها اللسان مثلاً لتكوين بعض الأصوات كما في نطق الدال والتاء، كما تتصل الأسنان والشفتان لتكوين بعض الأصوات أيضاً، من مثل وقوع الأسنان العليا فوق الشفة السفلى حال النطق بالفاء[4].

---

(1)بشر، الأصوات العربية، ص69.

(2)المرجع نفسه، ص70.

(3)المرجع نفسه، ص71.

(4)المرجع نفسه، ص71.

ويستدرك بشر بعد الحديث عن هذه الأعضاء بذكر عضو لا يقل أهمية عن باقي الأعضاء المذكورة، وهو الرئتان، " فالرئتان لا تقلان أهمية عن أيِّ عضوٍ من أعضاء النطق، بل إنَّهما أهمُّ منها جميعاً. فبغير الرئتين لا تتم عملية التنفس، ومن ثم لا تتم عملية النطق، بل لا تكون الحياة ذاتها "[1]

هذه أعضاء النطق كما يراها بشر وغيره من علماء الأصوات قديمًا وحديثًا، التي يجب على دارس الأصوات أن يكون ملمًّا بها، لكي يسير في دراسة أصوات اللغة دون أيِّ عائق، إذ من دون معرفة هذه الأعضاء لا يتمكن الباحث من التعرف على معظم هذه الأصوات.

3.1: مخارج الأصوات

المخرج هو موضع الخروج[2]. وفي علم الأصوات نقطة في مجرى الهواء يلتقي عندها عضوان من أعضاء النطق التقاءً محكمًا في بعض الأصوات وغير محكم في أصوات أخرى[3].

ويعد مخرج الصوت أساساً للتفريق بين الأصوات، فقد اعتمد علماء الأصوات عند تصنيفهم للأصوات، على تعيين جوانب ثلاثة للتفريق بين الأصوات، هي: (مخرج الصوت أو موضع النطق، صفة الصوت أو طريقة النطق، الجهر والهمس). [4]

فكما أنَّ صفة الصوت أو طريقة نطقه تعد فارقاً من صوت إلى آخر، وأن صفة الجهر والهمس تعد كذلك فارقاً بين الأصوات، فإنَّ مخارج الأصوات من الأسس التي تتماز بها الأصوات بعضها من بعض.

([1])بشر، الأصوات العربية، ص72. وانظر: أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص20.

([2])ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت،1412هـ، 1992م، مادة (خرج).ج2،ص249.

([3])المعجم الوسيط ، 1980 ، عمان ، ج1 ، ط3 ، ص 223.

([4])خليل، حلمي، مقدمة لدراسة اللغة، دار المعرفة الجامعية. 1996م.ص 214-215.

ويعود الفضل في جعل المخرج الصوتيِّ أساسًا للتفريق بين الأصوات إلى الخليل ابن أحمد، إذ صنَّف في كتابه العين الأصوات حسب مخارجها، وأطلق على كلٍّ مجموعة منها اسماً اشتقه من تلك المخارج: " فالعين والحاء والخاء والغَيْن حَلْقيَّة، لأنَّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان، لأنَّ مبدأهما من اللهاة....." [1] وبذلك جاء ترتيبه للكلمات في معجمه العين تبعاً لترتيب هذه المخارج، وقد تبعه بعد ذلك الكثير من اللغويين القدامى، حيث تمَّ اعتماد المخرج كأحد الأسس للتفريق بين الأصوات، فعدها كل من سيبويه وابن جني ستة عشر مخرجاً[2].

وقد نهج المحدثون النهج نفسه في جعل المخرج الصوتي أساساً في التمايز بين الأصوات، فجاءت آراؤهم متباينة في عدد هذه المخارج، فذهب معظمهم إلى جعل مخارج الأصوات الصامتة عشرة، وقد يُنْقِصُ بعضهم مخرحاً، ويزيد بعضهم الآخر مخرجاً.

وكمال بشر كغيره من الأصواتيين، قديماً وحديثاً، يجعل مخارج الحروف أحد الأسس للتفريق بين الأصوات الصامتة، فيقسِّمُ الأصوات إلى مجموعات بحسب مواضع النطق أو مخارجه، ويشير في بداية حديثه إلى نقطة مهمة قد يقع فيها الباحث في خطأ، وهي أنَّ " الإشارة إلى مصطلح (موضع النطق) بصيغة الفرد لا تعني أنَّ موضع النطق
عضو واحد، أو أنَّ الصوت المعين صدر عن عضو واحد، فقد يشترك عضوان أو أكثر في إصدار الصوت الواحد......" [3]

([1])الخليل، أبو عبدالرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) كتاب العين،منشورات دار الهجرة، إيران-قم.ج1، ص58.

([2])سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج4، ص433. وانظر ابن جني، أبا الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ج1، ص46.

([3])بشر، الأصوات العربية، ص89.

ويعدّ بشر مخارج الحروف أحد عشر مخرجاً، هي:

1ـ أصوات شفوية، وهي الباء والميم. وكثيراً ما يشار إلى الواو أيضاً(في نحـو وعد) بأنها شفوية.

2ـ أسنانية شفوية، وهي الفاء.

3ـ أسنانية، أو أصوات ما بين الأسنان ، وهي الثاء والذال والظاء.

4ـ أسنانية ـ لثوية، وهي: التاء والدال والضّاد والطاء واللام والنون.

5ـ لثوية، وهي: الراء والزاي، والسين والصاد.

6ـ أصوات لثوية ـ حنكية، وهي: الجيم الفصيحة والشين.

7ـ أصوات وسط الحنك، وهي الياء.

8ـ أصوات أقصى الحنك، وهي: الخاء والغين والكاف والواو.

9ـ أصوات لهوية ، وهي القاف ، كما ننطقها اليوم في اللغة الفصيحة.

10ـ أصوات حلقية، وهي: العين والحاء.

11ـ أصوات حنجرية، وهي: الهمزة والهاء.

هذه هي مخارج أو مواضع النطق كما يراها بشر ، مرتبة ترتيباً تنازليـاً ، يبدأ من الشفتين رُجوعًا إلى الخلف حتى الحنجرة، وهذا الترتيب علـى عكـس ترتيب القدامى ، إذ رتبوا هذه المخارج تصاعدياً يبدأ من أقـصى الحلـق إلـى الشفتين. والترتيب الأول هو الشائع الآن[1].

ونجد من المحدثين من وافق بشرًا في عدد المخارج ، فعدها كلٌّ من إبراهيم أنيس[2]، ومحمود السعران[3]، وأحمد مختار عمر [4]أحد عشر مخرجاً. هذا مـن ناحية، ومن ناحية أخرى ، خالفه عدد من المحدثين، فجعلوها عـشرة مخـارج،

([1])بشر، الأصوات العربية، ص93.

([2])أنيس، الأصوات اللغوية ، ص45 – 74.

([3])السعران، علم اللغة، ص 151 – 152.

([4])عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب ، القاهرة ، 1997م ، 1418هـ ، ص262 – 273.

أمثال: تمام حسان[1]، ورمضان عبد التواب[2]، وعبد القادر الخليل[3]، وهذا الأغلب الأعمُّ لدى المحدثين من علماء الأصوات، إذ " جعلوا مخارج الحروف عشرة مخارج وهذا هو أكثر التقسيمات الشائعة في كتب علماء اللغة المحدثين"[4].

في حين انفرد سعد مصلوح في عدِّه مخارج الأصوات تسعة، وهي لا تختلف عن المذهب العام القائل بعشريتها، إلا أنَّه يجعل الحروف اللثوية (ل ، ر ، ن) تخرج من المخرج المسمى بالأسناني اللثوي ، وهو مخرج (د ض ت ط، س ص ز) [5].

نستنتج ممَّا سبق أنَّ المحدثين اختلفوا في عدد مخارج الحروف، فمنهم من جعلها عشرة ، وهو الأغلب الأعم، ومنهم من جعلها تسعة ، وهو بذلك يلغي أحد المخارج، ويجعل حروفه تدخل في حروف مخرج آخر قريب منه ، تصعب الممايزة بينهما، وطرف آخر يجعلها أحد عشر مخرجاً.

ومن خلال تقسيم بشر لمخارج الأصوات وعدِّها أحد عشر مخرجاً أقول: كان من الأجدر أن يجعل كمال بشر المخرجين الرابع والخامس ــ في تقسيمه السابق ــ مخرجاً واحداً ، تحت مسمّىً واحدٍ هو: (أسنانيٌّ لثويٌّ) ؛ وذلك لأنَّ اللثة هي العضو الثابت المجاور للأسنان، وفي حالة نطق أصوات المجموعتين [4 ، 5] فإنَّ اللسان لا ينفك أن يلتقي باللثة وبشيء من الأسنان ، وإن كان بدرجات مختلفة.

([1])حسان، مناهج البحث في اللغة ، ص 110 – 111.

([2])عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص30 – 31.

([3])الخليل، عبدالقادر مرعي، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، المكتبة الوطنية. ط1، 1993.ص63 – 68.

([4])المرجع نفسه ، ص63.

([5])مصلوح، سعد، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب ، القاهرة ، 1980م ، ص 200 – 201.

ولكنَّه يُسوِّغ فصل هاتين المجموعتين تحت مسميين مختلفين ، بأنَّ أصوات المجموعة الخامسة أدخل قليلاً في النطق والموضع من أصوات المجموعة الرَّابعة(1).

ولكنَّ هذا التفسير حسب نطقه الشخصيِّ، وهذا غير كافٍ لتسويغ فصل هاتين المجموعتين بعضهما عن بعض.

ويورد كذلك قرباً في المخرج بين الجيم الفصيحة والشين من جهة، وبين الياء من جهة أخرى، فعلى الرغم من أنَّ الجيم الفصيحة والشين صوتان لثويان حنكيان ، إلا أنَّه يجعل بينهما وبين الياء - وهي من وسط الحنك - قرباً شديداً في المخرج، فهذه الأصوات الثلاثة ــ في نظر بشر ــ تخرج من مخرج واحد ، هو وسط الحنك ، أو كما سماها العرب القدماء (الأصوات الشَّجْريَّة، نسبة إلى شَجْر الفم(2).

ويرى بشر أنَّ الواو في نحو: (وعد) تنقسم في نطقها بين مخرجين ، فللشفتين دخلٌ كبيرٌ في نطق هذا الصوت، " ولكنَّ الوصف الأدق أن يقال: إنَّ الواو من أقصى الحنك، إذ عند النطق بها يقترب اللسان من هذا الجزء من الحنك"(3).

وفي نظري فإن مخارج الحروف تسعة مخارج، وذلك من خلال النظر في القائمة السابقة التي أوردها بشر، مستثنياً منها المخرج رقم [5] وهو اللثوي ، وجعل حروفه ضمن المجموعة رقم [4] ، وهي الأسنانية اللثوية، وكذلك استثناء المخرج رقم [5] وهو اللثوي الحنكي ، وجعل أصواته ضمن أصوات وسط الحنك ، وهي الياء، فتصبح أصوات وسط الحنك (الجيم الفصيحة والشين والياء). والسبب في هذا التقسيم حصر مخارج الحروف ، وضمها تحت أقل عدد من التسميات ؛ تسهيلًا على المتعلم والدارس ، لكي يستطيع الإلمام بها.

---

(1) بشر، الأصوات العربية، ص89.

(2) المرجع نفسه ، ص90.

(3) المرجع نفسه ، ص98.

وبذلك تكون مخارج الحروف حسب وجهة نظري، كما يأتي:

1ــ أصوات شفوية، وهي: الباء والميم.

2ــ أصوات أسناسية شفوية، وهي الفاء.

3ــ أصوات أسنانية ، أو أصوات ما بين الأسنان، وهي: الثاء والذال والظاء.

4ــ أصوات أسنانية ــ لثوية، وهي: التاء والدال والضاد والطاء واللام والنــون والراء والزاي والسين والصاد.

5ــ أصوات وسط الحنك، وهي: الجيم الفصيحة والشين والياء.

6ــ أصوات أقصى الحنك، وهي: الخاء والغين والكاف والواو.

7ــ أصوات لهوية، وهي القاف ، كما تنطق اليوم في اللغة الفصيحة.

8ــ أصوات حلقية، وهي: العين والحاء.

9ــ أصوات حنجرية، وهي: الهمزة والهاء.

4.1 **صفات الأصوات**:

تُعَدُّ مخارج الأصوات من الأسس التي لا غنى لنــا عنهــا للتمييــز بــين الأصوات، ولكنَّ علماء اللغة ــ قديماً وحديثاً ــ ، لاحظوا أنَّ مخــرج الــصوت غير كافٍ للتمييز بين الأصوات ؛ لأنَّك تجد أنَّ المخرج الواحد يشترك فيه غيــر صوتٍ، لذلك لجأوا إلى التمييز بينها من جانبٍ آخر، وهو صفات الأصوات: من جهر، وهمس، وشدةٍ، ورخاوة، وغير ذلك.

والنَّاظر في وصف المحدثين من الأصواتيين للأصوات العربية ، يجد بعض الخلاف بينهم وبين علماء العربية القدماء في وصفهم لهذه الأصــوات، ويــرى رمضان عبد التواب أنَّ سبب هذا الخلاف راجع إلى أمرين: " أولهما: أنَّ نطــق العربية الفصحى أصابه التطور ، فاختلف نطق بعض الأصوات في زماننا على مستوى النطق الفصيح، عنه في زمان أولئك القدماء..... والثاني: أن يكون نطق

الفصحى في زماننا هو بعينه نطق العرب القدماء، لم يصبه تطور، ولم يحدث فيه تغيير، غير أنَّ القدماء وهموا في وصف هذا النطق"[(1)].

والرأي الصواب في نظري ، هو القائل بالتطور اللغويِّ ، وخير دليل على هذا التطور ما تشهده اللغة العربية من ألوانٍ مختلفات من اللهجات العربية. وإن كان لا بدّ أن نقول إنَّ العرب قد وهموا في وصف نطق بعض الأصوات، فإنَّنا نلتمس لهم العذر في ذلك ، فلم تتهيأ لهم تلك الأجهزة الحديثة والمعامل الصوتية، التي تتوافر لدى الأصواتيين المحدثين في هذا الزمان. فقد وصفوا لنا الأصوات وصفاً دقيقاً - في ذلك الزمان الغابر - يوافق في أغلبه ما جاءت به المعامل الحديثة.

وما يهمنا هنا هو وصف المحدثين لهذه الأصوات، الوصف الذي اعتمد على معطيات العلم الحديث ، من معامل صوتية، وتسجيلات حديثة، تعطي الباحث القدرة على تَفَحُّصِ الأصوات والتَّمَعُّنِ في صفاتها، والقدرة على وصفها وصفاً دقيقاً .

5.1 الجهر والهمس:

يعدُّ كلٌّ من الجهر والهمس من الصفات التي تتماز بها الأصوات بعضها عن بعض، والصوت المجهور كما عرَّفه القدماء هو " حرف أُشْبِع الاعتماد في موضعه ومَنَعَ النَفَسَ أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[(2)] أمّا الصوت المهموس فهو " حرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه"[(3)].

أمّا في علم اللغة الحديث، فقد عرّف المحدثون من الأصواتيين الصوت المجهور بأنّه الصوت" الذي يهتز معه الوتران الصوتيان" وعلى العكس من

([1])عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص62.

([2])سيبويه، الكتاب، ج4، ص434. وانظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص60.

([3])المرجع نفسه، ج4،ص434. وانظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1،ص60.

المجهور عرفوا المهموس بأنه ذلك الصوت " الــذي لا يهتــز معــه الــوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به"[1]

نلحظ مما سبق أنَّ القدماء عرَّفوا الجهر والهمس معتمدين في الأساس علــى كيفية مرور الهواء في جهاز النطق، ولــم يــشيروا إلــى الــوترين الــصوتيين وأوضاعهما حال مرور الهواء، في تحديد المجهور والمهموس ، بينمــا اعتمــد المحدثون في تعريفهم للجهر والهمس على وضع الوترين الصوتيين مــن حيــث اهتزازهما أو عدمه[2].

ويقسم بشر الأصوات من حيث وضع الوترين الصوتيين إلى ثلاث مجموعات هي:

1ـــ الصوت المهموس ، وهو الصوت الحــادث فــي حــال انفــراج الــوترين الصوتيين أحدهما عن الآخر أثناء مرور الهواء من الرئتين ، بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي عارض في طريقه ، ومــن ثَــمَّ لا يتذبــذب الوتران الصوتيان. فالصوت المهموس إذن هو الصوت الــذي لا يتذبــذب الوتران الصوتيان حال النطق به.

والأصوات الصامتة المهموسه كما يراها بشر هي اثنا عشر صــوتاً (التــاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والفــاء، والقــاف، والكاف، والهاء) [3].

ومن خلال هذه القائمة نجد أنَّ بشرًا قد خالف القدماء في عدّه صوتي القــاف والطاء من الأصوات المهموسة، فقد عدّهما القدماء وعلى رأسهم ســيبويه مــن الأصوات المجهورة[4].

2ـــ الصوت المجهور، وهو الصوت الحادث في حال اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر أثناء مرور الهواء، وبسبب هذا الاقتراب يضيق الفــراغ

([1])أنيس، الأصوات اللغوية ، ص21.

([2])بشر، الأصوات العربية، ص88. وانظر: الخليل، المصطلح الصوتي، ص103.

([3])بشر، الأصوات العربية، ص 87.

([4])سيبويه، الكتاب ، ج4،ص434. وانظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1،ص60.

بين الوترين الصوتيين، بحيث يسمح بمرور الهواء ولكن مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة للوترين الصوتيين، وفي هذه الحالة يحدث ما يسمى بالجهر.

فالصوت المجهور إذن ، هو الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به. والأصوات الصامتة المجهورة ــ بحسب نقطقنا اليوم ــ هي خمسة عشر صوتاً: (الباء،والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والظاء، والعين، والغين، واللام، والميم، والنون، والواو في نحو (ولد، حوض)، والياء في نحو (يترك، بيت)).

3ــ صوتٌ صامتٌ لا هو بالمهجور ولا بالمهموس، وهو صوت (همزة القطع) ، ويحدث نطق هذا الصوت عند انطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً، بحيث لا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الانطباق، ومن ثُمَّ ينقطع النفس، فيعقب هذا الانطباق التَّامَّ انفراج مفاجئ للوترين الصوتيين، فيخرج الصوت الانفجاريُّ نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان محبوساً حال الانطباق التامِّ[1].

ويخالف بشر القدماء في عدّه الهمزة صوتًا لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، فقد عدَّها كلٌّ من سيبويه وابن جني مجهورة [2]. أمَّا المحدثون فمنهم من وافق بشرًا في هذا الرأي، فإبراهيم أنيس يصفها بأنَّها: " صوت شديد، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس"[3] ومنهم من عدّها مهموسة، من مثل: تمام حسان [4]، وعبد الرحمن أيوب[5]، ورمضان عبد التواب، الذي يقول: "ويأتي حكمنا بالهمس من

([1]) بشر، الأصوات العربية، ص87-88.

([2]) سيبويه، الكتاب ، ج4،ص434. وانظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1،ص60

([3]) أنيس، الأصوات اللغوية ، ص72.

([4]) حسان، مناهج البحث في اللغة، ص125-126.

(5) أيوب، عبدالرحمن، أصوات اللغة، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ص217 – 218.

أنَّ الأوتار الصوتية معه، تغلق تماماً، فلا يحدث فيها ذلك الاهتزاز اللازم لصفة الجهر"[1].

ويفسر بشر الرأي القائل بأن الهمزة لا بالمجهور ولا بالمهموس، بأنَّ وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمس. ويعلل رأي من قال بهمس الهمزة إلى أنَّهم ظنوا أنَّ المقصود بالهمس هو عدم الجهر. وأنَّهم لاحظوا في المرحلة الثانية، من نطق الهمزة، وهي المرحلة التي تصحب الانفجار. وفي هذه الحالة تكون الأوتار الصوتية في وضع الهمس[2].

ويؤكِّدُ بشر أنَّ رأي من قال بهمس الهمزة، رأيٌ غير دقيق بالنسبة لطبيعة الهمزة، إذ إنَّ الهمزة العربية لا تنطق بمرحلة واحدة، وهي مرحلة الهمس، بل إنَّها تنطق في مرحلتين: مرحلة انطباق الوترين الصوتيين، وفيها ينضغط الهواء من خلفها فينقطع النفس بفعل هذا الضغط. ومرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثاً انفجاراً مسموعاً . وهاتان المرحلتان متكاملتان ولا يمكن أن ينظر إلى إحداهما دون الأخرى[3].

والمرحلة الأولى ، مرحلة قطع النفس ، هي الأهمُّ في تكوين الهمزة من المرحلة الثانية. وهذا هو سبب تسميتها همزة القطع ، في رأي بشر. وفي هذه المرحلة تكون الأوتار الصوتية في وضع غير وضع الجهر والهمس معاً[4].

أمَّا إدخال المحدثين صوتي (القاف والطاء) في الأصوات المهموسة ، وإخراجهما من الأصوات المجهورة ، حسب نطقهم لهما في الوقت الحاضر، فهو مغاير لما جاء عن القدماء ، والذين عدّوا هذين الصوتين من الأصوات المجهورة.

([1])عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص56.

([2])بشر، الأصوات العربية، ص112.

([3])المرجع نفسه، ص112.

([4])المرجع نفسه، ص112.

فقد حاول المحدثون أن يبينوا الأسباب التي دعت القدماء إلى اعتبارهما من المجهورات ، فيفترض أنيس أنَّ حرف القاف كان في الأصل يشبه القاف المجهورة ، التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان وجنوب العراق. إذ نسمعها منهم نوعاً من (الغين) ، ثُمَّ هُمِسَ هذا الصوت مع توالي الزمن ممَّا أدى إلى ما نعهده الآن في قراءتنا ، وربَّما أنَّها كانت تشبه الجيم القاهرية ، وهو يرجح هذا الاحتمال(1).

وأمَّا تمَّام حسان ، فيعتقد أنَّ سيبويه ربَّما تكلم عن أخت للقاف المجهورة ، التي ينطق بها بعض العرب كالسودانيين ، فهي أقرب ما تكون إلى الغين ، ويعقِّب على ذلك بأنَّه لو عَلِمَ أنَّ القاف التي وصفها سيبويه تشبه القاف التي ينطقها المصريون الآن لما توانى عن تخطئته(2).

و بشر يرى أنَّهم ربَّما وصفوا صوت الجاف (G) ، وهي تمثل قافاً قديمة حنكية قصية مجهورة. ولا يزال أثرها قائماً في نطق الكثير من اللهجات الحديثة. وممَّا يؤكد أنَّه أثرٌ باقٍ لنطق قديم وجوده بهذه الكثرة في اللهجات العربية المعاصره، مثل لهجة الصعيد وغيرها(3).

أمَّا صوت الطاء فيرى أنيسٌ أنَّه كان صوتاً يشبه صوت الضاد الذي نعرفه الآن، وإنَّ هذا الصوت قد تطور وأصبح مهموساً(4).

أمَّا بشر فيفترض ثلاثة احتمالات جعلت القدماء يعدون صوت الطاء من الأصوات المجهورة ، وهي:ـ

1ـ أنَّهم أخطأوا التقدير فظنوا الطاء مجهورة، وقد يقبل هذا الاحتمال إذا علمنا أنَّهم لم يشيروا إلى العامل الأساسيِّ في حدوث ظاهرتي الجهر والهمس ، وهو وضع الوترين الصوتيين حال النطق بالأصوات.

---

(1)أنيس، الأصوات اللغوية ، ص67- 68.

(2)حسان، تمام، مصطلحات سيبوية في أصوات العربية، مجلة الأزهر ج10، 1380هـ، 1961م المجلد 32.ص1081.

(3)بشر، الأصوات العربية، ص111. و ص116 – 117.

(4)أنيس، الأصوات اللغوية ، ص51.

2ـ أنَّه حدث لهذا الصوت تطور، فلعلهم كانوا ينطقونه في القديم نطقًا يشبه نطق الضاد الحالية، ومعنى هذا أنَّ ضادهم كانت تختلف عن ضادنا الحالية، أي أنَّها صوت لا نظير له في نطقنا الحالي، ويؤكد هذا الاحتمال ما قاله سيبويه في أنَّ الضاد لا يخرج " من موضعها شيء غيرها "[1]. في حين أنَّ ضادنا الحالية تخرج من منطقة التاء والطاء والدال.

3ـ أنَّهم وصفوا صوتاً يشبه صوت الطاء الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد، ونطق بعض السودانيين ، وهو صوت الطاء مُشرَّبةً بالتهميز " أي إننَّا نشعر عند نطقها بوجود عنصر الهمز فيها "[2].

ففي حال النطق بهذه الطاء نسمع طاءً مهموزة، نتيجة إقفال الوترين الصوتيين حال النطق بها ، ومن ثمَّ انفصالهما فيخرج الهواء المضغوط خلف الأوتار الصوتية بقوة[3].

6.1 الشدة والرخاوة (الانفجار والاحتكاك):

ومن الصفات التي تتماز بها الأصوات بعضها من بعض ـ بالإضافة إلى مخارجها وصفتي الجهر والهمس ـ كيفية مرور الهواء حال النطق في الجهاز النطقيِّ. فنجد أنَّ القدماء من الأصواتيين قسموا الأصوات من حيث حالة ممر الهواء عند النطق بها إلى ثلاثة أقسام يوضحها قول ابن جني:" وللحروف انقسام آخر إلى الشدة والرخاوة وما بينهما. فالشديدة ثمانية أحرف، وهي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والدال، والتاء، والباء، ويجمعها في اللفظ: " أَجَدْتَ طَبَقَك" و " أجدك طبقْت". والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضاً، وهي: الألف، والعين، والياء، واللام، والنون، والراء، والميم، والواو،

---

(1) سيبوية، الكتاب ، ج 4، ص436.

(2) بشر، الأصوات العربية، ص103.

(3) حسان، مناهج البحث في اللغة ، ص122.

ويجمعها في اللفظ: " لم يَرْوِ عَنّا "، وإن شئت قلت: " لم يُرَوِّعْنـــا"، وإن شـــئت قلت: " لم يَرْعَوْنا ". وما سوى هذه الحروف والتي قبلها هي الرخوة "[1].

وقد عرَّف القدماء الصوت الشديد بأنَّه الحرف " الـــذي يمنـــع الـــصوت أن يجري فيه...... وذلك أنك لو قلت ألْحَجَ ثم مددت صوتك لـــم يجـــرِ ذلـــك "[2]. وعرّفوا الرخو على العكس من الشديد في سماحه بجريان الصوت معه،" وذلـــك إذا قلت الطَّسْ وانْقَضْ، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت"[3].

أمَّا بشر فعرّف الصوت الشَّديد (الانفجاريَّ) بأنَّه الصوت الذي ينـــتج " بـــأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضـــع ، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثم يطلـــق ســـراح المجـــرى الهوائي فجأة ، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً "[4].

كما عرَّف الصوت الرخو (الاحتكاكيَّ) بأنَّه ذلك الصوت الذي ينتج " بـــأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع ، بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعًا "[5].

يُلحَظُ ممَّا سبق أنَّ معيار التمايز بين الصوت الشَّديد والرخو عنـــد علمـــاء العربية القدماء، هو عدم جريان الصوت في الشديد وجريانه في الصوت الرخو[6] وقد سار المحدثون من علماء اللغة المسار نفسه، في جعلهم معيار التمـــايز بـــين الصوت الشديد والصوت الرخو، كيفية مرور الهواء عند مواضع النطـــق، ومـــا يحدث لهذا الممر من عوائق أو موانع تمنع خروج الهواء منعـــاً تامـــاً، أو منعـــاً جزئياً، أو ما يحدث له من تغير أو انحراف[7].

---

(1) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1،ص61.

(2) سبويه، الكتاب، ج4، ص434.

(3) المرجع نفسه، ج4، ص434 – 435.

(4) بش، الأصوات العربية، ص100.

(5) المرجع نفسه، ص118.

(6) الخليل، المصطلح الصوتي، ص109.

(7) بشر، الأصوات العربية، ص98.

وقد قسم بشر الأصوات الصامتة من هذه الناحية إلى مجموعــات رئيــسة، هي:

1ـ الأصوات الانفجارية ، وتسمى الوقفات أيضاً وهي: (الباء، والتاء، والــدال، والضاد، والطاء، والكاف، والقاف، والهمزة).

2ـ الأصوات الاحتكاكية، وهي، (الفاء، والثــاء، والــذال، والظــاء، والــزاي، والسين، والصاد، والشين، والخاء، والغين، والحاء، والعين، والهاء).

3ـ صوت انفجاري احتكاكي أو (مركب) وهو الجيم.

4ـ صوت مكرر وهو الراء.

5ـ صوت جانبي وهو اللام.

6ـ أنصاف الحركات وتتمثل في الواو والياء(1).

عند مقارنة تقسيمات المحدثين بتقسيمات القدماء للأصوات باعتبار حالة ممر الهواء عند مواضع النطق نجد ما يأتي:

1ـ أنَّ المحدثين قد أطلقوا على الأصوات الشديدة اسم الأصــوات الانفجاريــة، وعلى الأصوات الرخوة اسم الأصــوات الاحتكاكيــة، وعلــى الأصــوات المتوسطة اسم الأصوات بين الشديدة والرخوة حيث يقول بشر: " وكان مــن الأولى بهم - أي القدماء - أن يفسروا التوسط بما ليس شدة ولا رخاوة "(2).

2ـ ذكر القدماء الجيم ضمن الأصوات الشديدة، أمَّا المحدثون فعــدوها صــوتًا مركبًا.

3ـ لم يذكر القدماء الضاد ضمن الأصوات الشديدة، أمَّــا المحــدثون فجعلوهــا انفجارية.

4ـ سمَّى القدماء الأصوات التي ليــست انفجاريــة ولا احتكاكيــة بالأصــوات المتوسطة، أمَّا المحدثون فسموها الأصوات المائعة(3). ويعارض بشر القدماء

---

(1)بشر، الأصوات العربية، ص98.

(2)المرجع نفسه، ص99.

(3) أنيس، الأصوات اللغوية، ص25.

في تسميتهم هذه الأصوات المتوسطة، وكان من الأولى بهم أن يفسروا التوسط بما ليس شدة ولا رخاوة[1].

5ــ يعد القدماء صوت العين من الأصوات المتوسطة أما المحدثون فيعدونه من الأصوات الاحتكاكية ، وهي أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكًا.

أمَّا صوت الجيم فيذهب بشر إلى أنَّه صوت مركب (أي انفجاري احتكاكي)، يكون النطق به بأن يرتفع مقدم اللسان تجاه مؤخّر اللثة ومقدم الحنك، حتى يتصل بهما ، محتجزاً وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثُمَّ بدلاً من أن ينفصل عنهما فجأة ــ كما في نطق الأصوات الانفجارية ــ يتم الانفصال ببطء ، فيعطي الفرصة للهواء بعد الانفجار أن يحتك بالأعضاء المتباعدة احتكاكًا شبيهًا بما يُسمع من صوت الجيم الشامية[2].

فهذا الصوت مركب يتكون من جزأين: الجزء الأول منه صوت قريب من الدّال. والثاني صوت معطش كالجيم الشامية[3]. وهذا ما قرره تمام حسان عندما قال: " ومعنى التركيب هنا أنَّ نطق هذا الصوت يستلزم طريقتين من طرق النطق: أولاهما الشدة أو الانفجار، والثانية الرخاوة أو الاحتكاك "[4].

أمَّا أنيس فيرى أنَّ الجيم المستعملة الآن عند مجيدي القراءات القرآنية، هي الأقرب إلى الجيم الأصلية، وهو يفضل تسمية هذه الجيم العربية الفصيحة (صوتاً قليل الشدَّة) [5].

ويذكر أنيس كذلك أنَّ للجيم من الناحية الصوتية ثلاثة أنواع: شديدة خالصة الشدة، وتلك هي الجيم القاهرية، ومتوسطة بين الشدة والرخاوة فيها من الصفتين وتلك هي الفصيحة، والجيم الرخوة خالصة الرخاوة، وهي الجيم الشامية[6].

---

(1)بشر، الأصوات العربية، ص99.

(2)المرجع نفسه، ص99.

(3) المرجع نفسه، ص126. وانظر: أنيس، الأصوات الغوية، ص66.

(4)حسان، مناهج البحث في اللغة، ص131 – 132.

(5)أنيس، الأصوات اللغوية، ص66.

(6)المرجع نفسه ، ص66.

فالمحدثون هنا يخالفون القدماء في عدهم الجيم الفصيحة صــوتاً مركبــاً لأن القدماء عدوها صوتاً شديداً أي انفجاريًّا صرفًا.

ويفسر بشر ما ذهب إليه القدماء في عدهم صوت الجيم شــديداً (انفجاريــاً) بتفسيرين اثنين:

الأول: أنَّهم وصفوا صوت الجيم بأنَّه شديدٌ (انفجاريٌّ) ، متأثرين بــالجزء الأول من نطقه، وهو الجزء المتمثل بانحباس الهواء عند بدايــة النطــق بــه، وهــذا الانحباس هو المُكَوِّن للصوت الانفجاريِّ. وهذا يعني أنهم أهملوا الجزء الثــاني، وهو الانتقال من الانحباس إلى الانفجار البطيء الذي يحدث احتكاكاً.

والثاني: رُبَّما كانت الجيم تنطق في القديم بما يشبه الجيم القاهرية(g)في اللغــة العامية المستعملة اليوم عند أبناء القاهرة، وهذه الجيم الأخيرة شديدة أي انفجاريــة ولا شك، وهذا هو ما يرجحه بشر.

ومعنى كل ما تقدم أنَّ للجيم في اللغة العربية ولهجاتها ثلاث صور:

الأولى: صوت لثوي ــ حنكي، مركب (انفجاري احتكاكي) مجهور [dj] ، وهــو الصوت المستعمل لدى مجيدي القراءات القرآنية.

الثانية: صوت قصي انفجاري مجهور [g] ، وهو السائد الآن في بعض جهــات اليمن شماله وجنوبه، وفي حواضر جمهورية مصر العربية، ويقال إنَّه الأصــل في النطق.

الثالثة: صوت لثوي ــ حنكي احتكاكي مجهور [j] ، وهو نطق الشاميين(1).

أمَّا صوت الضَّاد، فقد عدَّه القدماء من الأصوات الرخوة، فــي حــين عــدَّه المحدثون من الأصوات الشَّديدة، وقد اختلفت وجهات النظر في هــذا الــصوت قديماً وحديثاً.

أمَّا قديماً فيؤكد مكي بن أبي طالب (ت 437هـــ) فــي كتابــه (الرعايــة) مسألتين:

(1) بشر، الأصوات العربية، ص126، ص 128.

أولاهما: صعوبة نطق هذا الصوت. والثانية: اختلاطه بالظاء فيقول: " والـضَّاد يشبه لفظ الظاء، لأنَّهما من حروف الإطباق ومن الحروف المستعلية، ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من استطالة، لكان لفظهما واحدًا ولم يختلفا في السمع"[1].

أمَّا عدم ذكر القدماء لها في الأصوات الشديدة، فيعزوه بشر إلى سببين اثنين:
أحدهما: يتعلق بموضع النطق، فقد نسبها سيبويه[2] إلى منطقة تلي منطقة الجيم والشين والياء، فالضاد ـــ في رأي القدماء ـــ تخرج من منطقة قريبة من وسط الحنك، أي أنَّها صوت لثوي ـــ حنكي، وهذا في حقيقة الأمر يختلف عمَّا قرَّره المحدثون، إذ عدوا مخرج الضَّاد من نقطة الدَّال والتَّاء والطَّاء، وهي أصوات أسنانية ـــ لثوية[3].

ويفسر بشر ما ذهب إليه القدماء بأمرين:
الأول: أنَّ لغويِّي العرب قد أخفقوا في تحديد الموضع الدَّقيق لنطق الضَّاد، وهو احتمال غير وارد عند بشر.
والثاني: أنَّهم كانوا يتكلمون عن ضاد غير تلك الضاد التي نعرفها الآن، وممَّا يؤيد ذلك قول سيبويه نفسه: " لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضَّاد من الكلام، لأنَّه ليس شيءٌ من موضعها غيرها"[4].

([1])القيسي ، مكي بن أبي طالب، أبو محمد ، حموش بن محمد بن مختار (437 هـ) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق حسن فرحات ، دار الكتب العربية – دمشق.1973م.ص158-159.
([2])سيبويه، الكتاب، ج4، ص433.
([3])بشر، الأصوات العربية، ص105.
([4])سيبوية، الكتاب، ج 4، ص436.

ويتضح من قول سيبويه السابق " أنَّه نسب الضَّاد إلى موضع لا يشترك معها فيه غيرها.على حين أنَّ ضادنا الحالية تخرج من النقطة التي تخرج منها التـــاء والدال والطاء"[1].

والثانية: ــ بالإضافة إلى موضع النطق ــ حالة ممر الهواء عند هذا النطق، وفي هذا يقول ابن جني: "فإن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شـــئت مـــن الجانب الأيسر "[2].

ومعنى هذا الذي قاله ابن جني أنَّ الضَّاد كاللام تماماً . في حين عدَّها بـــشر صوتًا يجمع بين (ظاهرة خروج هوائها مـــن جـــانبي الفـــم كـــاللام، وظـــاهرة الاحتكاك) ، وبسبب اجتماع هاتين الظاهرتين معاً ، نحس بصعوبة بالغـــة فـــي نطق هذه الضاد[3].

ويذهب بشر إلى احتمال أن يكون القدماء قد " وصـــفوا الـــضَّاد المولَّـــدة لا الضَّاد العربية الأصلية " ويرجح هذا الاحتمال قوله: " ربمـــا لكثـــرة اســـتعمال الصوت المولَّد وشيوعه على الألسنة عند قيام حركة التأليف اللغويِّ"[4].

أمَّا تمام حسان فيؤكد تطور صوت الضاد، إذ يرى أن الضَّاد الفصحى كانت جانبية مع رخاوتها، وأنَّ الهواء الخارج في نطقها يخرج مـــن جانـــب اللـــسان ويحتك به. ويؤكد أنَّ هذه الأوصاف (النطق الأســـناني، والرخـــاوة، والجهـــر، والإطباق، والتفخيم، والاستفالة، والاستعلاء) التي كانت تتـــصف بهـــا الـــضَّاد الفصيحة قديماً ، تشير إلى ضاد غير شبيهةٍ بما ننطقه في الوقت الحاضر[5].

([1])بشر، الأصوات العربية، ص105.

([2])ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1،ص47.

([3])بشر، الأصوات العربية، ص107.

([4]) المرجع نفسه، ص108.

([5])حسان، مناهج البحث في اللغة، ص121.

7.1 صفات متفرقات:

ينتج عن حال مرور الهواء عند مواضع النطق حالة أخرى، غير حالتي الانفجار و الاحتكاك، فقد يكون اللسان مسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين، مما يفضي إلى تكرار ضربات اللسان على اللثة تكراراً سريعاً، مع تذبذب في الأوتار الصوتية عند خروج الهواء، محدثاً صوت الراء، وقد اطلق علية القدماء الصوت المكرَّر، وقد ذهب إلى هذا كلٌّ من بشر[1] و أنيس [2]، أمَّا تمَّام فسمَّاها الأصوات المستمرة[3]، ويمثل هذه الأصوات في اللغة العربية صوت الراء.

أمَّا محمود السعران، فيضيف شكلاً آخر من أشكال الراء ويطلق عليها اسم (الصوامت المستلة) أو (المستلبة أو المفردة)، وتتكون هذه الصوامت بإحداث طرقة واحدة من عضو مرن كطرف اللسان، على عضو آخر كاللثة، بحيث لا يستغرق الاتصال زمناً ملحوظًا، ومن أمثلة هذه الأصوات كما يراها السعران (الراء المستلة) [4].

وتتكون الراء المستلة كما تتكون الراء المتكررة ، ولكن ليس فيها إلّا طرقة واحدة من طرف اللسان على اللثة. ويحدث الوتران الصوتيان عند النطق بها نغمة موسيقية ، وعلى هذا يصفها السعران: صامت مجهور لثوي مستل[5].

أمَّا الأصوات الجانبية، فهي تلك الأصوات التي تتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو أحدهما،

---

(1)بشر، الأصوات العربية، ص129.

(2)أنيس، الأصوات اللغوية، ص55.

(3)حسان، مناهج البحث في اللغة، ص132.

(4)السعران، علم اللغة، ص 143.

(5)المرجع نفسه، ص143.

وهذا هو معنى الجانبية، وتحدث ذبذبة في الأوتار الصوتية حال النطق به، ويمثل هذه الأصوات في اللغة العربية صوت اللام[1].

وقد سمَّاها القدماء بالأصوات المنحرفة، مفسرين هذه التسمية بأنَّ اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت ، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين وما فويقهما[2].

أمَّا الأصوات الأنفية، وهي التي تتكون بأن يحبس الهواء حبسًا تامًا في موضع من الفم، ومن ثمَّ يخفض الحنك اللين، فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف. ومن الأصوات الأنفية الميم و النون.

فأمَّا الميم، فهو صوت شفويٌّ أنفيٌّ مجهور، يحدث بأن تنطبق الشفتان انطباقًا تامًا عند النطق به، فيُمنع تيار الهواء من الخروج من بينهما منعًا تامًا، ولكن تيار الهواء لا يتوقف، بل يغير اتجاهه نحو الحجرة الأنفية، فيتمكن من المرور عن طريق الأنف، بسبب ما يعترضه من ضغط. ويحدث تذبذب في الوترين الصوتيين حال النطق به[3].

وأمَّا النون ، فصوت أسنانيٌّ لثويٌّ أنفيٌّ مجهور، يحدث بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة، ويخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف. ويتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به[4].

أمَّا محمود السعران فهو يفضل أن يسميها بالصوامت الغناء، ويوافق بشر في كيفية حدوث هذه الأصوات[5].

وهذه الأصوات الأربعة السابقة (ل، ر، ن، م) مضمومًا إليها (العين) أطلق عليها العلماء القدماء (الأصوات المتوسطة) وجمعوها في قولهم (لم نرع)

([1]) بشر، الأصوات العربية، ص129. وانظر: السعران، علم اللغة، ص141.

([2]) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1،ص63.

([3]) بشر، الأصوات العربية، ص130.

([4]) المرجع نفسه، ص130.

([5]) السعران، علم اللغة، ص141.

وتوسطها هذا حسب رأيهم توسط بين الشدة والرخاوة (الانفجـــار والاحتكـــاك). وهذا تقدير غير دقيق في نظر بشر لأنَّه يفضل أن توصف بـــصفة التوســـط لا بالرخاوة ولا بالشدة، وإنَّما هي من نوعٍ آخر، سمَّاها بشرٌ (بأشـــباه الحركـــات)، مفسرًا ذلك بأنَّ هذه الأصوات تتسم بخواص الأصوات الـــصامتة، ولكنَّهـــا فـــي الوقت نفسه تبدي شبهًا معينًا بالحركات(1).

وسبب شبهها بالحركات، هو أنَّ هذه الأصوات تشبه الحركـــات فـــي أهـــمِّ خصائصها، وهي قوة الوضوح السمعيِّ. فهواء هذه الأصوات يخرج حرًا طليقًـــا كالحركات تمامًا، والفارق فيه أنَّ هواء الحركات يخرج من وسط الفم، ولكنَّه مع اللام يخرج من جانبي الفم ومع النون والميم من الأنف(2).

و الراء ، تشبه الحركات بسب حرية الهواء عند خروجه ، بسبب الاتـــصال والانفصال المتكررين. أمَّا العين فهي وإن كانت احتكاكية، فهـــي لاتـــزال أقـــلَّ الأصوات الاحتكاكية احتكاكا ً، وهذه الصفة وهي قلة الاحتكاك ، تسوِّغ لنـــا أن نضمَّ صوت العين إلى الأصوات الشبيهة بالحركات(3).

ويعتقد بشر أنَّ العلماء القدماء قد انتبهوا – بعض الانتباه – إلى هذه الـــصفة (شبه الحركات)، والذي يؤيد هذا الاحتمال أنَّهم ضمّوا إلى هذه الأصوات الأربعة السابقة أصواتاً أخرى شبيهة بالحركات، بل هي حركات بالفعل ، فقد ضمّوا إليها الياء، والواو، والألف، وجمعوها كلَّها في قولهم " لم يَرْوِعَنَّا " أو " لـــم يُروَعنَّـــا "(4).

ويكون كلامهم مقبولًا إذا فسَّرنا الواو والياء بأنَّهما الواو والياء في نحو: (ولد، و يترك) ذلك لأنَّ الواو والياء هنا لهما شبه كبير بالحركـــات ، ولكنَّهـــا تـــؤدي وظائف الأصوات الصامتة، ولذلك سميت (أنصاف حركات) (semi-vowels). أمَّا إذا كان قصدهم بالواو والياء في نحو (أدعو، وأرمي) فتقديرهم غير مقبـــول،

---

(1)بشر، الأصوات العربية، ص131.

(2)المرجع نفسه ، ص 131.

(3) المرجع نفسه، ص131.

(4)المرجع نفسه ، ص 131.

لأنَّ الواو والياء في هذين المثالين حركات صرفة ، ومن الخطأ ضمهما مع بقية هذه الأصوات ، أمَّا ذكرهم الألف في هذه الأصوات فهو خطأ على كـل حـال، وذلك لأنَّ الألف هنا ليس إلا حركة[1].

نخلص من الحديث عن صفات الأصوات إلى أنَّ آراء كمال بشر جاءت بين الموافقة و التأييد للقدماء حيناً، و المخالفة والتجديد حيناً آخر. فقد ذهب إلـى أنَّ الجيم صوت مركب، أي (انفجاريٌّ احتكاكيٌّ) وفي هذا يخـالف القـدماء الـذين وصفوه بأنَّه صوت شديد ، أي انفجاريٌّ صرف.

كما خالف القدماء في عدِّه صوت الضاد صوتًا شديدًا (انفجاريًّا) ، في حـين عدَّه القدماء صوتًا رخوًا (احتكاكيًّا). ويفسر السبب في جعـل القـدماء صـوت الضاد من الأصوات الرخوة ؛ بأنَّهم وصفوا الضَّاد المولَّدة لا الـضَّاد العربيـة الأصلية، وهذا رأي انفرد به بشر عن غيره من المحدثين.

كما خالف بشر القدماء في حكمهم على (الطاء، والقـاف، والهمـزة) بأنَّهـا مجهورة، في حين عدَّ بشر الصوتين الأولين مهموسين، والهمزة لا بالمهموسة ولا بالمجهورة. وهو في هذا الرأي يتفق مع بعض المحدثين ويخالف بعضهم الآخـر. فيتفق مع أنيس في عدِّه الهمزة صوتًا لاهو بالمجهور ولا بالمهموس. ويخالف كلًّا من تمام حسان، و عبدالرحمن أيوب، و رمضان عبدالتواب، فقد عـدَّها هـؤلاء صوتًا مهموسًا ظنًا منهم بأنَّ معنى الهمس عدم الجهر، وأنَّهم لاحظـوا المرحلـة الثانية من مراحل نطق الهمزة، وهي المرحلة التي تصحب الجهـر، وفـي هـذه المرحلة يكون الوتران الصوتيان في وضع الهمس.

وقد خالف بشر القدماء في تسميتهم الأصوات التي ليست شـديدة ولا رخـوة بالأصوات (المتوسطة)، إذ يرى أنَّه من الأولى بهم أن يفسروا التوسط بما لـيس شدة ولا رخاوة.

---

(1) بشر، الأصوات العربية، ص 132.

وخالفهم أيضًا في تفسير تسميتهم الأصوات المتوسطة بأنَّها متوسطة بين الشدَّة والرخاوة، ويفسرهو التوسط بأنَّه ليس بالشدة ولا بالرخاوة، ويطلق على هذه الأصوات اسم أشباه الحركات وهذه الأصوات هي: (ل، م، ن، ر، ع).

8.1 الحركات (الصوائت):

لقد درس علماء العربية القدماء الحركات وعرفوها، ولكنَّهم نظروا إليها و تعاملوا معها كما لو كانت شيئًا عارضًا، أو تابعًا للحروف (الأصوات الصامتة)، دون أن يكون لها كيان أو استقلال خاصٌّ. فقد كانت الإشارة إليها دائمًا سطحية.[1] وقد ميَّزوا الحركات (الأصوات الصائتة) من الأصوات الصامتة، فالحركات عندهم ثلاث، قد تكون قصيرة وقد تكون طويلة، فالقصيرة عندهم (الفتحة، والضمة، والكسرة) و الطويلة ما سموها بحروف المد واللين ، وهي: (الألف في مثل قال، والياء في مثل قيل، والواو في مثل يقول). وما قول ابن جني إن " الفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو"[2] إلا بيانٌ لحسهم الدقيق بالفرق بين هذه الأصوات[3].

وعلى العكس من القدماء فقد أولى المحدثون الحركات (الصوائت) عناية خاصة تفوق العناية التي أولوها للأصوات الصامتة، ومرجع هذه العناية هو اختلاف هذه الحركات من لغة إلى أخرى اختلافًا كبيرًا، بل إن هناك اختلافًا بين حركات اللغة الواحدة، فإذا قارنا مثلًا حركات اللغة العربية حين يتكلم بها العراقي مع حركاتها حين يتكلم بها المصري، فإننا سنجد اختلافًا بين هذه الحركات، وهذا يعود إلى الاختلاف في اللهجات ؛ وهذا ما دعاهم إلى استنباط مقاييس عامة لأصوات اللين تقاس بها أصوات اللين في كل لغة وتنسب إليها[4].

---

(1)أنيس، الأصوات اللغوية، ص38.

(2)ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1،ص17.

(3)بشر، الأصوات العربية، ص147 – 148.

(4)المرجع نفسه ، ص137.

ويضيف كمال بشر أسبابًا أخرى جعلت المحدثين يعنون هذه العناية بالحركات منها:

1- الحركات أصعب من الأصوات الصامتة في النطق إلى حدٍّ ملحوظ.
2- الخطأ في نطق حركات اللغات الأجنبية عامل من عوامل سوء الفهم...... بسبب شدة الشبه والقرب بين بعض الحركات في بعض اللغات الأجنبية، فأي خطأ في نطق هذه الحركات يؤدي إلى اللبس وعدم الفهم.
3- الخطأ في نطق الحركات أوضح منه وأظهر في نطق الأصوات الصامتة...... فالحركات أوضح في السمع و أقوى إذا قيست بالأصوات الصامتة[1].

أمَّا تعريف الحركات (الصوائت) ، فقد أخذه المحدثون عن عالم الأصوات دانيال جونز، الذي يُعَرِّف الصوت الصائت (الحركة) ، بأنَّه الصوت المجهور الذي يخرج الهواء عند النطق به في مجرى ً مستمرٍّ خلال الحلق أو الفم، من غير أن يتعرَّض لتدخل أعضاء آلة النطق تدخلاً يؤدي إلى حبس أو تضييق يسبب احتكاكاً مسموعاً[2].

ويعد جونز من أوائل من عني بهذه الأصوات (الحركات)، فقد وضع مقاييس عامة لهذه الأصوات تعرف من خلالها، وهي ما يعرف بـ (الحركات المعيارية). إذ اعتمد في دراسته على عضوين مهمين في تكوين هذه الحركات وهما: (الشفتان، واللسان)، وهما العضوان الرئيسان في تعديل مجرى الهواء الصاعد من الرئتين خلال الفم، وقد نظر جونز إلى اللسان باعتبارين:

1ـ وضعه بالنسبة للحنك الأعلى ، من حيث الارتفاع والانخفاض.
2ـ الجزء المعين من اللسان الذي يحدث فيه الارتفاع والانخفاض.

أما الشفتان فنظر إليهما من حيث:

1ـ ضمهما.

---

(1)بشر، الأصوات العربية، ص137-138.

(2)انظر:أيوب، أصوات اللغة، ص156-157. والسعران، علم اللغة، ص124. و بشر، الأصوات العربية، ص74.

2ــ انفراجهما.

3ــ من حيث وضعهما في وضع محايد[1].

وبهاتين النظرتين توصل جونز إلى وضع ثماني حركات معيارية هي: (i- ∂-ε-a-ā -ɔ-o-u) (تقرأ من اليسار). بالاضافة إلى حركات غامضة الصفة نوعاً ما، ɔ وغير واضحة في الحدود نسبياً، إذا قيست ببقية الحركات المعيارية سالفة الذكر. وأهم هذه الحركات الغامضة والمثال النموذجي لها هي الحركة المرموز لها بالرمز (∂) في مقياس دانيال جونز[2].

وقد حاول الأصواتيون المحدثون من العرب ، أن يحذوا حذو الباحثين الغربيين في هذا المجال ، فعرضوا لنظام الحركات وشرحوه، وحاولوا تطبيق مقياس جونز على الحركات العربية، كما جاء عند أنيس وتمام، وقد لاحظ المحدثون أنَّ الحركات في العربية تختلف دراستها في الفصحى عنها في العامية، وفي هذا يقول بشر:"ممَّا لا شك فيه أنَّ هذه الحركات تختلف اختلافاً من نوع ما في البلاد العربية، بسبب تأثر كلِّ إقليم بلهجاته المحلية "[3].

ويعزو تمام حسان السبب في ذلك إلى أمرين اثنين:

الأول: أنَّ حروف العلة في اللهجات العاميَّة أكثر منها في الفصحى، فالفصحى تعترف بثلاثة حروف علّة، يختلف كلٌّ منها بين الطول و القصر، ويمكن تسميتها (الكسرة، والفتحة، والضمة). في الوقت الذي تعترف فيه اللهجات العامية بخمس يمكن تسميتها (الكسرة، والخفضة (أي الفتحة الممالة)، والفتحة، والرفعة (أي الضمة الممالة)، والضمة).

والثاني: نظام التفخيم في اللهجات العامية يختلف عنه في الفصحى[4].

وفي هذا السياق، درس بشر كغيره من الأصواتيين الحركات، وأطلق عليها اسم (الأصوات الصائتة أو الصوائت)، معللا ذلك بأنَّ صيغة هذا المصطلح

([1])بشر، الأصوات العربية، ص139-140.

([2])المرجع نفسه ، ص 140.

([3])المرجع نفسه ، ص147.

([4])حسان، مناهج البحث في اللغة، ص136.

تتناسق في المبنى والوزن مع صيغة المصطلح المقابل له ، وهـو (الأصـوات الصامتة أو الصوامت) [1].وقد وافقه في هذه التسمية محمود السعران[2].

ويجعل بشر دراسته للحركات مخصوصة بحركات اللغة الفصحى التـي ينطقها المتخصصون والقراء المجيدون في جمهورية مصر العربية فقط، إذ " إنَّ العربية في مصر الآن تشتمل على ثلاث حركات رئيسة تختلف طولاً وقـصرًا" وبهذا يعدها ست حركات على أساس الطول والقصر، وقـد تعتريهـا صـفات مختلفة بسبب السياق الصوتي الذي تقع فيه[3].

وهذا ما أكَّده رمضان عبد التواب، وهو أنَّ الفرق بين الحركات القـصيرة والحركات الطويلة، إنَّما هو فرق في الكمية لا في الكيفية، فوضع اللـسان فـي كليهما واحد، لكنَّ الفارق في الزمن يطول ويقصر، فإذا قـصر كـان الـصوت قصيرًا وإذا طال كان الصوت طويلًا[4].

ويقسم بشر الحركات العربية تقسيمًا آخر، من حيـث الـصفات النطقيـة ويجعلها تسع حركات هي:ـ

1ـ الفتحة المفخمة ومثالها صَبَرَ.

2ـ الفتحة المرقق ومثالها سَبَرَ.

3ـ الفتحة الوسطى (بين البينين) ومثالها قَبَرَ.

4ـ الكسرة المفخمة ومثالها صِيام.

5ـ الكسرة المرققة ومثالها نِيام.

6ـ الكسرة الوسطى (بين البينين) ومثالها قِيام.

7ـ الضمة المفخمة ومثالها صُمْ.

8ـ الضمة المرققة ومثالها دُمْ.

---

(1)بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة،2000، ص424.

(2)السعران، علم اللغة، ص124.

(3)بشر، الأصوات العربية، ص148.

(4)عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص96.

9ـ الضمة الوسطى (بين البينين) ومثالها قُمْ[1].

فالحركات الأساسية (الفتحة، والضمة، والكسرة) مفخمة مع أصوات الإطباق (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء)، وهي في الحالة الوسطى (بين البينين) أي بين التفخيم والترقيق مع (القاف، والغين، والخاء)، ولكنها مرققة مع المواقع الصوتية الأخرى[2].

فالحركات عند بشر بحسب التقسيم السابق ثماني عشرة حركة ، إذا روعي الطول والقصر، والمواقع الصوتية التي تقع فيها، من (ترقيق وتفخيم وحالة وسطى). أمَّا من ناحية الوظيفة فهي ثلاث حركات فقط ، ويمكن أن يؤخذ الطول والقصر (الكم) في الحسبان لأهميته في البناء والدلالة، وعلى هذا فالحركات العربية عند بشر ست حركات[3].

وقد وازن بشر بين الحركات العربية والحركات العالمية المعيارية، فجاءت هذه الموازنة على مرحلتين: الأولى ، وازن فيها بين الحركات العربية الثلاث الرئيسة وهي (الكسرة (i) والفتحة (a) والضمة (u)). والثانية، يوازن فيها بين الحركات المعيارية و الحركات العربية الثلاث، مشيراً إلى صفاتها الطارئة عليها وهي (التفخيم والترقيق، والحالة الوسطى (بين البينين)).

فأورد بشر رسمين بيانيين يوضح فيهما المرحلتين السابقتين[4]. وأجزت لنفسي دمج الشكلين مع بعضهما، لغاية التسهيل والتوضيح وإزالة اللبس. وهو الشكل الآتي:

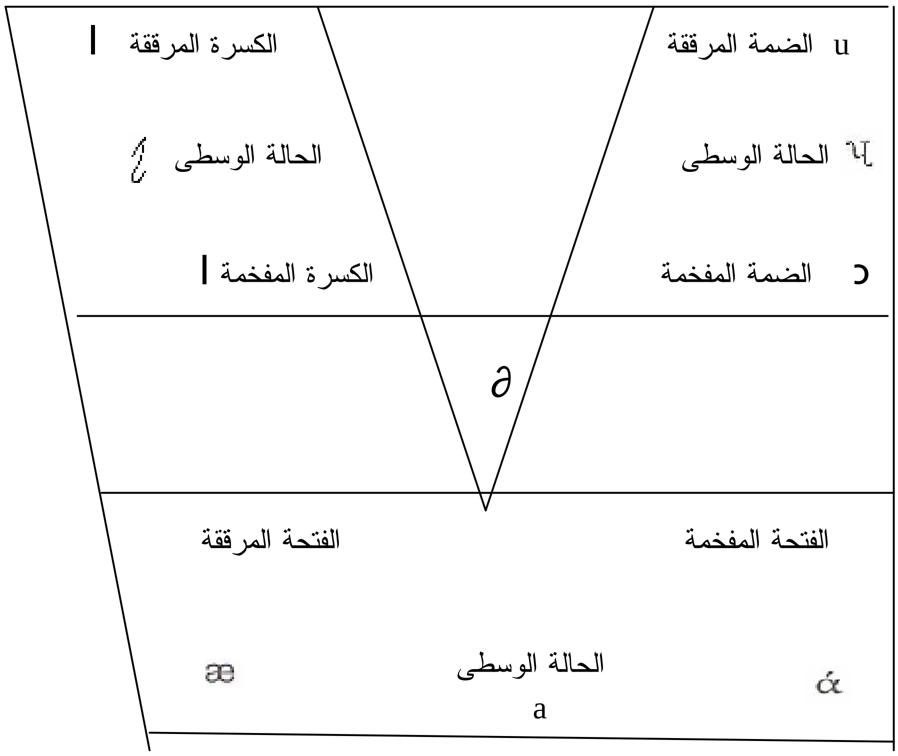
([1])بشر، كمال، الأصوات العربية ، ص 149 – 150.

([2])المرجع نفسه، ص 150.

([3])المرجع نفسه، ص 150.

([4])انظر: بشر، علم الأصوات، ص465-467. و انظر: حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 109-110.

أمامية المركزية(9) خلفية



أمامية خلفية

وقد خلص بشر من خلال مقارنته الحركات العربية الرئيسة والحركات المعيارية العالمية إلى ما يأتي:

1ـ أنَّ أقرب الحركات العربية الرئيسة إلى الحركة المعيارية رقم [1] هي الكسرة العربية، بل هي مثلها تقريباً مع وجود فارقين:

الأول: أنَّ الكسرة العربية حركة ضيقة، ولكن بدرجة أقل من المعيارية رقم [1].

الثاني: أنَّ الكسرة العربية حركة أمامية ولكن ليست بالدرجة التي توصف بها الحركة المعيارية رقم [1].

2ـ الفتحة العربية أقرب ما تكون إلى الحركتين المعياريتين رقم [4] ورقم [5]. أو هي بينهما من حيث جزء اللسان، فاللسان في الفتحة العربية يكاد يكون مستوياً في قاع الفم، مع ارتفاع ضعيف في وسطه، فهي حركة متوسطة.

3ــ الضمة العربية أقرب ما تكون من الحركة المعيارية رقم [8] أو هي مثلها مع وجود فارقين اثنين:

الأول:أنَّ الضمة العربية حركة ضيقة ولكن ليست بالدرجــة التــي تــصل إليهــا المعيارية رقم[8].

الثاني: أنَّ الضمة العربية حركة خلفية، ولكنَّها لا تبلغ مبلغ المعيارية رقم [8] في هذا الشأن[1].

أمَّا في حالة الموازنة بين الحركات العربيــة بــصفاتها الــصوتية: (التفخــيم والترقيق والحالة الوسطى) ، فيخلص بشر إلى ما يأتي:

1ــ أعطى كل حركة رمزاً خاصاً للتمييز بين الحركــات وصــفاتها ، فالكــسرة المرقة علامتها { i } والمفخمة { [illegible] } والحالــة الوســطى { I }. والفتحــة المرققة علامتها {æ} والمفخمة { [illegible] } والحالة الوسطى {a}. والضمة المرققة علامتها {u} والمفخمة { c } والحالة الوسطى { [illegible] }.

2ــ إنَّ الكسرة المرققة أقرب الكسرات إلى المعيارية رقم [1] من حيــث أماميــة اللسان ودرجة ارتفاعه، ومن حيث تقدم أعلى نقطة من هذا الجزء المرتفع أو تأخرها.

أمَّا الكسرة المفخمة فهي في منطقة المعيارية رقم [1]، ولكنَّها تختلف عنها في شيئين:

الأول: مقدم اللسان أقل ارتفاعا مع الكسرة المفخمة منه مع المعيارية رقم [1].

الثاني: أعلى نقطة في الجزء الأمامي من اللسان مع الكسرة المفخمة ، تبعد إلــى الوراء عن أعلى نقطة مع المعيارية رقم [1].

3ــ الفتحة المرققة هي المركز الوسط بين المعيارية رقم [3] والمعيارية رقم [4]. أمَّا الفتحة المفخمة فهي أقرب ما تكون إلى المعيارية رقم [5]، أو هي مثلهــا مع وجود فرقين:

الأول: أنَّ خلف اللسان مع الفتحة المفخمة يكون أعلى منه مع المعيارية رقم [5].

([1])بشر، الأصوات العربية، ص151-152.

الثاني: أنَّ أعلى نقطة في هذا الجزء الخلفي مع الفتحة المفخمة متقدمة قليلاً على أعلى نقطة في هذا الجزء الخلفي من اللسان حين النطق بالمعيارية رقم [5]. (1)

4ــ الضمة المرققة قريبة من المعيارية رقم [8] ، من حيث درجة علو مؤخر اللسان ، مع فرق واضح، وهو أنَّ أعلى نقطة في الجزء الخلفي من اللسان مع الضمة العربية متقدمة إلى حد ملحوظ عن أعلى نقطة مع المعيارية رقم [8]. أمَّا الضمة المفخمة فهي أقرب ما تكون من المعيارية رقم [7] مع فرق واضح، هو أنَّ الجزء الخلفي من اللسان حال النطق بها أكثر ارتفاعاً منه مع المعيارية رقم [7] ، وأنَّ نقطة في هذا الجزء من اللسان متقدمة عن أعلى نقطة من هذا الجزء الخلفي نفسه مع المعيارية رقم [7]. (2)

نخلص ممَّا سبق إلى أنَّ بشراً قد طبَّق مقياس جونز على الحركات العربية بصفاتها الثلاث: (التفخيم والترقيق والحالة الوسطى). وكان في هذا التطبيق حريصاً كلَّ الحرص على المقارنة بين الحركات العربية والحركات المعيارية ، من حيث الموقعية بالنسبة لحال اللسان ووضعه بالنسبة للحنك الأعلى، ارتفاعاً وانخفاضاً. ومن حيث الجزء المعين من اللسان الذي يحدث فيه الارتفاع والانخفاض.

وفي سياق آخر ، ردَّ بشر على القدماء وبعض المحدثين ، مُخَطِّئًا إياهم لزعمهم أنَّ هناك فتحة سابقة لألف المد في (قال) ، وكسرة سابقة لياء المد في (قيل)، وضمة سابقة لواو المد في (مذعور) ، وما شابه ذلك. وهذا خطأ في جملته، إذ ليست هناك فتحة أو كسرة أو ضمة تسبق حرف المدِّ، وإنَّما هناك حروف المدِّ نفسها، وهذا ما يعرف بالفتحة الطويلة (ألف المد)، والكسرة الطويلة (ياء المد)، والضمة الطويلة (واو المد) (3).

وعلى هامش الحديث عن الحركات، انفرد بشر عن غيره من المحدثين في عده السكون حركة، من حيث الوظيفة. فالسكون في رأي بشر حركة سالبة نطقاً

---

(1)بشر، الأصوات العربية، ص153.

(2)المرجع نفسه ، ص153-154. وانظر: أيوب، علم اللغة، ص162- 164.

(3)بشر، علم الأصوات، ص452. وانظر: أنيس، الأصوات اللغوية، ص40.

إيجابية قيمة ووظيفة[1]. فمن حيث الوظيفة، يتبادل السكون المواقع والوظائف مع الحركات، وله دور في بناء الصيغ وله دور مهم في الإعراب[2].

فمن حيث الصِّيَغ فهناك صيغة (فعل) بفتح العين أو كسرها أو ضمها وهناك (فَعْل) بسكون العين. أمَّا البناء فالكلمات بعضها مبني على الضم أو الكسر أو الفتح، وبعضها الآخر مبني على السكون. ومن حيث الإعراب هناك رفع للمضارع الصحيح الآخر بالضمة، ونصب
له بالفتحة، وجزم له بالسكون[3]. ومن هنا نجد أنَّ بشراً يوافق ابن هشام (ت761هـ)في حسبانه السكون حركة رابعة تنضم إلى الفتحة والكسرة والضمة[4].

كما تظهر وظيفة السكون الصوتية في التركيب المقطعي في اللغة العربية، فللسكون أهميَّة كبيرة في تمييز نهاية المقطع المنتهي بحرف خالٍ من الحركات الثلاث، ويظهر ذلك في المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) = (صوت صامت + حركة+ صوت صامت) [5].

وهناك قيمة أخرى للسكون وهي القيمة الموسيقية، وأوضح صور هذه القيمة هي التفعيلات العروضية ، فكما هو معروف أنَّ هذه التفعيلات مبنية على أنساق موسيقية (صوتية) معينة ، والسكون يلعب دوراً كبيراً في تشكيل أنماط هذه الأنساق الموسيقية وأنماط وحداتها المكوِّنة لها[6].

([1])بشر، كمال، السكون في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، الجزء 23. 1318هـ،1968م.ص154.

([2])بشر، علم الأصوات، ص456.

([3])بشر، السكون في اللغة العربية ، ص160.

([4])انظر: ابن هشام، حاشية الخضري، ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1415هـ، 1995م، ج1،ص34.

([5])بشر، السكون في اللغة العربية ، ص160.

([6])المرجع نفسه، ص160- 161.

9.1 أنصاف الحركات (semi-vowels):

وقد تحدث بشر على هامش الأصوات الصامتة عن أنصاف الحركات، ولكنَّني أجعلها هنا على هامش الأصوات الصائتة (الحركات) ؛ وذلك لشدَّة الشَّبه بينها وبين الحركات.

وأنصاف الحركات أو (أشباه الصوائت) ، هي تلك الأصوات التي تبدأ أعضاء النطق بها من منطقة حركةٍ من الحركات، ولكنَّها تنتقل من هذا الموضع بسرعة ملحوظة إلى موضع حركة آخرى[1]. وهذا ما سمَّاه محمود السعران (بالأصوات الانزلاقية) [2]. والأصوات الانزلاقية هي تلك الأصوات التي: " يحدث فيها أن تبدأ الأعضاء بتكوين (صائت ضعيف) كالكسرة مثلاً، ثُمَّ تنتقل بسرعة إلى (صائت) آخر، أشد بروزاً، ولا يدوم وضع الصائت الأوَّل زمناً ملحوظاً "[3].

وفي اللغة العربية من هذا النوع صوتان، هما " الواو والياء" في مثل (وَلَد وحَوْض، ويَتْرك وبَيت). وهذان الصوتان يقتربان من حيث النطق من الحركات في صفاتهما، ولكنَّهما في التركيب الصوتيِّ للغة يسلكان مسلك الأصوات الصامتة. ومن هذه الناحية جوّز بشر تسميتهما (بأنصاف صوامت) ولكنَّه يرجح المصطلح الأول (أنصاف حركات) لشهرته على الثاني[4].

ويوردبشروصفاً لحالة نطق (أنصاف الحركات) كما يأتي: الواو: تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنطق نوع من الضمة، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى، وتضم الشفتان ويسد الطريق إلى الأنف برفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان[5].

---

(1)بشر، علم الأصوات، ص368. وانظر: أيوب، أصوات اللغة، ص174.

(2)السعران، علم اللغة، ص149-150. وانظر: أيوب، أصوات اللغة، ص172.

(3)المرجع نفسه، ص150.

(4)بشر، الأصوات العربية، ص132 - 133.

(5)المرجع نفسه ، ص 133.

ويظهر لنا مما سبق أن نصف الحركة (الواو)صوت مجهور وذلــك لتذبــذب الوترين الصوتيين حال النطق به.فالواو إذن صوت صامت أو(نصف حركة)مــن أقصى اللسان مجهور.

أمَّا الياء: فتتخذ الأعضاء حال النطق بها الوضع المناسب لنطــق نــوع مــن الكسرة، تاركةً هذا الوضع لنطق حركة أخرى بسرعة ملحوظة، ويتجــه أوســط اللسان نحو أوسط الحنك، وتنفرج الشفتان ويسد الطريق إلــى الأنــف وتتذبــذب الأوتار الصوتية(1).

ويتبين لنا أن الياء "نصف حركة" صوت مجهور وذلك لأن الوترين الصوتيين يتذبذبان حال النطق به.

ونخلص من خلال حديثنا عن الحركات إلى أنَّ بشراً قد أطلــق عليهــا اســم الأصوات (الصوائت، أو الصائتة) كغيره من اللغويين ، ويعلل ذلــك بــأنَّ هــذه الصيغة التي جاء عليها المصطلح تتوافق في المبنى والوزن مع صيغة المصطلح الآخر المقابل للحركات، وهو (الأصوات الصامتة، أوالصوامت).

وقد ردَّ بشر على من ادّعى أنَّ هناك حركات تسبق حروف المدِّ واللين، لأنَّهم مخطئون، وهو خطأ صريح في رأي بشر، والرأي عنده أنَّه ليس هناك فتحــة أو كسرة أو ضمَّة تسبق حروف المدِّ واللين، وإنَّما هناك حروف المد نفسها، وهو ما يعرف بالألف الطويلة، والياء الطويلة، والواو الطويلة.

كما انفرد بشر عن غيره من المحدثين في الحديث عن السكون، فقد أهملهــا المحدثون فأخرجوها من الحركات، وظنوها لا شيء، في حين عدها بــشر مــن الحركات، وذلك من حيث الوظيفة لا النطق؛ فالسكون عنده حركة ســالبة نطقــاً، إيجابية وظيفة ، فلها وظائف في بناء الصيغ، والإعــراب، والبنــاء، والموســيقا والأوزان، والمقاطع ، وغير ذلك.

---

(1)بشر، الأصوات العربية، ص 133.

الفونيم the phoneme :

إنَّ فكرة الفونيم أو الوحدة الصوتية قديمة، أدركها العرب وغيرهم من الأمــم وإن بصورة غائمة، لا تؤهل نفسها لأن تكون نظرية أو نظريات واضحة صالحة للتطبيق والتحليل الصوتي. وبمرور الزمن واتساع دائرة الفكر اللغوي والتعمق في أبعاده وجوانبه، لمعت أفكار جديدة في هذا الشأن، في أذهان بعض الــرّواد مــن الدارسين في أواخر القرن التاســع عــشر، وأوائــل القــرن العــشرين أمثــال (سويت)الإنجليزي، ومواطنه (دانيال جونز) [(1)].

وإذا أعدنا النظر في دراسة الأصوات من حيث مخارجها وصفاتها ، وجدنا أنَّ هذه الدراسة قامت على تناول الأصوات دون ورودها في ســياقاتها، أي دراســة الصوت معزولاً عن غيره من الأصوات، وهي دراسة تقــوم علــى الملاحظــة التجريبية، وقد مَهَّدَتْ هذه الدراسة ويسَّرت الطريق لدراسة الأصوات في سياقاتها المختلفة، فنحن لا نتكلم أصواتاً مفردة معزولة وإنما نتكلم سلسلة مــن الأصــوات المتشابكة والمترابطة ومن هنا ظهر ما يسمى بالفنولوجيا الصوتية[(2)].

والناظر في كتب اللغة والأصوات يجد الكثير من التعريفات لمصطلح الفــونيم منبثقة من توجهات العلماء ومناهجهم ومن تصوراتهم للغة أولاً، وللصوت ثانياً[(3)]. ويعزو أحمد مختار عمر هذه التعددية في تعريفات هذا المصطلح إلى عدَّة أمــور فيقول: " وقد نبع معظمها من اختلاف المناهج، أو من نوع الزاوية التي ينظر منها نحو الفونيم، وإن كان بعض الخلاف بين هذه التعريفات خلافاً لفظياً لا ثمرة لــه، وبعضها لا يكشف عن اتجاه الباحث أو زاوية نظره، وإنَّما يكشف عن نقل أعمى، أو تقليد بغير وعــي، ناهيك عــن اختلاف أبناء المدرسة الواحدة حول تعريــف

---

(1) انظر: بشر، علم الأصوات، ص493.

(2) حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص33.

(3) ستيتية، سمير، اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج) عــالم الكتــب الحــديث،الأردن – إربد.ط1. 1425ه،2005م. ص64.

الفونيم بل ظهر أحياناً خلاف بين العالم ونفسه من فترة تاريخية إلى فترة تاريخية أخرى. [1]"

وهذه أبرز التعريفات لمصطلح الفونيم، كما جاءت عند المدارس الغربية كما أوردها بشر في كتابه علم الأصوات[2]:

الرأي الأول: ورائد هذا الرأي العالم الإنجليزي دانيال جونز، فالفونيم عنده "عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات، في لغة معينة، والتي تستخدم بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها " والظاهر أنَّ جونز يرى أنَّ أحد هذه الأعضاء عضو رئيسٌ، وأنَّ الأعضاء الأخرى أعضاء تابعة أو تنوعات له[3].

الرأي الثاني: ويتمثل في رأي (المدرسة العقلية النفسية)، التي ترى أنَّ الفونيم " صوت واحد له صور ذهنية تجريدية، يستطيع المتكلم استحضارها في ذهنه، ويحاول – لا شعورياً – أن ينطقها في الكلام الفعلي". ولكنَّ تحقيق هذه الصورة الذهنية والتعبير عنها بصوت حقيقي قد تنجح تارة ، وتفشل تارة أخرى، فيحاول المتكلم أن يأتي بأقرب صوت إلى هذه الصورة[4].

الرأي الثالث: ورائده (Trubetzkoy) فالفونيمات عنده " أصغر وحدات اللغة التي تستطيع – بطريق التبادل – أن تميز كلمة من كلمة أخرى ". ويعرِّف الفونيمات بأنَّها الوحدات الصوتية التي لا يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية متتابعة من وجهة نظر اللغة المعينة التي يقوم الباحث بدراستها. ويقرِّر أيضاً أنَّ الفونيمات علامة مميزة لا يمكن تعرُّفها إلا بالرجوع إلى وظائفها في تركيب كلِّ لغة على حدة. وهذا ما ذهب إلية اللغوي الأمريكي (بلوم فيلد) بأنَّ الفونيمات

---

(1) عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص174.

(2) بشر، علم الأصوات، ص485-490. وانظر: ستيتية، اللسانيات، ص64-82.

(3) المرجع نفسه، ص 485.

(4) المرجع نفسه، ص 487.

أصغر وحدات صوتية مميزة، ويقول: " إنَّها أصغر وحدات تقوم بعملية التفريــق بين معاني الكلمات "[1].

الرأي الرابع: وهو المسمى (بنظرية السمات الفارقة)، ويرى أصــحاب هــذه النظرية أنَّ الفونيم " حزمة من الخواص الصوتية الأساسية ، التي يعتمد عليها في التفريق بين الوحدات الصوتية للغة ما ". وتقوم هذه النظرية على ضرورة وجــود صفة فارقة واحدة في الأقل، تميز الوحدات الصوتية أو الفونيمات فــي لغــة مــا بعضها من بعض. (فالميم) في العربية مثلاً ينظر إليها على أنَّها مجموعــة مــن السمات التالية: الأنفية، والجهر، والشفوية. وهذه هي الخواص الثلاث الفارقة بين الميم وغيرها من الوحدات الصوتية. وتسمى حينئذ فونيم (الميم) [2].

الرأي الخامس: ورائد هذا الرأي العالم الأمريكي (Twadell)، ويــرى هــذا العالم أنَّ الفونيم لا وجود له، لا من الناحية العضوية، ولا من الناحيــة العقليــة، وإنَّما هو وحدة تجريدية يقوم الباحث باستخلاصها مــن الأحــداث النطقيــة بعــد تجريدها والوصول منها إلى كلٍّ، أو وحدة مستقلة[3].

وعلى غرار المدارس الغربية ، تناول المحدثون من الأصواتيين العرب فكــرة الفونيم، فجاءت دراستهم أصداءً لدراسات المدارس الغربية، فالفونيم عنــد تمــام حسان يقصد به معنى الحرف. فمثلًا حرف (النون)، اصطلاح شامل يدخل تحتــه عدد من الأصوات كالذي في بداية (نحن)، والذي قبل (التاء) في (إن تاب)، وقبل (الظاء) في (إن ظهر)، وقبل (الشين) في (إن شاء) وقبل (القاف) في (إن قــال)، مع اختلاف واضح بين هذه الأصوات في المخرج، لاحظ أنَّ صوت النون في (إن تاب) و(إن ظهر) مما يخرج فيه اللسان، كالثاء والذال والظاء تماماً[4].

---

(1)بشر، علم الأصوات، ص 488.

(2)المرجع نفسه، ص 489.

(3)المرجع نفسه، ص 490.

(4)حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص157.

فالنون من خلال حديث تمام السابق نون واحدة من الناحية اللغوية الوظيفيـــة، ولكنَّها عدة نونات تختلف- باختلاف ما يجاورها من أصـــوات – مـــن الناحيـــة الصوتية. وهذا الذي سبق يطبق على جميع أصوات اللغة، بما فيها الحركات[1].

أمَّا عبد التواب فقد عرَّف الفونيمات بأنَّها " هذه الأصوات المختلفة، التي يُعَبَّـــر عنها في الكتابة برمز واحد، ولا تـــستخدم فـــي اللغـــة للتفريـــق بـــين المعـــاني المختلفة"[2].

وأمَّا أحمد مختار عمر فيعرف الفونيم بأنَّه " الوحدة المتميزة الصغرى، التـــي يمكن تجزيء سلسلة التعبير إليها "[3].

وعلى غرار هذه الجهود عند المحدثين من العرب ، وغيـــرهم مـــن الغـــرب، جاءت جهود بشر في دراسته للفونيم، فعرَّف الفونيم بأنَّه " وحدة صـــوتية قـــادرة على التفريق بين معاني الكلمات، وليست حدثاً صوتياً منطوقاً بالفعل فـــي ســـياق محدد " [4]. فالفونيمات أنماط للأصوات، والمنطوق بالفعل هو صورها وأمثلتهـــا الجزئية التي تختلف من سياق إلى آخر، فالكاف فونيم، والجـــيم فـــونيم، والقـــاف فونيم، أمَّا الصور النطقية المختلفة لكل واحدة منها فهي أمثلتها variants أو مـــا يسمى phones أو allophones[5].

ويرى بشر أنَّ ما يسمى بالصوت الواحد قد يتعدد في الكلام المتـــصل، إذ قـــد يظهر بصور مختلفة طبقاً للسياق المعين الذي يقع فيه، فما سميناه صـــوت اليـــاء مثلاً قد يصير عدة ياءات تتفق في شيء وتختلف في شـــيء آخـــر. ولعـــل هـــذه المسألة تظهر بصورة أوضح في حال صوت كصوت النون مثلاً فالنون مصطلح عام يشمل مجموعة من النونات ، كتلك التي في (إن تـــاب)، و (إن قـــال)، و (إن

---

(1)حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 158.

(2)عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص83-84.

(3)عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص135.

(4)بشر، الأصوات العربية، ص156.

(5)المرجع نفسه، ص158.

شاء) وغيرها، فكلٌّ واحدة منها تختلف عن أختها في موضع النطق، ولكنَّهم ضموها جميعاً تحت اسم واحد هو النون[1].

ويرى بشر أنَّ كلمة (صوت) نفسها لها معنيان: معنى عام تجريديٌّ، يقصد به النوع أو الأسرة لا الأفراد أو الأمثلة الجزئية أو المتنوعة، وذلك كصوت النون أو الراء أو اللام، إلخ، بوصف كلٍّ منها وحدة صوتية لها كيانها الخاص، وإن تعددت أفراده وأعضاؤه في حالات معينة. ومعنى خاص يطلق على الصوت الجزئيِّ المفرد، مع مراعاة صفاته النطقية والسمعية، وذلك كأصوات النون وأعضائها المختلفة، التي تلاحظ في النطق في السياقات الصوتية المتنوعة بتنوع الموقع[2].

ولا تقتصر نظرية الفونيم على الأصوات الصامتة فقط، بل إنَّ للحركات (الصوائت) نصيبًا ملحوظًا من تعدد الصور بحسب السياق. فالفتحة القصيرة مثلاً صوت واحد بمعيار المعنى الأول، ولكنَّها ثلاثة أصوات - أو أكثر - من وجهة نظر المعنى الثاني، إذ إنَّ لهذه الفتحة ثلاث صور أو أمثلة مختلفة بحسب السياق، فهناك الفتحة المرققة، والفتحة المفخمة، والفتحة التي بين هاتين الحالتين[3].

والسكون كذلك في (إنْ) ينطق بالكسر في نحو (إنِ ارْتَبْتُم)، وذلك للتخلص من التقاء الساكنين. كما تخضع الحركات للتغيير والتعدد في الكمِّ، من حيث القصر والطول في الكلام المتصل، فالكسرة في الحرف (في) حركة طويلة ولكن يصيبها القصر في نحو(في البيت) [4].

ويظهر التعدد النطقي للحركات كذلك على مستوى الكلمة المفردة، فالفتحة الطويلة مثلاً مفخمة في (طاب)، ومرققة في (تاب)، ولكنَّها بين البين في نحو (قال)، وهذا الذي سبق جارٍ على سائر الحركات[5].

---

(1)بشر، الأصوات العربية، ص156.

(2)بشر، علم الأصوات، ص480.

(3)المرجع نفسه، ص478.

(4)المرجع نفسه، ص478.

(5) المرجع نفسه، ص478.

والذي يفيدنا في التفريق بين الوحدات الـصوتية وبـين التنوعـات المختلفـة للصوت الواحد، هو الناحية الوظيفية ، فمثلاً النون يُعدُّ صوتاً واحـداً، إذا نظرنـا إليه من الناحية الوظيفية، أي من حيث كونه قادراً على تغيير معاني الكلمـات أو عدم قدرته على ذلك. ولكنَّه عدة أصوات إذا نظرنا إليـه مـن الناحيـة النطقيـة الصرفة فقط، أي من حيث موقعه في النطق الفعليِّ في الكلام ، ومن حيث تأثيره على السمع[1].

وقد قسم بشر تنوعات الفونيم الواحد (allophones) إلى قسمين: قسم مشروط ومقيد بسياقات معينة، وقسم غير مشروط. فالتنوعات المـشروطة(allophones conditioned)- كما يراها بشر – هي صاحبة الحظ الأوفى بـالنظر والـدرس والتحليل، وذلك لإمكانية تعرُّفِها بسهولة وضبط قيودها. ومن أمثلة هذه التنوعـات المشروطة ، ما يظهر في تفخيم بعض الأصوات أو ترقيقها ، مقيدةً في الحـالتين بسياقات معينة. كما هو الحال في (القاف، والخاء، والغين، والراء....إلخ) [2].

أمَّا التنوعات غير المشروطة أو غير المقيدة (free allophones)، فقد تقـع أحياناً ولكنها – مثل سابقتها – لا تؤدي إلى تغيير المعاني. ومن الأمثلة على هـذه التنوعات غير المشروطة، تفخيم اللام أو عـدم تفخيمهـا فـي نحـو (الـصلاة) و(الضلال)، أي عند مجاورتها لصوت من الأصوات المفخمة تفخيماً كلياً. وهـذه التنوعات غير المقيدة ونحوها، يرى بشر أنَّها مـن قبيـل الظـواهر التطريزيـة (phones) [3].

ويَفْرُقُ بشر بين هذين النوعين من التنوعات بقوله: " إنَّ التنوعات المشروطة لا يمكن وقوع أحدها مكان الآخر في الكلمة. فإن وقع عُدَّ الأمر خروجاً عن قواعد النطق في المستوى اللغوي المعين..... أمَّا التنوعات غير المشروطة فمن الممكن وقوع أحدها مكان الآخر، ولكنَّه حينئذ تنوع عفويٌّ ، لا علاقة له بتنوعات الفونيم

---

(1)بشر، علم الأصوات ، ص481.

(2)المرجع نفسه، ص482 – 483.

(3)المرجع نفسه، ص483.

الأصليِّ، وليس مثلاً من أمثلته، وإن عُدَّ خطأً أو تجاوزاً في النطق، وهو - بطبيعة الحال – لا يحدث أيَّ أثر في بناء الكلمة أو معناها "[1].

ومن أمثلة ذلك نطق صوت الجيم العربية بصور متعدِّدات: كالجيم الفصيحة [dj]، أو الجيم القاهرية [g]، أو كنطقها دالًا، أو جيماً شامية [j].هذه الصور النطقية لصوت الجيم – برأي بشر – ليست من قبيل التنوعات الصوتية للفونيم الواحد، بل" إنَّ كلَّ صورة منها تنتمي إلى مستوىً لغويٍّ معين أو إلى لهجة معينة، ومن ثم ينبغي حسبانها أصواتاً مستقلة "[2]

ولكنَّني أرى خلاف ما يرى بشر في رأيه أنَّ الجيم بتعدد صورها النطقيــة، لا تعد من أسرة واحدة، ينتظمها فونيم واحد. وهذا رأيٌ يخالف ما قاله هو نفسه عن الفونيم، إذ الفونيم عنده صوت واحد عامٌّ يجمع جملة من الأفراد والتنوعات، فهذه الصور النطقية المتنوعة لصوت الجيم لا تؤدي أية وظيفة دلالية في الكلمات، وإنَّما لها وظيفة صوتية نطقية فقط. لذلك يجب عد هذه التنوعات النطقية من قبيل الألوفونات المتعددة للفونيم الواحد، أي الصور المتعددة للصوت الواحد.

فمثلاً كلمة جيش تبقى تدل على ذلك العدد من الجنود الذي يقسم إلى كتائب وفرق وغير ذلك، حتَّى ولو تغيرت الصور النطقية لهذه الجيم، من جيم شامية [j]، إلى أخرى قاهرية [g]، أو ثالثة فصيحة [dj]، أو إلى تلك التي تنطق دالاً، فهذه الجيمات المتنوعة ليست إلا صوراً أو تنوعات لفونيم واحد.

ويُقَسِّم بشر الفونيمات - كغيره من الأصواتيين – من حيث إنَّها أساسية أو ثانوية إلى قسمين: الأول: الفونيمات الرئيسة (primary phoneme). والثاني: الفونيمات الثانوية (secondary phoneme). ويقصد بالفونيم الرئيس ذلك العنصر الذي يكون جزءًا أساسياً من بنية الكلمة المفردة، وذلك كالباء، والتاء، والخاء...إلخ. بوصفها وحدات لا أمثلة نطقية فعلية، وكذلك الفتحة والكسرة والضمة بهذا الوصف أيضاً[3].

---

(1)بشر، علم الأصوات، ص484.

(2)المرجع نفسه، ص 484.

(3)المرجع نفسه، ص486.

أمَّا الفونيم الثانويُّ، فهو كلُّ ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى أو قيمة في الكلام المتصل، وعلى هذا فالفونيم الثانويُّ ليس جزءًا من بنية الكلمة، وإنَّما يظهر ويُلاحظ في الكلام المتصل. ومن أمثلة الفونيم الثانوي – كما يراها بشر -: درجة الصوت، النغمة، النبر، والتنغيم، قصر الحركات وطولها.....إلخ[1].

وبناءً على ما سبق رأى بعض الأصواتيين تسمية فونيمات النوع الأول (الرئيس)بالفونيمات التركيبية أو القطعية. وتسمية فونيمات النوع الثاني (الثانوي) بالفونيمات (فوق التركيبية أو غير القطعية) [2].

نخلص ممَّا سبق إلى أنَّ بشرًا كغيره من المحدثين قد درس الفونيم، ولم يختلف تعريفه مضموناً – وإن اختلف لفظاً – عن تعريفات من سبقه من الأصواتيين.

كما يرى بشر أنَّ من أهمِّ العوامل التي تؤثر في الصوت الواحد، وتجعل منه صوراً متعدِّدة، هي السياقات المعينة التي يقع فيها الصوت المعين، فصوت النون قد يصير عدة نونات ، وذلك بحسب السياقات التي يقع فيها.

ونلحظ كذلك أنَّ بشراً قد فسَّر الصوت على معنيين: معنى عام تجريديٍّ، ويقصد به النوع أو الأسرة أو الأفراد، أو الأمثلة الجزئية أو المتنوعة، وذلك كصوت: النون أو الراء أو اللام وغيره. ومعنى خاص يطلق على الصوت الجزئيِّ المفرد، مع مراعاة صفاته النطقية والسمعية، وذلك كصوت النون وتنوعاته المختلفة.

كما نستنتج أنَّ بشراً لم يطبِّق نظرية الفونيم على الأصوات الصامتة فقط، بل جعل للحركات(الصوائت) نصيباً وافراً من هذه النظرية ؛ وذلك لأنَّ الحركات تختلف نطقاً - أكثر من الصوامت - من سياق إلى سياق آخر.

ونلحظ أيضاً أنَّ بشراً قد أخطأ الظَّنَّ عندما جعل التنوعات النطقية لصوت الجيم ليست من قبيل التنوعات الصوتية للفونيم الواحد، ظنًّا منه أنَّ الجيم القاهرية تختلف عن الجيم الشامية، وأنَّ الجيم الفصيحة تختلف عن سابقتيها، والجيم التي

---

(1)بشر، علم الأصوات، ص 486.

(2)المرجع نفسه، ص 497.

كالدال تختلف عن جميع الصور السابقة، وعلى الرغم من أنَّ كــلَّ صــورة مــن الصور السابقات تنتمي إلى بيئة لغوية واحدة مستقلة عن سواها، فمن الصواب أن نعدها تنوعات صوتية لفونيم واحد ؛ وذلك لأنَّ هذه التنوعات لا تؤدي إلى تغييــر في الدَّلالة، ولو أدَّت هذه التنوعات تغييراً دَلالياً لكان من الأجدر بنا ألّا نعدها من قبيل التنوعات الصوتية للفونيم الواحد، بل عَدَدْنا كلَّ تنوعٍ منها فونيمًا مستقلًا عــن الآخر.

10.1 المقطع syllable:

لا نستطيع بأيِّ حالٍ أن نطلق حكماً عاماً فيما يخص الدراسات الصوتية، وذلك لاختلاف اللغات واختلاف خصائصها الصوتية، فلكلٌّ لغة خصوصيتها التي تتماز بها عن غيرها، وعلى هذا فإنَّه لا يوجد تعريــف واحــد متفــق عليــه – عنــد الأصواتيين – يمكن أخذه منطلقاً لدراسة المقطع وأنماطه وكيفيات تركيبه في كــلِّ اللغات. وليس هذا فحسب ، فقد يختلف المقطع في التنوعات اللغوية أو ما يعــرف باللهجات في اللغة المعينة، فيختلف المقطع من بنية لغوية إلى بنية لغوية أخــرى، وهذا ما ذهب إليه أحمد مختار عمر عندما قال: " ولكنَّ الأصواتيين لــم ينجحــوا حتى الآن في إعطاء وصف شامل ودقيق له "(1).

وعلى أيَّة حالٍ ، فقد سلك الأصواتيون طريقين رئيسين في تعريــف المقطــع: أحدهما فوناتيكيٌّ، والآخر فنولوجيٌّ. أمَّا الاتجاه الفوناتيكيُّ، فمــن أهــمِّ تعريفاتــه للمقطع بأنَّه " تتابع من الأصوات الكلامية ، له حدٌّ أعلى أو قمة إسماع تقــع بــين حدين أدنيين من الإسماع"(2). وأمَّا الاتجاه الفنولوجيُّ فيعرِّف المقطع مــن حيــث كونه وحدة تختلف من لغة إلى أخرى. وعلى هذا فإن التعريف الفنولوجي الــدقيق لا بدَّ أن يكون خاصاً بلغة معينة أو مجموعة من اللغات(3). وأهمُّ تعريفات المقطع

---

(1)عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص283.

(2)عبابنة، يحيى، دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربيــة، دار الــشروق.ط1، 2000م، ص15.

(3)المرجع نفسه ، ص15.

من الناحية الفنولوجية التعريف الذي يعرِّف المقطع بأنَّه " الوحدة التـي يمكـن أن تحمل درجة واحدة من النبر (كما في اللغة الإنجليزية) أو نغمة واحدة (كمـا فـي كثير من اللغات النغمية "[1].

والواضح أنَّ الوصفيين لم ينجحوا حتى الآن في إعطاء وصف شامل ودقيـق للمقطع[2]. وهذا ما رآه فندريس في أن تعريف المقطع أمر عسير[3]. فـي حـين ذهب كانتينو إلى أن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملاً أم جزئياً، هي التي تمثل المقطع[4].

أمَّا في الدِّراسات العربية الحديثة ، فيعرِّفه رمضان عبد التواب بأنَّه: " كمية من الأصوات التي تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها مـن وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة " [5]

ولقد عدَّ أنيس المقاطع نوعين: متحركاً، وساكناً. فالمقطع المتحرك ، هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل. وأمَّا المقطع الساكن ، فهو الذي ينتهي بصوت ساكن، فالفعل الماضي الثلاثي (فَتَحَ) يتكون من ثلاثة مقاطع متحركة، في حين أن المصدر لهذا الفعل (فَتْحٌ) يتكون من مقطعين ساكنين[6]. وهو يتفق بهذا مع تمـام حسان حين نظر إلى المقاطع على أنَّها أشكال وكميات معينة، إلَّا أنَّ تمَّاماً يطلـق على المقطع المتحرك اسم (مقطع مفتوح) وعلى المقطع الـساكن اسـم (مقطـع مقفل)[7].

---

(1)عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص283-286. وانظر: حسان، مناهج البحث في اللغـة، ص173.وانظر: خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص233-234.

(2)عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص241.

(3)فندريس، اللغة، ترجمة عبدالحميد الـدواخلي، و محمـد القـصاص، القـاهرة، 1950م، ص85-86.

(4)عبدالتواب، فصول في فقه اللغة، ص194.

(5)المرجع نفسه، ص194.

(6)أنيس، الأصوات اللغوية، ص190.

(7)حسان، مناهج البحث في اللغة، ص172. وانظر: الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 1990 م، ص195.

أمَّا من حيث أنواع النَّسْج في المقاطع العربية ، فيتفق أنيس وعبدالتواب على أنَّها خمسة أنواع[1]. في حين يذهب كلٌّ من تمام حسان وأحمد مختار إلى أنَّها ستة أنواع مع اختلاف بينهما في النوع السادس، وقد اتفقوا جميعاً على الأنواع الخمسة الآتية:

1- [ص ح] أو [CV]
2- [ص ح ص] أو [CVC]
3- [ص ح ح] أو [CVV]
4- [ص ح ح ص] أو [CVVC]
5- [ص ح ص ص] أو [CVCC]

وما زاده تمَّام على هذه المقاطع السابقة هو المقطع [ح ص] أو [VC] [2] ، ولكنَّه لم يُشِرْ إلى هذا المقطع في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) ، وكأنَّه قد تراجع عن قوله بهذا المقطع، إذ نجده يقول في كتابه هذا: " الحروف الصحيحة تكون في بداية المقطع في اللغة العربية، ولا تكون كذلك في العلل ". [3]

وزاد أحمد مختار على الأنواع الخمسة السابقة المقطع [ص ح ح ص ص] أو [CVVCC] ومثل له ب(ضَالّ) (đaall) من (ضالين) عند الوقف[4].

ولا يختلف بشر عن غيره من المحدثين في دراسته للمقاطع الصوتية في اللغة العربية، فقد خصَّ دراسته البناء المقطعيَّ في اللغة العربية كما يخبرها قراء القرآن الكريم ، وأهل الاختصاص في جمهورية مصر العربية ، لأَّن هذا الأداء يختلف بصورة أو أخرى من وقطرٍ عربيٍّ إلى آخر، وفقاً للعادات والثقافات اللغوية لكلٍّ قوم من أقوام العرب[5].

---

(1)أنيس، الأصوات اللغوية، ص113، وانظر: عبدالتواب، فصول في فقه اللغة، ص194.

(2)حسان، مناهج البحث في اللغة، ص172-173.

(3)حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 69.

(4)عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص256.

(5)بشر، علم الأصوات، ص 508.

ومنهج بشر في دراسة المقاطع الصوتية في اللغة العربية ، هو المنهج الفنولوجيُّ، الذي يعتمد على النظر في تتابعات الوحدات الصوتية وكيفيات تكوينها، على شكل حزم وعناقيد مميزة في سلسلة الكلام، دون إهمال للجانب الصوتيِّ (الفوناتيكيِّ)إهمالاً تاما، إذ الرجوع إليه أحياناً قد يصبح ضرورة لتحديد أبعاد هذه الحزم أو العناقيد على وجه صحيح. [1]ويوافقه في هذا حلمي خليل الذي يرى " أنَّ وصف الصوت بأنَّه مقطعيٌّ أو غير مقطعيٍّ، دون وصفه في سياق محدد كالكلمة مثلاً، يعد ضرباً من الغلوِّ، لأنَّ المقطعية ليست صفةً ملازمةً للصوت، وإنَّما صفة تنشأ من مجاورة الأصوات بعضها لبعض "[2].

ويشير بشر إلى أهمِّ الخواصِّ العامة التي يتميز بها المقطع في اللغة العربية، وهي:

1- المقطع في العربية يتكون من وحدتين صوتيتين – أو أكثر – إحداهما حركة، فلا وجود للمقطع من صوت واحد، أو مقطع خالٍ من الحركة.
2- المقطع لا يبدأ بصوتين صامتين، كما لا يبدأ بحركة.
3- لا ينتهي المقطع بصوتين صامتين إلا في سياقات معينة، أي عند الوقف أو إهمال الإعراب.
4- غاية تشكيل المقطع أربع وحدات صوتية، بحسبان الحركة الطويلة وحدة واحدة[3].

ويوافق بشر كلًّا من تمَّام وعمر، في أنَّ أنواع النسج في المقاطع العربية ستة. وقد صنَّف بشر هذه المقاطع إلى ثلاث طوائف، هي: القصيرة، والمتوسطة، والطويلة. كما يأتي[4]:

---

(1)بشر علم الأصوات ، ص 509.

(2)خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص233-234.

(3)بشر، علم الأصوات، ص509-510. وانظر: شاهين، عبدالصبور، في علم اللغة العام، 1400هـ،1980م. ص108.

(4)المرجع نفسه، ص501.

المقطع القصير: ويتكون هذا المقطع من (صوت صـــامت + حركـــة قـــصيرة)، ويرمز إليه بالرمز [ص ح] أو [CV]، ومثال هذا المقطع المقاطع الثلاثة فـــي كلِّ فعل ماض ثلاثيٍّ خالٍ من حروف المدِّ، من مثل: (كَتَبَ) [ka ta ba].

المقطع المتوسط: وفيه نمطان: الأول: ويتكون من (صـــوت صـــامت + حركـــة قصيرة + صوت صامت)، ويرمز إليه بالرمز [ص ح ص] أو[CVC]، ومثالـــه المقطع الأول في مثل (يَكْتُبُ) [yak tu bu]، والثاني في مثـــل (كَـــتَبْتُ) [tu ka tab].

والنمط الثاني: من (صوت صامت + حركة طويلة)، ويرمز إليه بالرمز [ص ح ح] أو [CVV]، ومثاله المقطع الأول من كلِّ اسم فاعل من الفعل الثلاثي، كما في مثل: (كَاتِبٌ) [kaa ti bn].

المقطع الطويل: ويشمل ثلاثة أنماط:

الأول: ويتكون من (صوت صامت + حركة قصيرة + صوت صامت + صوت صامت)، ويرمز إليه بالرمز [ص ح ص ص] أو [CVCC]، ومثاله (برّْ) بفتح الباء أو كسرها أو ضمها، [burr] [birr] [barr]، وهذا المقطع مـــشروط وقوعـــه بالوقف أو عدم الإعراب.

الثاني: ويتكون من (صوت صامت + حركة طويلة +صوت صـــامت + صـــوت صامت)، ويرمز إليه بالرمز [ص ح ح ص ص] أو [CVVCC]، ومثاله المقطع الثاني في نحو (مَهامّ) [ma haamm]، وهذا المقطع مشروط وقوعه بنفس شروط المقطع السابق.

الثالث: ويتكون من (صوت صامت + حركة طويلة +صوت صامت)، ويرمز إليه بـــالرمز [ص ح ح ص] أو [CVVC]، ومثالـــه المقطـــع الأول فـــي مثـــل (ضالين)[daal liin]، ويُشترط لوقوع هذا المقطع شرطان اثنان ؛ أوّلهما: أن يكون الصوت الصامت الأخير مدغماً في مثله كما فـــي المثـــال المـــذكور (ضـــالين). والثاني: في حال الوقف أو عدم الإعراب، في مثل (يقول) [ya quul] [1].

---

(1)بشر، كمال، علم الأصوات، ص 510 – 511.

نخلص ممَّا سبق إلى أنَّ بشراً وافق المحدثين في النظر إلى مفهــوم المقطــع من الجانبين: الفوناتيكيِّ، والفنولوجيِّ. ونجد أنَّه نهج المنهج الفنولوجيَّ في دراسته للمقطع الصوتيِّ في اللغة العربية. و أوافقه الرأي في نهجــه هــذا ؛ وذلــك لأنَّ المقطع يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر، وهذا يدل على أن المقطع عبارة عن نسيج التشكلات الصوتية الفنولوجية.

ونلحظ أيضاً أنَّ بشراً قد وافق كلاً من تمام حسان وأحمد مختار عمر فــي عــدد المقاطع الصوتية. في حين نجد أنَّه خالف كلاً من أنيس و عبدالتواب، فقد عــدها هذان خمسة مقاطع فقط. هذا من جهة، ومن جهة أخرى وافق بشر أحمد مختــار عمر بزيادته المقطع [ص ح ح ص ص] أو [CVVCC]على المقاطع الخمــسة المذكورة سابقاً.

11.1 **النَّبر** stress:

لقد عَرَفَ علماء العربية النَّبْرَ وعَرَفوا أشكاله المختلفة، ولكنَّهم لم يفردوا لــه باباً في مصنفاتهم، بل أشاروا إليه بصورة غير مباشرة، وعلــى الــرغم مــن أنَّ علماء العربية القدماء لم يدرسوا النَّبر على أنَّه الضَّغط على مقطع مــن مقــاطع الكلمة، إلَّا أنَّهم استخدموا مصطلحاتٍ أخرى تدل على هذا المعنى، من مثل: الهمز وعلو الصوت أو ارتفاعه(1).

أمَّا في علم اللغة الحديث، وبفضل المعامل الصوتية والأجهزة الحديثــة فقــد عَرَفَ المحدثون - عربًا ومستشرقين - النبر وعرَّفوه على أنَّه:" الــضَّغْطُ علــى مقطع من مقاطع الكلمة ، ليصبح بارزاً و واضحاً في السمع أكثر من غيره مــن مقاطع الكلمة " (2)

وقد عرَّف الغربيون المقطع المنبور بتعاريف عدة، متباينة بتبــاين المــذاهب والمدارس، ومن أشهرها تعريف جونز، الذي قال: " المقطع المنبور بقوة ينطقــه

---

(1)الخليل، المصطلح الصوتي، ص191.

(2)الخليل، عبدالقادر مرعي، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، بحــوث ودراســات، ط1، 2002م، عمان، ص15. وانظر: حسان، مناهج البحث في اللغة، ص194.

المتكلم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له في الكلمة أو الجملة، فالنَّبر إذًا نشاط ذاتيٌّ للمتكلم ، ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع بالنـسبة لمـا يحيط به "[1]

ومهما تعددت التعريفات أواختلفت لفظاً فإنَّها متفقة مضموناً، فكلُّها تجمع على أنَّ النَّبر يقتضي طاقة زائدة أو جهداً عضلياً إضافياً[2]. وأنَّ المقطع المنبور أوضح في السمع من غيره، يلجأ المرءُ إليه لغاية معينة قد تكون تأكيدية، أو إشارة إلـى غرض خاص، وهذا ما أشار إليه أنيس حين قال: " إنَّ هناك نبـراً يـسمى نبـر الجمل، يَعْمَدُ المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد من نبرها ويميزها على غيرها مـن كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرضٍ خاصٍ "[3].

وقد اختلف علماء اللغة المحدثون حول قضية وجود النبر كظاهرة في الكـلام العربي، فبروكلمان يقول:" في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع "[4].

وفي المقابل يرى برجشتراسر: "أنَّه لا نصّ نستند عليه في إجابة مسألة كيـف حال العربية الفصيحة في هذا الشأن – يقصد النبر – وما يتضح من اللغة ومـن وزن شعرها، وأنَّ الضَّغط لم يوجد فيها، وذلك أنَّ اللغة الضاغطة كثيراً ما يحدث فيها حذف الحركات غير المضغوطة أو تقصيرها أو تـضعيفها أو مـد الحركـة المضغوطة، وقد رأينا – أي برجشتراسر – أنَّ كلَّ ذلك نادر في اللغـة العربيَّـة الدارجة، و وجدنا فيها كلِّها الضَّغط، وهو في بعضها قويٌّ وفي بعضها متوسـطٌ، فلو أنَّ الضغط كان قوياً في الزمان العتيق لكانت اللهجات – على أغلب الاحتمال – حافظت على موضعه من الكلمة ولم تنقله إلى مقطع آخر "[5].

---

(1)عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص188.

(2)المرجع نفسه، ص187. وانظر: خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص238.

(3)أنيس، الأصوات اللغوية، ص122.

(4)عبدالتواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القـاهرة، 1983م، ص126.

(5)المرجع نفسه، ص127.

و يؤكد كلٌّ من أنيس وعبدالتواب ما جاء به برجشتراسر، من أنَّه ليس لـــدينا نصوص نستند إليها في معرفة حال النَّبر في العربية الفصيحة، " وليس لدينا مـــن دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما ينطق به في العصور الإسلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء، أمَّا كما ينطق بها القـــراء الآن في مصر، فلها قانون تخضع له ولا تشذُّ عنه. [1] ".

أمَّا عبدالتواب، وإن كان يؤيد برجشتراسر في عدم وجود نصٍّ نستند إليه فـــي معرفة حال النبر في العربية القديمة، إلَّا أنَّه يشكُّ في ما قاله برجـــشتراسر بـــأنَّ العربية لم تنبر، إذ يرى عبدالتواب أنَّ برجشتراسر " يغفل فـــي كلامـــه التطـــور اللغويَّ وتأثير الشعوب المختلفة التي غزتها العربية، بعاداتها القديمة فـــي النبـــر، وأثر ذلك في اختلاف موضعه من الكلمة، كما يبدو الآن، في تعدد طرق النبر في مثل كلمة (مطبعة) [2].

وقد حدَّد أنيس قواعد النبر ومواضعه، ولكنَّه تحديدٌ خاصٌّ بتلك اللغـــة التـــي ينطق بها مجيدو القراءات القرآنية، وأهل الاختـــصاص فـــي جمهوريـــة مـــصر العربية. فلخَّص مواضع النَّبر العربيِّ بقوله:" لمعرفة مواضع النبر فـــي الكلمـــة العربية، يُنظر أولاً إلى المقطع الأخير، فإذا كان من النوع الرابع والخامس، كـــان هو موضع النبر، وإلا نظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإذا كـــان مـــن النـــوع الثاني أو الثالث، حكمنا بأنَّه موضع النبر، أمَّا إذا كان من النوع الأول، نظر إلـــى ما قبله، فإن كان مثله، أي من النوع الأول أيضاً، كان النَّبر علـــى هـــذا المقطـــع الثالث حين نعد من آخر الكلمة. ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد مـــن الأخير. إلَّا في حالة واحدة، وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخيـــر مـــن النوع الأول"[3]. هذا بالنسبة للمقاطع في اللغة الفصحى، أمَّا إذا أردنا أن نتعـــرف

(1)أنيس، الأصوات اللغوية، ص 119 – 120.

(2)عبدالتواب، التطور االلغوي، ص127.

(3)أنيس، الأصوات اللغوية، ص 121.

مواضع النبر في اللهجات الحديثة أو التنوعات اللغوية فهذا أمر يخضع لقوانين أخرى خاصة بتلك اللهجات(1).

أمَّا تمَّام فقد قسَّم النَّبر إلى نوعين: نبر صرفيٍّ، وآخر دلاليٍّ. ويقسِّم النبر الصرفيَّ إلى قسمين أيضاً، نبر أوليٍّ، ونبر ثانويٍّ، وذلك حسب قوة النطق ودرجة الدفعة، وتبعاً لهذا التقسيم يستخلص تمَّام قواعد النبر ومواضعه على النحو الآتي:

أ – فيما يتعلق بالنبر الأولي:

1- يقع النبر على المقطع الأخير في الكلمة إذا كان من نوع [ص ح ح ص] أو[ص ح ص ص]، أي من النوع الطويل، مثل: قال، قَلّ، أو من النوع المتوسط في الكلمات أحادية المقطع كفعل الأمر من قال(قُلْ).

2- يقع على ما قبل الأخير إذا كان متوسطاً والآخر متوسط، سواء أكان هذا المتوسط من نوع (ص ح ص) أو(ص ح ح)، أو كان ما قبل الأخير من نوع (ص ح) القصير المبدوءة به الكلمة، أو مسبوقاً بصدر إلحاقيٍّ نحو: كتب، محترم.

3- يقع النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الآخر إذا كان الآخر يقع مع ما قبله في أحد الصور الآتية: (ص ح + ص ح ص)، نحو: علمك، حاسبك. أو (ص ح + ص ح ح)، نحو: علموا، ضربك. ولا يقع النبر على مقطع سابق لهذا الأخير.

ب – النبر الثانويُّ:

1- يقع النبر الثانويُّ على المقطع الذي قبل المقطع المنبور نبراً أوليًّا ، إذا كان ذا النبر الثانويِّ الطويل، مثل: ضالين، حاجّات، مدهامّات.

2- يقع على المقطع الذي بينه وبين المنبور نبراً أوليًّا أحد الأنساق الآتية:

أ- مقطع متوسط + آخر متوسط (ص ح ص) أو (ص ح ح)، مثل: علمناه، يستخفون.

ب- مقطع متوسط + مقطع قصير، مثل: مستقيم، مستعدة.

---

(1)أنيس، الأصوات اللغوية، ص 121.

3- يقع على المقطع الثالث قبل المنبور نبراً أوليًّا ، إذا كانت الثلاثة السابقة لهـذا المنبور الأوليِّ تُكوِّن نسقاً في صورة (متوسط + قصير + قـصير أو متوسـط)، نحو: (يستفيدون)، ولا يقع الضغط الثانويُّ على المقطع الرابع الـسابق للمنبـور الأوليِّ في الكلمة(1).

أمَّا عبد التواب فيلخِّصُ مواضع النَّبر في اللغة العربية بقوله: " فالنبر يقع على المقطع الأخير في مثل:)نستعين) و (ذاكَرت)، وعلى المقطع قبل الأخير في مثل: (تعلَّم)، و(يعادي) و (قاتل) و (يكتُب)، كما يقع على المقطع الثالث من الآخر فـي مثل:(كَتَبَ) و (اجتَمَعَ)، وعلى المقطع الرابع من الآخـر فـي مثـل: (بَلَحَـةٌ) و (سَمَكَةٌ)(2).

والملاحظ ممَّا سبق أنَّ تمَّامًا وعبد التواب لم يخرجا في جملة ما قـالاه عـن قواعد النبر ومواقعه عن ذلك الذي جاء به أنيس من قواعد ومواقع. وهذا ما أكَّده عبدالقادر مرعي " بأنَّ القواعد التي وضعها إبراهيم أنيس قد أثرت على دراسات غيره فاستفادوا منها "(3).

وعلى غرار جهود المحدثين حول ظاهرة النبر، نجد أنَّ بشراً قد تحدث عـن هذه الظاهرة ، فعرَّف النبر بأنَّه: " نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضـح وأجلى نسبياً من بقية المقاطع التي تجاوره "(4) فهو يوافق سـابقيه بـأنَّ المقطـع المنبور يتطلب بذل طاقة في النطق، أكبر نسبياً من تلك المبذولة فيما جاوره مـن مقاطع. كما يتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشدَّ، فلنلاحظ مثلاً الفرق في قـوة النطق وضعفه في المقطع الأول والمقطعين الآخرين في (ضَرَبَ) [đa‹ra‹ba]، نجد أن [đa] وهو المقطع الأول ينطق بارتكاز أكبر من المقطعين الآخرين.

ويؤكِّد بشر أنَّ الكلمة الواحدة قد تتلقى أكثر من نبر، وإن بدرجات متفاوتة قوة وضعفاً بين مقاطع الكلمة، وهذا ما أكَّده محمد الخوليُّ عندما أنكر دقَّـة وصـف

---

(1) حسان، مناهج البحث في اللغة، 195 – 197.

(2) عبدالتواب، التطور االلغوي، ص127.

(3) الخليل، التشكيل الصوتي، ص18.

(4) بشر، علم الأصوات، ص512 – 513.

المقطع بأنَّه غير منبور، " فالواقع أنَّ وصف المقطع بأنَّه غير منبور وصف غير دقيق، لأنَّ كلَّ مقطع يأخذ قسطه من النَّبر، ولكنَّ المقاطع تختلف في درجة النَّبر........ إذ نقصد في الواقع أن نقول إنَّه مقطع ضعيف النَّبر[1] "

وقد قسم بشر النبر إلى ثلاث درجات: قوي و وسيط و ضعيف، وقد أعطى كلَّ قسم من هذه الأقسام رمزاً خاصًّا به، يَميْزُهُ من غيره، ويشير إليه في الكتابة الصوتية. فرمز القويِّ[/] يوضع في بداية المقطع المنبور مباشرة إلى الأعلى، من مثل: [đa‹ra‹ba]. ورمز الوسيط [/] يوضع في بداية المقطع المنبور مباشرة إلى الأسفل، كما في المقطع الأول من: (قـاتلوهم) ل[qaa ti luu hum]. أمَّا النبر الضعيف فيترك عادة بدون رمز كتابيٍّ[2].

ويؤكد بشر على أنَّ النَّبر ليس سوى وضوح في النطق فقط، بل غالبًا ما يصاحبه إشارات أو حركات جسميَّة، كالإشارة باليد، ورفع الصوت، كما يصاحبه اختلاف في درجات الصوت من هبوط وارتفاع[3].

أمَّا من حيث وظائف النبر وقيمه ، فيرى بشر أنَّ للنَّبر قيمًا صوتية (نطقية) ، وأخرى فنولوجية (وظيفية). فمن الناحية النطقية يعد النَّبر ذا أثر سمعيٍّ بارز أوضح من غيره، فهو يَميْزُ مقطعًا من آخر، أو كلمة من أخرى. أمَّا من الناحية الوظيفية، فإنَّ النَّبر يقود إلى تعريف التتابع المقطعيِّ في الكلمات ذات الأصل الواحد، عند تنوع درجات نبرها ومواقعه، بسبب ما يلحقها من تصريفات مختلفة[4].

وهذا ما أكَّده عبد القادر مرعي إذ يرى أنَّ النبر " يعتمد بالدرجة الأولى على اللغة المنطوقة "[5]. فالنطق هو الوعاء الذي يكتنف مادة النبر، هذا من ناحية النطق، أمَّا من ناحية الوظيفة، فوظيفة النبر التفريق بين المقاطع المتتالية وبيان

---

(1)الخولي، الأصوات اللغوية، ص158.

(2)بشر، علم الأصوات، ص513 – 514.

(3)المرجع نفسه، ص514.

(4)المرجع نفسه، ص514.

(5)الخليل، التشكيل الصوتي، ص23.

تتابعها عندما تكون من أصل واحد، فيطرأعليها تنوع في درجات النبر بسبب اللواحق المتسقة بها بفعل التصريفات المختلفة.

أمَّا وظيفة النبر على مستوى الجملة، فيرى بشر أنَّ له وظيفة بالغة الأهمية، إذ أنَّه يفيد التأكيد والمفارقة، حيث ينتقل النبر القوي من كلمة إلى أخرى ؛ قصداً إلى بيان هذا التأكيد أو الكشف عن هذه المفارقة[1]. وإن نبر الجملة " هو أن يعتمد المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد من نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها، أو الإشارة إلى غرض خاص "[2].

وللنبر وظيفة أخرى على مستوى الكلام المتصل، إذ إنَّه يعدُّ عاملاً من عوامل تعرُّف الكلمة، وتعرُّف بداياتها ونهاياتها، وبخاصة في اللغات ذات النبر الثابت، فالكلمة في سلسلة الكلام المتصل قد تفقد شيئاً من استقلالها ؛ بسبب التداخل مع غيرها أو فقدان جزءٍ من مكوناتها، أو تدغم أطرافها في بدايات كلمة لاحقة، أو غير ذلك من التغيرات التي تطرأ على الكلمة[3]. ففي هذه الحال ونحوها يرشدنا النبر إلى تعرف بدايات الكلمات ونهاياتها.

والنَّبرُ قد يكون ثابتًا ملازمًا مقطعًا معينًا، وقد يكون حرًّا في الانتقال من مقطع إلى آخر، واللغات في اختلاف من حيث هذا الأمر. وقد صنَّف بشر – كغيره من المحدثين – اللغات إلى صنفين من حيث ثبات النبر أو عدم ثباته (انتقاله)، نعت الصنف الأول باللغات ذوات النبر الثابت (fixed). والثاني باللغات ذوات النبر الحرِّ (free fixed) أو القابل للحركة. وأهمُّ ما يمثل الصنف الأول اللغة العربية، حيث إنَّ النبر في كلماتها ثابتٌ ، يخضع لقوانين منضبطة محددة – كما مر سابقاً -، ولا ينتقل النبر فيها إلا عن طريق الخطأ أو التجاوز في النطق تأثراً بلكنة خاصة أو محلية. مستثنياً من تلك القواعد حالات تخضع فيها الكلمة العربية لنوع من التصريف أو الاشتقاق، ومثال ذلك الفعل (ضَرَبَ)[đa،ra، ba]

(1)بشر، علم الأصوات، ص515.

(2)أنيس، الأصوات اللغوية، ص122.

(3)بشر، علم الأصوات، ص515.

حيث يقع النبر على المقطع الأول من الفعل، بينما يقع على المقطع الثـــاني فـــي (ضَرَبْتُ)[đa ،rab،tu] [1].

وقد توصل بشر إلى أن النبر الثابت نبر يمكن التنبؤ بـــه، وتعـــرُّف مواقعـــه بوضوح تامٍّ، وذلك من خلال بنية الكلمة ومكوناتها المقطعية، وكيفيات تتابعها[2].

أمَّا اللغات ذوات النبر الحر(free fixed)، فأهمُّ ما يمثلها اللغة الإنجليزيـــة، إذ ليس للنبر فيها قوانين ثابتة مطردة، وعلـــى هذا لا يمكن التنبؤ بدرجـــة النبـــر أو موقعـــه في الكلمة، ومثـــال ذلك كلمة (record) التي يمكن تصنيفها اسماً تـــارة وفعلاً تارة أخرى، وذلك بحسب اختلاف موقع النبر، فإذا كان المقطع الأول هـــو المنبور صُنِّفَتْ اسمًا، وإذا كان النبر على المقطع الثاني أو الأخير صُنِّفَتْ فعلًا[3].

وتصنف اللغات من حيـــث النَّبـــر إلـــى صـــنفين: لغـــات نبريَّـــة (stress languages)، ولغات غير نبريَّة (stressless languages). فالنبرية هي تلك اللغات التي يعتمد المعنى فيها على نوع النبر ودرجاته، وعلى مواقعه من الكلمة. ومن أمثلة ذلك: اللغات الإنجليزية، والألمانية، و الأسبانية، فكـــلُّ هـــذه اللغـــات وغيرها من اللغات النبرية يتغير المعنى الدَّلاليُّ لكلماتها بتغيـــر درجـــات النبـــر ومواقعه، كما في نحو:(import) (subject) (record) فهذه الكلمات وما شابهها تكون أسماءً تارة وأفعالاً تارة أخرى، وذلك بحسب موقع النبر فيهـــا، فـــإذا كـــان المقطع الأول هو المنبور صنفت أسماءً، وإذا كان النبر على المقطـــع الثـــاني أو الأخير صنفت أفعالًا. [4]

وممَّا سبق نتوصل إلى الوظيفة الدَّلالية والصَّرفية للنَّبر، فالنَّبر فـــي اللغـــات النبرية يؤدي إلى تغيير في الأبنية الصرفية للكلمات التي يتغير فيها النبر ويتنقـــل،

---

(1) بشر، علم الأصوات ، ص516.

(2) المرجع نفسه، ص516.

(3) المرجع نفسه، ص517.

(4) المرجع نفسه، ص517.

وهذا بدوره يقود إلى تغيير في الدَّلالة. وفي هذه الحال ، حـال اسـتخدام النَّبـر للتفريق بين الكلمات ، يعد النبر فونيماً[1].

أمَّا اللغات غير النبريَّة، فهي تلك اللغات التي يكون للنبر فيهـا قـوانين ثابتـة مطردة، لا تحتمل أيَّ تنوع في درجاته أو مواقعه، ومن ثمَّ لا يعتريها أيُّ تغييـرٍ دَلاليٍّ على أي مستوى من مستويات اللغة، ومن أمثلتها اللغـة اليابانيـة واللغـة العربية[2].

هذا فيما يخصُّ اللغة العربية الفصيحة، فهي لغة غير نبرية، وإن خرج النَّبر في بعض الأحيان عن قواعده ومواضعه، ولكنَّه خروج لمعنى يصيبه أو لحاجـة يؤكدها، وفي حالة هذا الخروج تصبح له قواعد خاصة بهذه الحالات الاسـتثنائية، فهي غير نبرية لأنَّ انتقال النبر وتبدل مواضعه لا يؤدي إلى تغيُّـرٍ دَلالـيٍّ فـي معانيها، ولكن إذا نظرنا إلى اللهجات العامية الدارجة حديثاً، وجدنا أنَّ النَّبر فيهـا يؤدي دوراً في تغيير المعاني الدَّلالية، كالذي يحدث عندما نسمع كلمة (نعم) فـي العامية المصرية مثلاً، فحين يراد بها الإثبات فإن النبر يقع على المقطـع الأول، وكذلك في الفصحى أحياناً، أمَّا إذا استخدمت ليراد بها الاستفهام أو الاستنكار فإن النبر ينتقل إلى المقطع الثاني[3].

وبشر ينكر تغير المعنى في اللغة الفصيحة بتغير مواضع النبـر، ولكنَّـه لا ينكر أنَّه يمكن اشتمام ملامح دَلالية إضافية ، يضيفها النَّبر إلى الجملة أو الكلمـة على حدٍّ سواء[4].

ويخلص بشر إلى رأي جديد لم يسبق إليه من أحد، وهـو تـصنيف اللغـة العربية في مرتبة البينية من حيث النبر، إذ يقول:" والأولـى عنـدنا أن نـصنف

---

(1) خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص238.

(2) بشر، علم الأصوات، ص517 – 519.

(3) خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص237 – 239.

(4) بشر، علم الأصوات، ص524.

العربية لغة (بينية) في سلسلة اللغات النبرية وغير النبرية على مستوى الجملة ليس غير "[1].

وقد يخرج النبر في بعض المقامات عن قواعده ومواضعه المحددة له، وهذه استثناءات يعدها بشر قواعد خاصة في مقاماتها المعينة، فربَّما ينتقل النبر عن موضعه تبعاً لأهمية الكلام أو تأكيداً له، فالكلمات ذوات النَّبر العاديِّ يلحقها نبر أقوى واشدُّ، والكلمات غير المنبورة في الحالات العادية تحتمل نبراً من نوع معين وفقاً لمقتضى الحال[2].

وقد أورد بشر مثالاً توضيحياً، يبين فيه كيفية انتقال النبر وتبدل مواقعه، تبعاً لأهمية الكلام أو مطابقته لمقتضى الحال، وهو: " أنا لا آكل في الصباح عادةً". فالناظر في هذه الجملة يجد أن النبر يقع في المواقف الحيادية على الفعل (آكل)، والاسم (الصباح)، ولكن قد يتبدل النبر في المواقع من كلمة إلى أخرى وذلك بحسب أهمية الكلمات والغرض المطلوب والمعنى المقصود. فقد يقع النبر على الضمير(أنا) عند إرادة التأكيد أو بيان أن المتكلم يعني نفسه بالذات لا غير، وقد يقع النبر على أداة النفي (لا) بقصد إزالة الشكِّ مثلاً عند السامع، أو لتأكيد المعنى أو توضيحه، وربَّما يستوجب الأمر كذلك نبر كلمة (عادة) لبيان أن هذا السلوك من المتكلم لا يمثل عادة عنده[3].

نلحظ ممَّا سبق أنَّ النبر في اللغة العربية قابل للحركة والتنقل وتغيير المواقع، وذلك تبعاً لأهمية المواقع أو الكلمات التي ينتقل النبر إليها. وقد عدَّ بشر هذا الانتقال من قبيل الاستثناءات التي تشكل قواعدَ خاصةً في مقامات خاصة.

ويضيف بشر إلى ما سبق، أنَّ هناك في اللغة العربية أساليب تقتضي مكوناتها نبراً اشدَّ وأقوى، تأكيداً لمدلولاتها ومقاصدها البيانية الخاصة، التي جاءت هذه الأساليب وفقاً لمقتضياتها. من هذه الأساليب: التحذير، والإغراء، والتعجب،

---

(1)بشر، علم الأصوات، ص524.

(2)المرجع نفسه، ص519 – 520.

(3)المرجع نفسه، ص520.

والاختصاص. فكلٌّ هذه الأساليب بمكوناتها تتلقى نبراً أشد وأقوى مما تتلقاه هـذه المكونات في أساليب أخرى ليست من هذه الأبواب ونحوها(1).

أمَّا فيما يخصُّ قواعد النبر ومواضعه، فقد أكَّد بـشر الخـلاف الواقـع بـين الدارسين المحدثين في ضبط قواعد النبر في العربية، وتحديد كيفيات توزيعه فـي هذه اللغة، ولكنَّه لا يعجب من هذا الخلاف، ويجد مسوغاً له وهو على ما يبدو – وبرأي بشر – أنَّه نابع من تأثر هؤلاء الدارسين بما يجري علـى ألـسنتهم مـن لهجاتهم المحلية الخاصة، ولفقدان معيار ثابت محدَّد يمكـن الاعتمـاد عليـه، أو الانطلاق منه للوصول إلى حقيقة الأمر في هذه القضية. ويقول: إنَّ النبر " أَمـارَةٌ من أَمارَاتِ اختلاف اللهجات بين أصحاب اللغة العامية. وهو أَمارَة أشدُّ وأقـوى عندما تستمع إلى غير العرب عند أدائهم للغة العربية "(2).

نلحظ ممَّا سبق أنَّ بشراً لم يخالف أقرانه المحدثين في حديثه عـن ظـاهرة النبر، فاتفق معهم في تعريفه ومجمل وقواعده، وفي تصنيف اللغات مـن حيـث كونها نبرية أو غير نبرية، وكذلك تصنيف النبر إلى حرٍّ ومقيَّد. إلَّا أنَّ بشرًا يؤكد بينية اللغة العربية من حيث وصفها بأنها نبرية أو غير نبربة. فهي لغة بينية فـي سلسلة اللغات النبرية وغير النبرية على مستوى الجملة فقط.

كما أكَّد بشر الخلاف القائم بين الدارسين فيما يخص قواعد النبر ومواضعه، وهو خلاف حاصل بلا أدنى شك، ويفسر بشر سبب هذا الخلاف بأنَّه نابع من تأثر الدارسين بما يجري على ألسنتهم من لهجات محلية خاصة، ولفقدان معيار ثابـت محدد يمكن الاعتماد عليه أو الانطلاق منه، للوصول إلى قواعد ثابتـة ومعـايير عامة، تضبط النبر في جميع لهجات اللغة العربية.

12.1 **التَّنغيم** Intonation:

الإنسان ابن المجتمع، والأصوات اللغوية الوسيلة الأولى من وسائل الاتـصال بين الإنسان وغيره من أفراد جماعته، والحياة الاجتماعية في تغيُّرٍ وتبدُّلٍ من حال

---

(1)بشر، علم الأصوات، ص 522.

(2)المرجع نفسه، ص 525.

إلى آخر، فيمر الإنسان بمواقف عديدة، من مثل: الرضا والقبول والزجر، والتهكم والغضب والتعجب، والدهشة، وغير ذلك من الحالات النفسية التي يمر بها الإنسان أثناء تعايشه في جماعته. وكلُّ حالٍ من هذه الأحوال التي تمرُّ على الإنسان، تتطلب نمطاً صوتياً معيناً، من ارتفاع وانخفاض، وتفخيم وتعظيم في درجات الصوت، وهذا ما يعرف بالتنغيم.

والتنغيم بوصفه ظاهرة صوتية ذات أهمية في عملية الفهم والإفهام، كان مستقراً أمره في وعي علماء العربية القدماء ، وإن لم يأتوا فيه بدراسة نظرية شاملة، ولم يفردوا له باباً في آثارهم، إلَّا أنَّه كان للعرب إدراكٌ عميق بموسيقا الكلام ولحونه، ويظهر ذلك جلياً عند الخليل وسيبويه، وابن جني والفارابي، وغيرهم، وما جاءت به ابنة أبي الأسود الدؤليِّ خير دليل على دراية العرب القدماء بهذه الظاهرة، حين ألقت على مسامع أبيها عبارتها المشهورة: " ما أجملُ السماءِ ". فقال: " نجومها ". فقالت: " ما إلى هذا قصدت، وإنَّما أردت أن أتعجب من جمالها ". فقال: " فقولي إذن: ما أجملَ السماءَ ".

فالتنغيم هو " رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام، للدَّلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة " [(1)]. أو " هو النغمات الموسيقية المنتظمة والمتتابعة في حديثٍ كلاميٍّ معينٍ، وهذه الظاهرة الصوتية تصاحب التركيب، وتساعد على فهم معنى الكلام "[(2)].

والناظر في تعاريف التنغيم جميعها، يجد أنَّها متفقة على أنَّ التنغيم هو التَّبدُّل والتَّغيُّر في درجة الصوت من علوٍّ وانخفاضٍ، وهذه التغيرات والتبدلات الحاصلة راجع أمرها إلى التَّبدُّل و التَّغيُّر في نسبة ذبذبة الأوتار الصوتية، هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية[(3)].

---

(1)عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص106.

(2)الخليل، المصطلح الصوتي، ص 197. وانظر في تعريف التنغيم: حسان، مناهج البحث في اللغة، ص198. وانظر: السعران، علم اللغة، ص 159. وانظر: عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 194.

(3)السعران، علم اللغة، ص159.

فالتنغيم، لون موسيقيٌّ يكسو الكلمات والجمل ويؤدي إلى تغيرات دلاليـــة، أو هو " ملمحٌ تركيبيٌّ تمييزيٌّ يرتبط بالجملة أو العبارة، ويغير معناها، ويتشكل هـــذا الملمح من سلسلة النغمات الصوتية المتوالية في الجملة أو التركيب، وهذا الجانب التشكيليُّ الصوتيُّ يوجد في جميع اللغات، ويختلف من لغة إلى أخرى ومن لهجـــة إلى أخرى "[1].

أمَّا قواعد التنغيم وضوابطه فيرى أحمد مختار أنَّ تقعيد التنغيم أمرٌ يكاد يكـــون مستحيلاً ؛ لأنَّ معظم أمثلته في العربية ولهجاتها ليست تمييزيـــة، وإنَّمـــا تعكـــس خاصة لهجية أو عادة نطقية للأفراد[2].

أمَّا بشر فقد عرَّف التنغيم على أنَّه " ألوان موســيقية، تظهــر فـــي صـــورة ارتفاعات وانخفاضات، أو تنويعات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام. [3]" وقـــد فرق في حديثه عن التنغيم بين التنغيم والنبر، إذ ليس التنغيم هو النبر كمـــا يظـــن بعض الدارسين، فالنبر عامل مهم من عوامل التنغيم، بالإضافة إلى عوامل أخرى كطبيعة الصوت، وهيئات التركيب، ومواقفها وملابساتها الخارجية المتعلقة بالمتكلم و أغراضه[4].

والتنغيم عند بشر روح تكسو الكلام وتكسبه معنىً، إنَّه يدل على الحالة النفسية للمتكلم، كما يعد عاملاً مهماً من عوامل توضيح المعاني وتفسيرها، وتمييز أنمـــاط الكلام بعضها من بعض. فالجملة الواحدة تتنوع دَلالاتها بحسب درجـــة الـــصوت وكيفية التنويع في موسيقاه[5].

ويجعل بشر النغمات في الكلام العربيِّ نغمتين رئيستين، بالنظر إلى نهاياتهـــا فقط، أمَّا الإطار الداخليُّ ، فينتظم عدداً من التنوعات الجزئيـــة الكثيـــرة. وهـــذه النغمات هي:

---

(1)الخليل، التشكيل الصوتي، ص36.

(2)عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص315.

(3)بشر، علم الأصوات، ص533.

(4)المرجع نفسه، ص533.

(5) المرجع نفسه، ص534

1- النغمة الهابطة (falling tone): وسُمِّيَتْ بذلك لاتصافها بالهبوط في نهاياتها ، على الرَّغم ممَّا قد تنتظمه من تلوينات جزئية داخلية.

2- النغمة الصاعدة (raising tone) وسميت بذلك لصعودها في نهايتها، على الرغم من تنوع أمثلتها الجزئية الداخلية[1].

وقد أورد بشر رسمًا بيانيًّا لكلٍّ نوع من هاتين النغمتين، و حدَّد ضوابط معينة لهذا الرسم البيانيِّ، هي:

1- رسم خطوط ثلاثة أفقيَّة متوازية مع تساوي المدى بينها.

2- الإشارة إلى المقطع المنبور بشرطة (-)، وقد ترسم هذه الشرطة مستوية أو صاعدة أو هابطة، وفقاً لحالة النغمة المعينة.

3- الإشارة إلى المقطع غير المنبور بوضع نقطة (.)، وقد تكون النقطة في مدى مرتفع أو منخفض أو مستو[2].

وقد تحدث تمَّام عن رموز النغمات في الكتابة الصوتية، فقال:" أمَّا كتابة النغمات نفسها، فكما يأتي:

1- النغمة الهابطة ولا تكون إلا على مقطع منبور (⟍).

2- النغمة الصاعدة ولا تكون إلا على مقطع منبور (⟋).

3- النغمة الثابتة إذا كانت منبورة (—).

4- النغمة الثابتة إذا لم تكن منبورة (•)[3].

نلحظ أنَّ بشراً قد أهمل النغمة المستوية، أو الثابتة كما سماها تمَّام، ولكنَّه يشير في الضوابط التي وضعها لرسم النغمات صوتياً، يشير إلى النغمة المستوية.

وقد أورد بشر أمثلة تقليدية من اللهجة المصرية العامية لهذه النغمات، فأمثلة النغمة الهابطة كثيرة، وتظهر بوجه خاص فيما يأتي:

1- الجمل التقريرية، من مثل: محمد في البيت.

2- الجمل الاستفهامية بالأدوات الخاصة، من مثل: محمود فين؟.

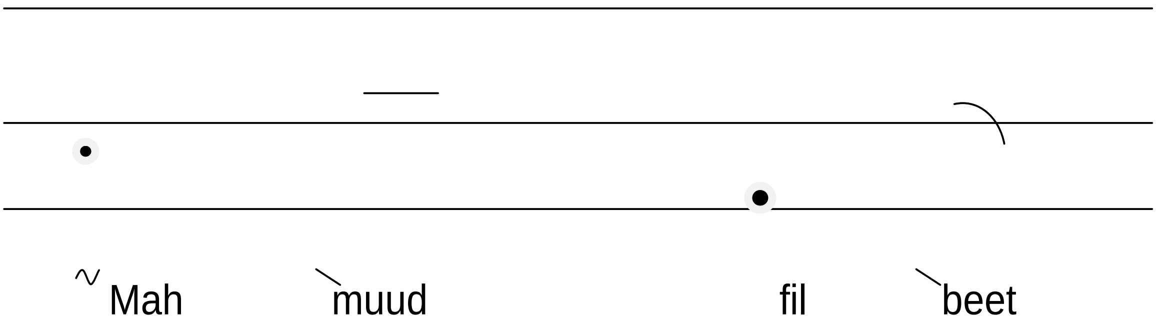
---

(1)بشر، علم الأصوات، ص 534 – 537.

(2)المرجع نفسه، ص535.

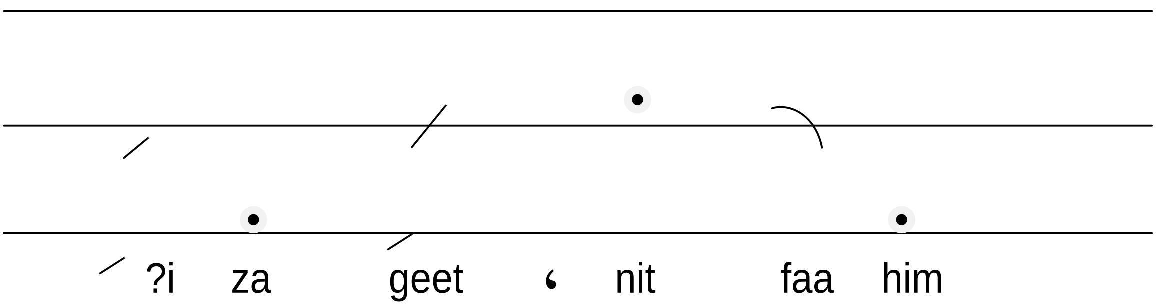
(3)حسان، مناهج البحث في اللغة، ص201.

3- الجمل الطلبية، من مثل: اخرج برا.
وارتأيت هنا أن أورد رسمًا بيانيًّا توضيحيًّا لواحدة من الأمثلة السابقة، فأخذنت جملة: " محمود في البيت. " ورسمها البيانيُّ كالآتي[1]:



أمَّا النغمة الصاعدة فمن أمثلتها ما يأتي:

1- الجملة الاستفهامية التي تستوجب الإجابة بلا أو نعم، من مثل: " محمـــود فـــي البيت؟".
2- الجملة المعلقة، ويُعنى بها الكلام غير التام لارتباطه بما بعده، وخير مثال على هذه الجمل، الجزء الأول من التركيب الشرطي (جملة الشرط)، من مثل: " إذا جيت، نتفاهم ". ورسمها البياني كما يأتي:



وهذه الجملة السابقة بأكملها انتهت بنغمة هابطة، وذلك لأنَّ الكلام قد تمَّ معناه وأصبحت الجملة كلُّها تقريريةً، بينما الجزء الأول منها وهي جملة الـــشرط: " إذا

(1)بشر، علم الأصوات، ص535 – 536.

جيت "، فهي جملة معلقة، وذلك لعدم تمام معناها وتوقفه على الجواب، أي أنَّها مرتبطة بما بعدها، ونستعيض عن هذه الناحية الصوتية (النغمة) في الكتابة العادية بوضع الفاصلة (،)، وذلك للدلالة على عدم تمام المعنى وارتباطه بما بعده[1].

يُلحظ ممَّا سبق أنَّ بشراً يربط بين النغمتين الهابطة والصاعدة من جهة، وبين علامتي الترقيم الفاصلة (،) والنقطة (.) من جهة أخرى، ويظهر ذلك في أنَّه يساوي بين النغمة الصاعدة والفاصلة (،)، من حيث الوظيفة، فكلتاهما تدلان على عدم تمام المعنى، وارتباطه بما بعده، كما ويساوي بين النغمة الهابطة والنقطة (.) في الوظيفة أيضاً، فكلتاهما تدلان على تمام المعنى وكماله.

وقد أكَّد بشر إمكانية ظهور النغمات الصاعدة والهابطة معاً في منطوق واحد، وذلك كما جاء في جملة الشرط السابقة وجوابها: " إذا جيت، نتفاهم.". وكما في نحو: " واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة. " فحين العد المستمر يشعر السامع بارتباط السابق باللاحق، ثم الانتهاء عند العدد (أربعة)، فالنغمات الجزئية الداخلية صاعدة عند نهاية الأعداد الثلاثة الأولى، لتعلقها بما بعدها، في حين كانت النغمة هابطة في النهاية عند العدد (أربعة)؛ وذلك لانتهاء الكلام وتمام معناه[2].

وللتنغيم وظائف عدَّة أشار إليها علماء اللغة، ذكر منها تمام حسان الوظائف الآتية:

1- الوظيفة النحوية، كتحديد الإثبات والنفي في جملة تستعمل فيها أداة الاستفهام.
2- الوظيفة الأصواتية، وهي النسق الأصواتيُّ الذي يُسْتَنْبَطُ التنغيم منه.
3- الوظيفة الدلالية، ويمكن رؤيتها في اختلاف علو الصوت وانخفاضه، وفي اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع في النموذج التنغيمي[3].

وأهمُّ وظائف التنغيم - عند بشر – في التحليل اللغويِّ، وفي عملية الاتصال الاجتماعيِّ بين المتكلمين أربع وظائف:

---

(1)بشر، علم الأصوات، ص536 – 537.

(2) المرجع نفسه، ص 538.

(3)حسان، مناهج البحث في اللغة، ص198. وانظر في وظائف التنغيم: الخليل، التشكيل الصوتي، ص37 – 42.

الوظيفة الأولى:

وهي الوظيفة النَّحوية، ويعدها بشر الوظيفة الأساسية للتنغيم، إذ بهـا يحـصل التمييز بين أنماط التركيب، والتفريق بين أجناسها النحوية، فمن أهمِّ وظائف التنغيم النحوية، دوره في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفـة: تقريريـة، واسـتفهامية، وتعجبية، وغيرها. والتنغيم هو الفيصل في الحكم والتمييز بين هذه الحالات، ومـن ذلك قوله تعالى: { هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا }. (1)

إنَّ هذه الآية تحتوي على أداة استفهام (هل) ، ولكنَّها ليست باستفهامية، إذ قدَّر المفسرون أنَّ (هل) هنا بمعنى (قد)، ومن ثمَّ فالجملة تقريرية، وليست اسـتفهامية، والموسيقا والتنغيم هما الفيصل في تحديد هذا. وهناك أمثلة أخرى تخلو من أدوات الاستفهام ولكنَّها في حقيقة الأمر جمل استفهامية، واستفيد هذا المعنى من الموسـيقا التي صاحبت نطقها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: { يا أيُّه النَّبيُّ لِمَ تُحَرِّمْ ما أحلَّ اللهُ لك، تَبْتَغي مرضات أزواجك }؟ (2)

فقد قرَّر المفسرون أنَّ جملة (تبتغي) جملـة اسـتفهامية، وتقـدير الكـلام (أتبتغي) بإثبات الهمزة، والحكم بأنَّها استفهامية إنَّما يرجع إلى تنغيم النطق بصورة استفهامية(3).

الوظيفة الثانية:

وظيفة دَلالية سياقية، وفي هذه الوظيفة ينبئ التنغيم من خلال اختلاف النغمات، وفقاً لاختلاف المواقف الاجتماعية والنفسية، من حالات الرضا والقبول، والزجـر والتهكم والغضب، وغير ذلك، ينبئ عن حالات أو وجهات نظر شخصية في عملية الاتصال بين الأفراد. حيث تأتي العبارة أو الجملة الواحدة بأنماط تنغيمية مختلفة ، وفقاً لسياق الحال. وهذا ما أشار إليه علماء البلاغة بقولهم: " لكـلِّ مقـامٍ مقـال". ويظهر ذلك في مثل العبارة العامية : " لا يا شيخ ". حيث درجت الألـسن علـى أدائها بصور تنغيمية مختلفة، وفقاً للمقام والسياق ومقصودها التعبيريِّ، وفي هـذه

---

(1)الإنسان ، آية (1)

(2)التحريم، آية (1).

(3)بشر، علم الأصوات، ص541 – 544.

الحالة تأتي النغمات مصحوبة بسمـــات صوتية أخـــرى، كـــالنبر القـــوي لـــبعض المقاطع، وتطويل الحركات، مع بعض الحركات أو الإشارات الجسمانية. وكلُّها مع أنماط التنغيم تقود إلى اختلافٍ في المعنى الدَّلاليِّ والسياقيِّ(1).

نلحظ مما سبق أثر التنغيم في الإبانة عن المعنى في كثير من الأنماط اللغويـــة المحكية في حياتنا العامية، والتي لا يَفْرُقُ بين معانيها إلا التنغيم، مثال ذلك حـــرف الجواب (نعم) فلو نظرنا إليه لوجدنا أنه يحتمل عدة معان، فقد يعني الموافقة، وقـــد يعني الاستهزاء، وقد يراد منه السؤال، إلى غير ذلك من المعاني المحتملة، التـــي لسياق الحال أيضاً دور مهم في إبرازها ، والكشف عنها من خلال تنغيمها.

الوظيفة الثالثة:

تَعَرُّف الطبقات الاجتماعية والثقافية المختلفة في المجتمع المعين، فلكلِّ طبقـــة من طبقات المجتمع أنماطها التنغيمية الخاصة بها، الموافقة لحال هذه الطبقة، وهذا التباين والاختلاف في الأنماط التنغيمية من طبقة إلى أخرى ، مرجعه إلى موقع كلِّ طبقة في المجتمع ومحصولها الثقافيِّ(2).

الوظيفة الرابعة:

وهي الوظيفة المعجميَّة، إذ يرى بشر أنَّ للتنغيم وأنماطـــه دوراً أساســـياً فـــي التفريق بين معاني الكلمات المفردة في بعض اللغات. وضرب مـــثلاً وهـــو كلمـــة (ma) في إحدى اللغات الصينية، فإنها تعني (الأم) إذا نطقت بنغمة مستوية، ولكنَّها تعني (الحصان) إذا نطقت بنغمة (صاعدة-هابطة). وقد سمَّى بشر هذه النغمة باسم (النغمة المعجمية – lexical tone). وقد يظهر - بالإضافة إلى تغييـــر المعنـــى الدَّلاليِّ للمفردة الواحدة - تمييز بين الأجناس الصرفية للكلمة الواحدة(3). ومن هنا وعلى غرار تسمية هذه النغمة بالنغمة المعجمية، جاز لي أن أطلـــق عليهـــا اســـم (النغمة الصرفية) نظراً للدور الصرفي الذي تؤدِّيه هذه النغمة في المفردة الواحدة.

---

(1)بشر، علم الأصوات، ص539 -540.

(2) المرجع نفسه، ص540. وانظر للاستزادة: بشر، كمال، علم اللغة الاجتماعي (مـــدخل)، دار غريب، ص235 وما بعدها.

(3)المرجع نفسه، ص 541.

وهذه اللغات التي يعتمد التفريق فيها بين معاني الكلمة، أو التمييز بين الأجناس الصرفية للكلمة على درجة النغمة، تسمى (اللغات النغمية-tone languages)[1].

أمَّا تمَّام فيرى أنَّه ليس للتنغيم في العربية وظيفة معجمية كالصينية مثلاً[2]. فكلمة (فان) مثلًا في اللغة الصينيَّة تؤدي ستة معان لا علاقة بينها، هي: (نوم، يحرق، شجاع، واجب، يقسم، مسحوق) وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة[3].

نلحظ مما سبق أنَّ بشراً لم يختلف عن غيره من الدارسين في حديثه عن التنغيم، ولكن يؤخذ عليه أنَّه أهمل الحديث عن النغمة المستوية، على الرغم من أنَّه أشار إليها في حديثه عن ضوابط الرسم البيانيِّ للتنغيم، فقد ذكر أنَّ الشرطة (-) قد ترسم مستوية أو صاعدة أو هابطة، للدلالة على المقطع المنبور. فهذه إشارة منه إلى أنَّ هناك نغمة أساسية بالإضافة إلى النغمتين الصاعدة والهابطة، وهي النغمة المستوية، ولكنَّه لم يتحدث عنها بشيء من التوضيح. في حين أشار إليها تمام حسان وسماها (النغمة الثابتة)، وتقع هذه النغمة على المقطع المنبور وغير المنبور على حدٍّ سواء[4].

ونخلص كذلك إلى أنَّ بشراً يجعل الأمثلة التوضيحية في دراسته لظاهرة التنغيم من اللهجة المصرية الدارجة؛ وذلك لقربها من الدارسين وسهولة فهمها ، ولأن اللهجة نصٌّ منطوق يمكن الاعتماد عليه.

13.1 **الفواصل الصوتية:**

المفصل أو الفواصل الصوتية، هو عبارة عن سكتة خفيفة بين عدة كلمات أو مقاطع، بقصد تحديد مكان انتهاء الكلمة أو المقطع وبداية كلمة جديدة أو مقطع

---

(1) بشر، علم الأصوات، ص541.

(2) حسان، مناهج البحث في اللغة، ص198.

(3) أنيس ، الأصوات اللغوية، ص 124.

(4) حسان، مناهج البحث في اللغة، ص201.

آخر[1]. والفواصل الصوتية شديدة الارتباط بالتنغيم، إذ إنَّه لا يتم اكتـــشاف دوره أو أهميته في التحليل اللغويِّ إلا بربطه بالفواصل الصوتية[2].

وقد أطلق عليها محمد الخوليُّ اسم الفاصل وعرَّفها بأنَّها: " نوع مـــن الـــسكون يفصل بين مجموعة صوتية وأخرى. ويدعوه البعض وقفاً أو انتقالاً أو مفصلاً. وقد يفصل بين صوت وآخر، أو بين كلمة وأخرى، أو بين عبارة وأخرى فـــي الجملـــة الواحدة، أو بين جملة وأخرى. "[3]

والفواصل الصوتية مصطلح أطلقه بشر على مجموعة من الظواهر الـــصوتية، التي تشكل مع ظواهر أخرى - كالتنغيم والنبر مـــثلاً – تلوينـــاً موســـيقياً خاصـــاً بالمنطوق، يحدد طبيعة التركيب وماهيته ودلالته. وهذه الفواصل هي: الوقفة stop، والسكتة pause، والاستراحة أو أخذ النفس[4].

وللفواصل الصوتية أهمية كبيرة في التحليل النحوي والدلالي للتراكيب، إذ بهـــا تعرف أنماط الجمل النَّحوية، ومعانيها الدَّلاليَّة، وذلك باختلاف مواقعها وهيآتها، من وقفة أو سكتة أو استراحة، وقد عدها محمد الخولي فونيمًا له تأثير في المعنى[5].

وكما مرَّ سابقاً، إنَّ الفواصل الصوتية ذات ارتباط وثيق بالنغمات، وهذا ما سوف نتعرفه من خلال بيان كيفيات تطبيق هذه الفواصل في الكلام المنطوق، كما يأتي:

1 - **الوقفة**stop : ورمزها في الكتابة العادية النقطة [.]، والوقفـــة لا تكـــون ولا تتحقق إلا عند تمام الكلام في مبناه ومعناه، وفقاً لقواعد اللغة، والوقفة الكاملة تـــأتي مصحوبة بنغمة هابطة، وذلك دليل على تمام الكلام في مبناه ومعناه، وهذه الوقفـــة غالباً ما تتبع الجمل التقريرية[6].

---

(1) خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص 242.

(2) بشر، علم الأصوات، ص 553.

(3) الخولي، الأصوات اللغوية، ص 167.

(4) بشر، علم الأصوات، ص 553.

(5) الخولي، الأصوات اللغوية، ص 167.

(6) بشر، علم الأصوات، ص554 – 555.

ومن الصعب تحديد مواقع الوقفات وحصر أمثلتها بصورة كاملة أو نهائيـــة ؛ لأنَّ الوقفات الصحيحة مرتبطة بصور التراكيب ونوعياتها ومعانيها المنتظمة لهـــا، والسياقات الاتصالية للكلام، ومن المعلوم أنَّ السياقات والمقامات لا حصر لهـــا، إذ هي مرتبطة بأحوال المتكلم والسامع ، وما يلفها من أوضـــاع ثقافيـــة واجتماعيـــة ونفسية، وغيرها. وعلى أيَّة حال فالوقفة الصحيحة لا تتحقق إلا بتمام الكـــلام فـــي مبناه ومعناه. وهذه بعض النماذج التي لا يجوز الوقف عليها، وهـــذا بيـــان ســـلبيٌّ لمواقع الوقفات:

1 - لا تجوز الوقفة، كما لا تجوز السكتة أيضاً بين المضاف والمـــضاف إليـــه، لأنهما – مبنى ومعنى – متلازمان، كالشيء الواحد.

2 - لا تجوز الوقفة بين الفعل وفاعله، كما لا يجوز الفصل بينهما وبين المفعول.

3 - لا تجوز الوقفة بين الأدوات الخاصة ومدخولها. والمقصود بالأدوات الخاصة هنا تلك الأدوات التي تؤثر في مدخولها من حيث الإعـــراب أو المعنـــى أو كليهما، من مثل: حرف الجر مع الاسماء، وأدوات النـــصب والجـــزم مـــع المضارع، والنواسخ مع الجمل الاسمية، وغير ذلك.

4 - لا تجوز الوقفة بين اسم الإشارة وبدله، أو عطف بيانه المحلى بالألف واللام، كما في قوله تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب في }[1] على قـــراءة مـــن جعـــل (الكتاب) بدلاً، والخبر جملة (لا ريب فيه) [2].

5 – لا تقع وقفة أو سكتة بين النعت ومنعوته، إلا إذا كان النعت نعتـــاً مقطوعـــاً، فيجوز سكتة خفيفة بينهما، دليلاً على عود المتكلم إلى التوضيح بذكر النعت المقطوع بإعرابه المخالف لإعراب المنعوت، كما في قولنا مـــثلاً: (مـــررت بمحمد، الطويل) بنصب النعت المقطوع أو رفعه، فـــي حـــين أنَّ المنعـــوت مجرور.

6- لا يجوز الفصل بوقفة بين المميِّز و المميَّز، كما لا يجوز ذلـــك بـــين الحـــال المفرد وما جاء لبيان حاله، كما في نحو: (جاء عليٌّ ضاحكاً) ، أمَّا إذا كـــان

---

(1)البقرة ، آية (2).

(2)انظر فيما يأتي، الفصل الثاني، المستوى النحوي.

الحال جملة، فقد تقع سكتة خفيفة بين الطرفين، مثل: (جـــاء محمـــدٌ، وهـــو يضحك) [1].

وقد سمَّى محمد الخوليُّ الوقفة بالفاصل الهابط ؛ لارتباطها بالنغمة الهابطـــة، وعرَّفه بأنَّه " فاصل يأتي في نهاية القول دالاً على انتهائه، ويصاحبه هبـــوط فـــي النغمة، ولذا فهو نوع من الفواصل الخارجية، أو الختامية "[2].

2 – **السكتة** pause: ورمزها [،] وهي أخفُّ من الوقفة وأدنى منها زمناً. وهـــي مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، إشعاراً بأنَّ ما يسبقها من الكلام مـــرتبط أشدَّ ارتباط بما يلحقها، ومتعلق به. ومن هنا نلحظ شدَّة ارتباط الـــسكتة بالنغمـــة الصاعدة، فكلتاهما تدلان على أنَّ ســـابقهما مـــرتبط أشـــدَّ الارتبـــاط بلاحقهمـــا. وارتباطهما بالنغمة الصاعدة دليل على عدم اكتمال الكلام وتمامه[3].

وممَّا يؤكد شدَّة الارتباط بين النغمة الصاعدة والسكتة، تسمية الخولي للـــسكتة باسم (الفاصل الصاعد)،وتعريفه بأنَّه" فاصل يأتي في نهاية القول ويصاحبه ارتفاع في النغمة "[4]

وعلامة السكتة في الكتابة العادية هي الفاصلة [،]، وقد عدَّ بشر هذه الفاصـــلة فاصلة واصلة، بمعنى فاصلة نطقاً، واصلة للسابق باللاحق مبنى ومعنى[5].

ونماذج السكتة أو مواقعها ، هي تلك النماذج التي تنتظم طرفين يكونان وحدة متكاملة، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، وفقاً لهيئات تركيبهما ودَلالـــة المنطـــوق كلِّه. ومن أهمِّ هذه النماذج وأوضحها في هذا الشأن ما يأتي:

1- الجمل الشرطية، وتكون السكتة بين طرفيها: الشرط، والجواب، من مثل قوله تعالى: { ومن يتق الله، يجعل له مخرجاً}[6]

---

(1) بشر، علم الأصوات، ص555 – 557.

(2) الخولي، الأصوات اللغوية، ص 168.

(3) بشر، علم الأصوات، ص 557.

(4) الخولي، الأصوات اللغوية، ص 168.

(5) بشر، علم الأصوات، ص 557.

(6) الطلاق، آية (2).

2- كل الجمل المحكومة برابط من الروابط العامة، من مثل: (بينما، بينا، كلَّما، لمَّا، لو، لولا) وغيرها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: { كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَريا المِحْرَابَ، وَجَدَ عِنْدَها رِزْقًا}[1].

3- وتقع السكتة أيضاً بين المنعوت والنعت المقطوع، وهذا ما أشير إليه قبلاً.

4-يجوز إعمال سكتة خفيفة بين المبتدأ والخبر إذا كانا معرَّفين، وبخاصة إذا كان الخبر محلى بأداة التعريف الدَّالة على العهد أو الكمال، وكان المبتدأ اسم إشارة، ومثال ذلك قوله تعالى:{ذلك الكتاب}. على قراءة من جعل الكتاب خبراً، ودليل إمكانية هذه السكتة، مجيء ضمير الفصل في مثل هذه الحال بين المبتدأ والخبر: (ذلك هو الكتاب).

5-تحدث السكتة أيضاً قبل أداة الاستدراك (لكن) وأداة الإضراب (بل)، وذلك بعد كلام مستدرك عليه. والسكتة هنا فاصلة نطقاً، ولكنَّها في الوقت نفسه واصلة مبنى ومعنى، بدليل انتهائها بنغمة صاعدة، وهي دليل عدم تمام الكلام. ومثال ذلك قولك: (سمعت ما يقولون، ولكنّي غير متأكد). وقولنا: (ليس الأمر مقصوراً على ذلك، بل تعداه إلى مجالات أخرى).

6- تقع السكتة أحياناً بين القول وحكايته[2]. وهنا يفسر بشر سبب وجوب كسر همزة (إنَّ)،وهو تفسير تفرَّد به بشر دون غيره، إذ يفسِّر هذه الظاهرة تفسيراً صوتياً، وفي ذلك يقول: إنَّ "وجوب كسرة همزة (إنَّ) إشارة إلى هذه الظاهرة الفاصلة الواصلة. إنَّها فاصلة فَكُسِرَت همزةُ (إنَّ) فكأنَّها بداية جملة مستقلة، ولكنَّها أيضا واصلة، لأنَّ (إنَّ) ومدخولها محكي بهذا القول ومفسر له ومتضمن مقصوده. ولولا السكتة الفاصلة نطقاً في هذه الحالة لوجب فتح الهمزة، إذ هي دليل الوصل التام نطقاً وتركيباً ومعنى. "[3]

---

(1)آل عمران، آية (37).

(2)بشر، علم الأصوات، ص558 – 559.

(3)المرجع نفسه ، ص 559.

ويعطي بشر مثلاً من القرآن الكريم حول قضية كسر همــزة (إنَّ) أو فتحهــا، وذلك قوله تعالى: { فَدَعا رَبَّهُ أنّي مَغْلوبٌ فانتَصِر} [1] فقد قُرِئتْ بكــسرِ همــزة (إنّ)، وتفسير ذلك وجود سكتة فاصلة في النطق قبل (إنّ) التي جاءِتْ مع مدخولها بياناً وتوضيحاً لمضمون الدعاء في الآية، فكأنَّ (إنَّ) وقعت حينئذ في بدايــة هــذه الجملة التفسيرية، أو كأن التقدير: (فقال: إنِّي مغلوبٌ). أمَّا القراءة بفتح الهمــزة – وهي الأشيع والأشهر – فلا سكتة ولا فصل بين طرفــي الآيــة، لأنَّ (أنَّ) بفــتح الهمزة ذات اتصال مباشر وثيق بما يسبقها[2].

3- **الاستراحة**: ورمزها [،]وهي مجرد وسيلة صــوتيَّة لمــنح الكــلام خاصــة الاستمرارية، عند الوقفة أو السكتة في فتراتها الزمنية، فهي فرصة لمجــرد أخذ النفس، أو ما يسمّيه بعضهم سرقة النفس، ولا توجد قواعد ضابطة لها، ويتوقف تفعيلها على قدرة المتكلم وعلى مدى فهمه واستيعابه لقواعد اللغة[3].

وقد سمَّاها محمد الخوليُّ بــ (الفاصل المؤقت)، وعرَّفه بأنَّه: " فاصــلٌ يــأتي وسط القول ولا يصاحبه تغيير في النغمة، وهو من الفواصل الخارجيــة،........ ومثاله السكون الذي قد يحدث بين المبتدأ و الخبر، مثل: (الولد، مسافر أبوه) [4].

وللفواصل تأثير واضح في تغيير دَلالة الكلمات والجمل، والتمييز بين المتشابه منها في النطق، ويظهر ذلك في اللغة العربية بشكلٍ واضح، فالمفصل أو الانتقــال له دَلالة فونيمية تدلُّ على المسافة المتروكة في الكتابة بين كلمة وأخرى نطقهمــا واحد، ومثال ذلك قول الشاعر[5]:

إذا ملك، لم يكن **ذا هبة** فدعــه، فدولتــه **ذاهبـــة**

---

(1)القمر، آية (10).

(2)بشر، علم الأصوات، ص559 - 560.

(3)المرجع نفسه، ص560.

(4)الخولي، الأصوات اللغوية، ص168.

(5)البيت لأبي الفتح البستي ، (ت 401 هــ) ، انظر: الديوان ، تحقيــق الأســتاذين: دُريَّــة الخطيب و لطفي السقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1410هــ ، 1989م، ص 40.

يلحظ هنا أنَّ (ذا + هبة) في الشطر الأول ، تحتوي على نفس الفونيمات التي تتكون منها كلمة (ذاهبة) في الشطر الثاني، غير أنَّ هذين المنطوقين يختلفان في المعنى، وذلك باختلاف الفاصل بين فونيمات الكلمة الواحدة. إذ إنَّ معنى (ذا + هبة) في الشطر الأول يعني: صاحب هبة أو أعطية. وتتركب من كلمتين لا كلمة واحدة، في حين أنَّ كلمة (ذاهبة) في الشطر الثاني اسم فاعل مؤنث من الفعل (ذهب)، والذي أحدث الخلاف هنا وجود فونيم المفصل، أي وجود سكتة خفيفة بين الكلمتين: (ذا) و (هبة) والترجمة الواضحة لذلك في الكتابة العادية هي المسافة بين الكلمتين هكذا: (ذا هبة) [1].

والناظر في القرآن الكريم يجد الدليل الواضح على أهميَّة الفاصل الصوتيِّ، بأنواعه المختلفة، ولنأخذ على سبيل المثال قوله تعالى: { كدأب آل فرعونۙ والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكلٌّ كانوا ظالمين } [2] فنجد هنا أن هذه الآية اشتملت على ذكر فريقين من الناس فريق فرعون وآله، وفريق سبقهم في العهد، فجاءت علامة (لا) المتفق عليها في تلاوة القرآن الكريم بأنَّها تمنع التوقف، أو أخذ الاستراحة، و وجوب ربط سابقها بلاحقها؛ وذلك لأنَّ المعنى الذي يفيده الربط هو المعنى المرجو والمطلوب، وهو اشتراك الفريقين المذكورين في حكم الآية وهو تكذيب آيات ربِّهم.

ولو فُرِّقَ بين الفريقين بأحد أنواع الفواصل الصوتية (الوقفة، السكتة، الاستراحة)، لاختلف معنى الآية ولذهب مرادها، فلو فصلنا بوقفة مثلاً، لظنَّ السامع أنَّ الذين كذبوا بآيات ربهم هم الفريق الذي سبق فرعون وآله، وليسوا الفريقين معاً. وهذا معنى مغاير للذي قصده الله تعالى، وهو اجتماع الفريقين في تكذيب آياته عزَّ جلاله.

نخلص ممَّا سبق إلى أنَّ الفواصل الصوتية ذات أهمية بالغة في التحليل اللغوي على المستويات اللغوية كافة، وعلى الأخص في حسبانها عاملاً فاعلاً في تصنيف الجمل والعبارات إلى أجناسها النحوية المختلفة.

---

(1)خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص243.

(2)الأنفال، آية (54).

ونستنتج أيضًا أنَّ بشراً قد انفرد عن غيره في تفسيره لظاهرة كسر همزة (إنَّ) تفسيراً صوتياً، لم يسبقه أحد على ذلك، حيث إنَّه عدَّ كسر همزة (إنَّ) ، دليلاً على إمكانية وقوع سكتة أو وقفة خفيفة قبلها، وهي بهذا تقوم مقام الفاصلة [،] أو النقطة [.]، أو النقطتين الرأسيتين [:]، كما هو الحال بعد القول في نظام الكتابة الشائع حالياً.

الفصل الثاني

المستوى الصرفيُّ والنحويُّ

يُعَدُّ علم الصرف في المرتبة الثانية، في سلسلة العلوم اللغوية، بعد علم الأصوات، ومقدمة لعلم النحو، أو خطوة ممهدة له " وليس الترتيب بين هذه العلوم ترتيب أهمية أو أفضلية، إنَّما هو ترتيب يقتضيه منطق الأشياء "(1).ومعنى هذا الترتيب أنَّ علم الصرف يعتمد بالضرورة في مسائله وقضاياه، على نتائج ومخرجات البحث الصوتيِّ، وهو في الوقت نفسه يَخْدِمُ النحو، ويُسْهِمُ في توضيح مشكلاته وتفسيرها، ويمهد له.

فالصرفُ " مستوى من التحليل اللغويِّ بين المستويين: الفونولوجيِّ والنحويِّ، وعلى هذا، فهو يمثِّل السقف بالنسبة للدراسات الصوتية، والأساس بالنسبة للدراسات النحوية." (2)

والناظرُ في القديم من كتب اللغة، يَلحَظُ أنَّ هذا العلم لم يحظ باهتمام المؤلفين في العصور المتقدمة، فلا يجد إلا النُّدْرَةَ النادرة ممن أفردوا مؤلَّفًا خاصًّا بهذا العلم، ولكنَّه يجده مشتبكًا بالنحو، مختلطًا به. إذ " إنَّ مسائل الصرف وقضاياه كانت تُدْرَسُ مُخْتَلَطَةً بالنحو، وكان الأثر العلميُّ الواحد يشمل قضايا العلمين – وغيرهما – معًا "(3)

بل تعدى هذا الخلط بين العلمين – بالإضافة إلى جمعهما في أثرٍ علميٍّ واحد – إلى" التعريفات التي قُدِّمَتْ في الفترات التاريخة المختلفة، بحيث نرى كثيرًا من الدارسين، يُلْقُونَ بين أيدينا بتعريفاتٍ أشبه ما تكون بتعريفات اليوم، من حيث اشتمالها على ما يَعُمُّ الصرف والنحو جميعًا." (4)

---

(1)بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، 1969، دار المعارف بمصر، ص 84.

(2)الشايب، فوزي، تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة، 1988م ،1409هـ.ص11.

(3)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص 85-86.

(4)المرجع نفسه، ص86.

ولم يَتَوَقَّفْ عدم اهتمامهم بالصرف على إهمالهم إيَّاه في التأليف، بل تعداه إلى تفضيل النحو عليه، ومن أوجه هذا التفضيل، أنَّهم قدموا النحو علـــى الـــصرف، فجعلوا موضوعات الصرف تاليةً لموضوعات علم النحو، على الـــرغم مـــن أنَّ الصرف هو المُمَهِّدُ لعلم النحو والموَطِّئُ له. ويعتذر ابن جني عن ذلك بأنَّ تـــأخير الدرس الصرفيِّ سببه صعوبة هذا العلـــــم، إذ يقول: " إلَّا أنَّ هذا الـــضَّرْبَ مـــن العلم – يعني علم الصرف – لمَّا كان عَويصًا صعبًا، بُدِئَ قبله بمعرفة النحو، ثـــم جِيْءَ به، بعدُ، ليكون الارْتِيَاضُ في النحو موطِّئًا للدخول فيه، ومُعِينًا على معرفـــة أغراضه ومعانيه. [1]"

وبشر كغيره من اللغويين المحدثين، تحدث عن الصرف وتناوله في دراســـاته، ولكنَّه لم يُفْرِدْ له مؤلفًا خاصًا، بل تناوله في قطعة بحثية، تتمثل في بحثه المنشور في مجلة مجمع اللغة العربيَّة المصريِّ، سنة 1969م، في عددها (25)، الموسوم بـــ "مفهوم علم الصرف". بالإضافة إلى تلك الإشـــارات التـــي يجـــدها المُتَتَبِّـــعُ لمؤلفاتِه، فلا يَلبَثُ بشر أنْ يُسقِطَ بعض الإشارات الصرفية، من خلال حديثه عـــن موضوعاتٍ لغويَّةٍ أخرى، و بالأخص علم الأصوات.

ونظرة بشر في علم الصرف تَخْتَلِفُ كلَّ الاختلاف عن نظـــرة أَقْرَانِـــهِ مـــن اللغويين المحدثين، فقد ذهب في غير موضعٍ من حديثه عن علم الـــصرف، إلـــى تفسير الظواهر الصرفية تفسيرًا حديثًا، معتمدًا في أغلب أحيانه علـــى مُخْرَجَـــاتِ العلم الحديث، وخصوصًا علم الأصوات، إذ يقول في هذا المعنـــى: "إنَّ مباحـــث الصرف مبنيةٌ في أساسها على ما يقرره علم الأصوات من حقائق، ومـــا يرســـمه من حدود، وفي رأينا أنَّ كلَّ دراسة صرفية تُهْمِلُ هذا النَّهجَ الذي نشير إليه، لا بدَّ أن يكون مصيرها الإخفاق والفشل، كما هو الحال في كثير من مباحث الـــصرف في اللغة العربية." [2]

---

(1)ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبـــدالله أمـــين، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم، إدارة الثقافة العامة، ج1، ص4-5.

(2)بشر، علم الأصوات ، ص606.

وبشر يُولِي علم الصرف أهميَّةً بالغةً ؛ وذلك لأنَّ علم الصرف وسيلةٌ يتوصل بها إلى علم النحو، وخطوةٌ مُمَهِّدَةٌ له، وليس غايةً في ذاته. إذ يقول: " كان لا بـــدَّ من توجيه شيءٍ كبيرٍ من الجهد لمناقشته ودراسته - أي علم الصرف - لكـــن لا على أساس أنَّه غايةٌ في ذاته، وإنَّما بوصفه وسيلة لغيره، وخطوة مُمَهِّدَةً له." (1)

فالصرف - كما قال بشر - وسيلةٌ يجب استغلالها علـــى مـــستوى العبـــارة والجملة، وعلينا أن نَعِيَ ضرورة الانتقال من الدرس الـــصرفيِّ، المُـــشَبَّه بمـــادة البناء، إلى الدرس النحوي وهو البناء نفسه، ويجب أن يكون هذا الانتقال مباشرةً، وأن نجعل هذين العلمين كما لو كانا امتدادًا لشيء واحد، أو كما لـــو كانـــا كلًّـــا متكاملًا.

ويرى بشر أنَّ الصرف العربيَّ من أقل العلوم اللغوية حظًّـــا، مـــن الإجـــادة وحسن النظر. فهذه الإجادة لم تَرْقَ إلى حدٍّ يمنع النظر في أعمالهم، أو مـــساءلتهم في بعض القضايا، بنظرةٍ علميةٍ موضوعيةٍ، ولم تبلغ هذه الإجادة كذلك الغاية التي تجعل مناقشتهم عبثًا، أو نوعًا من التَّهَجُّمِ، فالبحث اللغويُّ عند العرب له محاســـنه ومساوئه(2).

وبناءً على ذلك كلِّه، نظر بشر في علم الصرف نظرةً موضوعيةً حديثةً بعيدةً – كلَّ البعد – عن الأحكام الافتراضية المُتَوَهَّمَةِ، التي دَرَجَ القدماءُ - ومن ســـار على نهجهم من المحدثين – بذكرها تفسيرًا للكثير من أبواب الـــصرف. فجـــاءَتْ دراسته للصرف من منظورٍ حديثٍ، يقوم على الـــدليل والبرهـــان، بعيـــدًا عـــن التأويلات المُتَوَهَّمَةِ، التي لا تقوم على دليل، بل تقوم على حَشْدِ مُخْتَلِـــفِ الأمثلـــة تحت قاعدةٍ واحدةٍ عامةٍ، أو ما يعرف بِطَرْدِ البابِ على وُتَيْرَةٍ واحدةٍ.

1.2 **مفهومُ علمِ الصرف** :

لقد تحدث بشر عن مفهوم علم الصرف، وكان حديثه قائمًا على ذكـــر أقـــوال علماء العربية في ذلك، ومن ثم مناقشة هذه الأقوال، مُنَاقَشَةً علميةً منطقيةً، بعيـــدة

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص31.

(2)المرجع نفسه ، ص83.

عن التأويلات الافتراضية المُتَخَيَّلَةِ، وسوف أذكر هنا أقوال بعض الصرفيين القدامى في تعريف علم الصرف، ومن ثم أعْرِضُ تعليقات بشر وآراءَه حول هذه التعريفات.

يقول ابن جني في تعريفه لعلم الصرف أو ما سماه التصريف: " وهَذَا القَبِيْلُ منَ العِلمِ أَعْنِي التَّصْرِيفَ، يَحْتَاجُ إليه جَمِيْعُ أهلِ اللغة، أتَمَّ حَاجَةٍ، وبِهِم إليه أَشَدُّ فَاقَة، لأَنَّهُ مِيْزَانُ العربيةِ، وبِهِ تُعْرَفُ أصُولُ كلامِ العربِ مِنَ الزَّوائِدِ الدَّاخِلَةِ عَلَيهَا، ولا يُوصَلُ إلى مَعرِفَةِ الاشتِقَاقِ إلَّا بِه، وَقَدْ يُؤخَذُ جُزءٌ مِنَ اللُّغَةِ كَثِيرٌ بالقِيَاسِ، ولا يُوصَلُ إِلَى ذلِك إلَّا مِن طَرِيقِ التَّصْرِيفِ ؛ وذَلِكَ نَحْوُ قَولِهِم: إنَّ المُضَارِعَ مِنْ (فَعُلَ) لا يَجِيْءُ إلَّا عَلى (يَفْعُل)، بِضَمِ العَينِ ، ألا تَرَى أنَّكَ لو سَمِعْتَ إنسَانًا يَقُول: (كَرُمَ) (يَكْرَم)، بِفَتْحِ الرّاءِ مِنَ المُضَارِعِ، لَقَضَيتَ بأنَّهُ تَارِكٌ لِكَلامِ العربِ، سَمِعتَهُم يَقُولونَ (يَكْرُم)، أو لمْ تَسْمَعْهُمْ،لأَنَّكَ إذا صَحَّ عِنْدَكَ أنَّ العَيْنَ مَضْمُومَةٌ مِنَ المَاضِي،قَضَيتَ بأَنَّها مَضمُومَةٌ مِنَ المُضَارِعِ أيضًا قِيَاسًا على ما جاءَ، ولم تَحْتَجْ إلى السَّمَاعِ فِي هَذا ونَحْوِهِ، وإنْ كَانَ السَّمَاعُ أيضًا ممَّا يَشْهَدُ بِضَمِّهِ قِيَاسًا،........ وكَذَلِكَ قَولُهُم: كُلُّ اسمٍ كَانَتْ فِي أوّلِه مِيمٌ زَائِدَةٌ ممَّا يُنْقَلُ ويُعْمَلُ بِهِ، فهو مَكْسُورُ الأوَّلِ، نَحْوَ: مِطْرَقَة و مِرْوَحَة، إلَّا مَا استُثْنِي مِنْ ذَلِكَ. فَهذا لا يَعرِفُهُ إلَّا مَنْ يَعلم أنَّ المِيْمَ زائِدةٌ، ولا يَعْلَمُ ذَلِكَ إلَّا مِنْ طَرِيقِ التَّصْرِيفِ."(1)

يرى بشر أنَّ علم الصرف بالمفهوم الذي أَورَدَهُ ابنُ جني في تعريفه السابق، لا يَفِيْدُ في خدمة التركيب والعبارة، على خلاف المُنْتَظَرِ من الصرف بالمعنى الذي يفهمه بشر. حيث إنَّ ابن جني قصَرَ البحث في هذا العلم، على النظر في الكلمة ذاتها، وفيما يحدث لها من تغيراتٍ، وهذه التغيرات لا تَخْدُمُ الجملة والعبارة في شيءٍ، وإنَّما نستطيع الإِفَادَةَ من بعضها في دراسات أخرى، كدراسة المعجم مثلًا. (2)

---

(1)ابن جني، المنصف، ج1، ص2.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص90.

ويعارض بشر ابن جني من خلال تعريفه السابق لعلم الصرف، فيرى أنَّه أخرج من هذا العلم أبوابًا و أنماطًا من المسائل، هي من صَميمِ ما نعرفه بالصرف. من ذلك أنَّه عَدَّ التصريف غير شاملٍ للاشتقاقِ، وإنْ كان بينهما اجتماعٌ وافتراقٌ، أو وإن كان بينهما ارتباط من نوع ما[1].

ويقول ابن جني في وجه الشبه بين التصريف والاشتقاق:" يَنْبَغِي أنْ يُعْلَمَ أنَّ بينَ التَّصريفِ والاشتقاقِ نَسَبًا قريبًا واتصالًا شديدًا، لأنَّ التَّصْرِيفَ إنَّمَا هو أنْ تَجِيْءَ إلى الكلمةِ الواحدةِ فَتُصرِّفها على وجوهٍ شَتَّى. مثالُ ذلكَ أنْ تَأتِي إلى (ضَرَبَ) فَتَبنِي منْهُ مِثْلَ جَعْفَر، فتقول: ضَرْبَب. ومثلَ قِمَطْر: ضِرَبَّ. ومثلَ دِرْهَم: ضِرْبَب. ومثل عَلِمَ: ضَرِبب. ومثلَ ظَرُفَ: ضَرُبَ. أفَلا تَرَى إلى تَصرِيفِكَ الكلمةِ على وجوهٍ كثيرةٍ؟

وكذلِك الاشتِقَاقُ أيضًا، ألا تَرَى أنَّكَ تَجِيْءُ إلى (الضَّرب)، الذي هو المصدرُ فَتَشْتَقُّ مِنهُ المَاضي، فتَقُولَ: ضَرَبَ، ثُمَّ تشتقَّ منه المضارعَ، فتقول: يَضْرِبُ، ثُمَّ تقولُ في اسمِ الفاعل: ضَارِبٌ. وعلى هذا ما أشبَهَ هَذِهِ الكلمة........ فَمِنْ ها هُنَا تَقَارَبَا واشتَبَكَا، إلَّا أنَّ التَّصريفَ وَسِيْطَةٌ بين النَّحوِ واللغةِ يتجاذبان.

والاشتقاقُ أقعَدُ في اللغةِ من التَّصريفِ، كما أنَّ التَّصريفَ أقربُ إلى النحوِ من الاشتِقَاقِ. يَدُلُّكَ على ذلك أنَّكَ لا تَكَادُ تَجِدَ كِتَابًا في النَّحوِ إلَّا والتَّصريفُ في آخِرِهِ، والاشتِقَاقُ إنَّما يَمُرّكَ في كتبِ النَّحوِ منه ألفاظٌ مُشَرَّدَةٌ لا يَكَادُ يُعقَدُ لها بَابٌ. [2]"

وَيَخْلُصُ بشرٌ من خلالِ القولِ السَّابقِ، إلى أنَّ كلًّا من التصريفِ والاشتقاقِ يتضمن أخذ كلمةٍ من أخرى بطريقةٍ مخصوصةٍ، غير أنَّ ابنَ جني – كما يرى بشر – قَصَرَ الاشتقاقَ على الأخذِ في حُدُودٍ معينةٍ، تلك هي حدودُ المشتقاتِ التقليديةِ المشهورةِ، والمعروفة بهذا الاسم، وما إلى ذلك مما يتضمن فكرة الأصول والفروع، وابن جني بهذا القول يحاول أن يُفَرِّقَ بين هذين النوعين من البحث،

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص91.

(2)ابن جني، المنصف، ج1، ص3-4.

وإن كانت عبارته تُومِئُ بأنَّ التصريف أعمُّ من الاشتقاق، وأنَّ الثـــاني يمكـــن أن يكون جزءًا من الأول[1].

ويفرق ابن جني - من خلال قوله السابق – بين التصريف والاشتقاق، فالثاني أَدخَلُ في اللغة -أو ما يسمى مَتْنَ اللغةِ - من الأول، وأنَّ الأول أقرب إلى النحـــو من الثاني. ومعنى هذا أنَّ الاشتقاق يتعامل في أغلب الأمر مع الألفـــاظ، بغـــضِّ الطَّرف عن وظائفها الصرفية، أو بغضِّ الطَّرف عمَّا يبدو لنا من خواصَّ صرفيةٍ في التركيب. أما التصريف فهو يهتم بالمفردات، لا بوصفها صيغًا وألفاظًا فقـــط، إنَّما بحسب ما لها من خواصَّ تَفيدُ في خدمة الجملة والعبارة[2].

وبشر يرى عكس ما يراه ابن جني، فالتصريف - عنده - إنَّما يُعْنَـــى ببنيـــة الكلمات وأوزانها من حيث الزيادة وعدمها ، ومن حيث تصريفاتها المختلفة، وهذه الدراسة أقرب إلى مَتْنِ اللغة منها إلى النحو. وعلى هذا، يرى بشر أنَّ كثيرًا مـــن مسائل التصريف التي عرض لها ابن جني ودرسها، لا تَفيدُ النحو كثيرًا، بـــل إنَّ بعضها لا يَعْدُو أن يكون مماحكاتٍ جدليةً، لا تُغنِي شيئًا علـــى أيِّ مـــستوىً مـــن مستويات البحث اللغويِّ الصحيح[3].

أمَّا الاشتقاق، فيرى بشر أنَّه خطوةٌ أساسيةٌ في تصنيف الصيغ إلى أوزانٍ ذات قِيَمٍ صرفيةٍ خاصةٍ، هي قيم ذات أهمية كبيرة في الجمل والتراكيـــب، التـــي هـــي مجال البحث في النحو. ويقول: إنَّ هذه القيم تظهر فيما لو قارنـــت بـــين جمـــل بعضها يحتوي على صيغة اسم الفاعل، وبعضها على صيغة اسم المفعول، فسوف تُدرِكَ الفرقَ النحويَّ في الحال. ومن هنا يَستَدِلُّ بشر على أنَّ الاشتقاق من صَمِيمِ الموضوعات الصرفية، التي تَخْدِمُ النحو، وتمهد لدراسة قضاياه[4].

ومن خلال نصِّ ابن جني السابق، يرى بشر أيضًا أنَّ استدلال ابن جني علـــى دَعوَاهُ - بأنَّ كتب النحو لا تخلو من التـــصريف، وأنَّ الاشـــتقاق يقابلـــك هنـــاك

---

(1) بشر، دراسات في علم اللغة، ص91.

(2) المرجع نفسه، ص92.

(3) المرجع نفسه، ص92.

(4) المرجع نفسه، ص92.

(مُشَرَّدًا مُبَعثَرًا) - استدلالٌ واهٍ ضعيفٌ. فالقضية عند بشر ليست قضية طريقة التأليف ، أو جمع هذه الفروع في كتابٍ واحدٍ ، إنَّما هي علاقة هذه الفروع بعضها ببعضٍ ، ومدى استفادة كلٍّ منها من زميله ، وكيفية استغلال أحدها في خدمة الآخر[1].

ويَخلُصُ بشر من خلال مناقشاته لأقوال ابن جني السابقة أيضًا ، إلى أنَّ ابن جني يستعمل المصطلح (التصريف) في معنىً يختلف عن المعنى الذي يفيده المفهوم المتأخر للمصطلح (الصرف). فالتصريف عند ابن جني لا يُطلق إلا على جزءٍ أو عدَّةِ مسائلَ معينة ، من مسائل الصرف بهذا الفهم المتأخر. وهي مسائل – في نظر بشر – ليست ذات أهمية خاصة بالنسبة للنحو[2].

أمَّا الصرف أو التصريف بالمعنى الأعم الأشمل، فيرى بشر أنَّه يَتَبَيَّنُ لنا من خلال تعريفات غالبية المتأخرين. ومن هذه التعريفات، ما يأتي:

تعريف الأشمونيُّ (ت900هـ) فَيُعَرِّفُ التَّصريفَ بأنَّهُ:"في اللغةِ التغييرُ، ومنه (تصريفُ الرِّيَاح)[3]، أي: تغييرُهَا. وأمَّا في الاصطِلاحِ فَيُطلَقُ على شَيئَينِ: الأول: تَحويلِ الكلمةِ إلى أَبنِيَةٍ مُختَلِفَةٍ لِضُرُوبٍ من المعاني، كالتصغيرِ والتكسيرِ واسمِ الفَاعِلِ واسمِ المَفعُولِ، وهذا القِسمُ جَرَتْ عادةُ المُصَنِّفِينَ بذكرِهِ قَبْلَ التصريفِ كما فعل النَّاظِمُ، وهو في الحقيقةِ من التصريفِ. والآخر: تَغيِير الكلمةِ لغيرِ معنىً طارئ عليها، ولكن لغرضٍ آخر، ويَنحَصِرُ في الزِّيَادةِ والحذفِ والإبدالِ والقلبِ والنقلِ والإدغامِ. وهذا القسمُ هو المقصودُ هنا بقولِهم: التصريف........ ولهذا التغيير أحكامٌ، كالصِّحَّةِ والإعلالِ. ومعرفةُ تلك الأحكامِ وما يتعلق بها تُسَمَّى علم التصريف[4]. "

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، ص93.

(2)المرجع نفسه، ص93.

(3)البقرة، آية (164).

(4)الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدم له و وضع حواشيه وفهارسه:حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ص40.

أمَّا الازهري (ت905هــ)صاحب التصريح فيُعَرِّفُ التصريفَ بأنَّه:" في اللغةِ تَغييْرٌ مُطلَقٌ، وفي الصِّنَاعَةِ تَغييرٌ خَاصٌ في بِنْيَــةِ الكلمــةِ لِغَــرَضٍ مَعنَــوِيٍّ أو لَفظِيٍّ......... فالتغييرُ الأولُ (المَعنَوِيُّ) ، كَتَغييرِ المُفرَدِ إلـــى التثنيــةِ والجمــعِ المصححِ، وذلِكَ بِتَحويلِ زَيْدٍ مَثَلًا إلى زَيدَانِ وزَيــدونَ، وتَغييرِ المصــدرِ إلـــــى الفعــلِ والــوصفِ، وذلــك بِتَحويلِ الضَّربِ مثلًا إلى ضَرَبَ وضرَّب بالتــشديد للمبالغةِ في الفعلِ ، واضْطَرَبَ لِوجُودِ الحَرَكَةِ مع الفعــلِ، ويُــضْرِبُ وأَضْــرَبَ وَضَارَبَ وَمَضْرُوبٌ، وَمِضْرابٌ وَضَرُوبٌ وضَــرِّيبٌ وضَــرِبٌ للمُبَالَغَــةِ فـــي الوَصْف.

والتَّغْيِيرُ الثاني (اللفظيُّ) ، كَتَغييرِ قَوَلَ من الأجوفِ ، وَغَزَوَ من الناقصِ، إلى (قَالَ و غَزَا) بِقَلبِ حرفِ (العِلَّةِ) (1) ألفًا، (لِتَحَرُّكِهِ) (2) وانفتاحِ ما قَبلِهِ، والإبــدَالُ في (اقْتَتْ) والحذفُ في (قُلْ) ، والإدغَامُ في (رَدَّ)، ولــشبهِ التَّــصغيرِ والتَّكــسيرِ والنَّسَبِ والوَقفِ والإِمَالَةِ، بِعِلمِ النَّحوِ من حيث التَّعَلُّقِ بالمُركَّباتِ، ذُكِــرَتْ مَعَــهُ، وابنُ الحاجبِ(ت646هــ) وطَائِفَةٌ ذَكَرُوهَا في علمِ التَّصْرِيفِ، وهو الأولى. "(3).

أما الخُضَرِيُّ(ت1287هــ) في حاشيته على ابن عقيل(ت769هــ)، فيُعَــرِّفُ التصريفَ بأنَّه في:" اللغةِ التغييرُ، ومنه (تــصريفُ الريــاحِ) (4)، أي تغييرهـــا، واصطلاحًا يُطْلَقُ على شيئين: الأول: تحويل الكلمةِ إلى أبنيةٍ مختلفــةٍ لاخــتلاف المعاني، كالتصغيرِ والتكسيرِ، واسمي الفاعلِ والمفعولِ، أو التثنيةِ والجمعِ، وجَرَتْ عادتُهُم بِذِكرِ هذا القسمِ مع علمِ الإعرابِ، كما فعل النَّاظِمُ، وهو في الحقيقــةِ مـــن التَّصْرِيفِ. والآخر: تغيير الكلمةِ عن أصلِ الغــرضِ غَيْــرَ اخــتلافِ المعــاني، كالإلحاقِ والتخلصِ من السكونينِ، ومن اجتماعِ الــواوِ واليــاءِ، وسَــبْقِ أَحَــدِهما بالسكونِ، وَيُسَمَّى هذا التَّغييرُ بالإعلالِ وهو المرادُ هنا، وينحصرُ في ستَّةِ أشــياءَ:

---

(1)في الأصل (العة)، وما أثبت هو الصحيح.

(2)في الأصل (لتحركها)، وما أثبت هو الصحيح.

(3)الأزهري، خالد بن عبدالله، شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، ج2، ص352-353.

(4)البقرة، آية (164).

الحذفِ، والزيادةِ، والإبدالِ، والقلبِ، والنقلِ، والإدغامِ، فهذه كُلُّهـا أنـواعٌ تحـتَ الإعلالِ......... والإعلالُ خاصٌ بتغييرِ حرفِ العلَّةِ، بحَذفٍ أو قلـبٍ أو إسـكانٍ للتخفيفِ، وما عدا ذلك ليس إعلالًا. وقد يُطْلَقُ التصريفُ على ما يَعُـمَّ الأمـرينِ معًا[1]".

يرى بشر من خلال التعريفات السـابقة، أنَّ الـصرفَ يـشمل نـوعين مـن التغييرات: الأول: تغيير في الصيغ لإفادة معانٍ جديدةٍ، أو تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لاختلاف المعاني. والثاني: تغيير في شكل الكلمة وصورها دون أن يترتب على ذلك تغيير في قِيَمِها أو معانيها الصرفية، كتغيير الكلمة إلى وزنٍ معينٍ إلحاقًا لها بكلمة أخرى، كتغيير (غَزَوَ) إلى (غَزَا) مثلًا[2].

ويَخْلُصُ بشر من خلال مقارنة مفهوم الصرف عند ابن جني بمفهومـه عنـد المتأخرين، إلى أنَّ الصرفَ عند ابن جني، إنَّما يُقْصَدُ به ما يطابق النوع الثـاني فقط، من نوعي التغيير، المذكورين في تعريفـات المتـأخرين، ومعنـاه أنَّ هـذا المصطلح يختلف مدلوله في القديم عن مدلوله عند المتأخرين[3].

أما النوع الأول من التغيير، فهو عند ابن جني ليس من التصريف، وإنَّما هـو جزءٌ لا يتجزأ من النحو، ويوضح ذلك قول ابن جني نفسه، في تعريفه لعلم النحو بأنَّه:"انتِحَاءُ سَمْتِ كلامِ العربِ في تَصَرُّفِهِ، من إعرابٍ وغيرِهِ، كالتَّثنِيَةِ والجمـعِ والتحقيرِ والتَّكسير والإضافةِ والنَّسَبِ والتركيبِ، وغيرِ ذلِكَ..... "[4]

أما قول ابن جني: "إلَّا أنَّ هذا الضربَ من العلمِ – يعني علمَ الصرفِ – لمَّـا كانَ عَويصًا صعبًا بُدِئَ قَبلَهُ بمعرفةِ النحوِ، ثُمَّ جِيْءَ به بعدُ ليكونَ الارتِيَاضُ فـي

---

(1)الخضري، محمد الخضري الشافعي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، 1415هـ، 1995م. ج2 ، ص 284.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص95.

(3) المرجع نفسه، ص95.

(4)ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1، ص 43.

النحوِ مُوَطِّئًا للدخولِ فيه، ومُعِيناً على مَعْرِفَةِ أغراضِهِ ومعانيهِ، وعلـــى تَــصَرُّفِ الحالِ " [1]، وهو قول يَدُلُّ على أنَّ التصريفَ مكانُهُ بعد النحوِ عنــد ابــن جنـــي. فيدلنا على أنَّ التصريفَ – وبحسب فَهْمِ كلام ابن جني – ليس التــصريفُ الــذي يَخدِمُ النحوَ ويُمَهِّدُ لدراسَتِهِ، وإنَّما هو نوعٌ من الدراسةِ تُعْنَى بالنظر فيما يَعْــرِضُ للكلماتِ من تغييرٍ، في الصورةِ والشكلِ، دون أن يؤدي ذلك إلى اختلافِ المعاني. ومثالُ ذلِكَ ما يَعرِضُ للألفاظِ، من زيادةٍ أو حذفٍ أو إعلالٍ ، أو نحوِ ذلِكَ من كلِّ تغييرٍ لا يَفِيْدُ مَعنًى جديدًا[2].

ويُخَالِفُ بشرٌ ابنَ جني في اعتذاره الذي ذكره مُسَوِّغًا لتــأخير النظــر فـــي الصرف، بقوله: "فالصعوبة – إن كانت هناك صعوبة حقيقية – لا يجوز أن تقــف مُعَوِّقًا، أو أن تؤدي إلى إفساد الدرس، وبخاصة أنَّ ابــن جنـــي نفــسَه، صــرَّح بضرورة العلم بالتصريف وقواعده، قبل الدخول في النحو"[3].

هذا هو التصريف بالمنظور القديم، وكما جاء عند المتأخرين. أمَّا بشر فيـــرى أنَّ التصريف أو الصرف بالمفهوم المذكور في التعريفات السابقة، وبالمعنى السائد بين التقليديين من المعاصرين ، يطلق على أخلاط مـــن المـــسائل وأمـــشاج مـــن البحوث[4].

ويُعَرِّفُ بشرٌ الصرفَ بأنَّه:" كلُّ دراسةٍ تتصل بالكلمـــةِ، أو أحــد أجزائهـــا، وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة، - أو بعبارة بعضهم – وتؤدي إلـــى اخـــتلاف المعاني النحوية – كل دراسة من هذا القبيل ، هي صرف في نظرنا." [5]

ونخلص من خلال تعريف بشر للصرف ، إلى أنَّه يُقَيِّدُ الصرف بتلك الأبواب التي تخدم العبارة والجملة، فليس من الصرف في شيء - عند بشر – أيُّ تغييـــرٍ لايؤدي إلى خدمة الجملة والعبارة، ولا يؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية.

---

(1)ابن جني، المنصف ، ج1 ، ص 4-5.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص96.

(3) المرجع نفسه، ص89.

(4)المرجع نفسه، ص96.

(5)المرجع نفسه، ص 85.

2.2 الأبواب الصرفية:

يرى بشرٌ – كما مر سابقًا – أنَّ الصرف كلُّ تغييرٍ يؤدي إلى خدمة الجملة والعبارة، ويؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية، وكلُّ تغيير لا يخدم الجملة والعبارة، ليس من الصرف في شيءٍ. وعلى هذا فقد نظر بشر إلى الصرف نظرةً جديدةً، أعادَ من خلالها النظر في مسائل الصرف التقليديِّ. ومن خلال هذه النظرة قسم بشر الصرف التقليديَّ إلى نوعين رئيسين:

النوع الأول: ويتمثل هذا النوع في أبوابٍ وبحوثٍ هي من صَميمِ الصرف بالمعنى الذي نفهمه، ونعني بذلك – أي بشر – تلك الدراسة التي تَعرِضُ لدراسةِ الكلماتِ وصورِها، لا لذاتها، وإنَّما لغرضٍ معنويٍّ، أو للحصول على قيَمٍ صرفيةٍ، تَفيدُ في خدمة الجملة والعبارة[1].

ومن أهَمِّ هذه الأبوابِ كما يراها بشر، ما يأتي:

1- تقسيم الكلمات من حيث الاسمية والفعلية.
2- تقسيم الكلمات من حيث العدد (الإفراد، والتثنية، والجمع).
3- تقسيم الكلمات من حيث النوع (التذكير، والتأنيث).
4- الكلام على الشخص (المُتكلم، والمُخَاطَب، والغائب) [2].
5- المشتقات.
6- تقسيم الفعل إلى أزمنته المختلفة.
7- التعريف والتنكير.
8- المتعدي واللازم.
9- المتصرف والجامد[3].

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 97.

(2)المرجع نفسه، ص 85.

(3)المرجع نفسه، ص 97.

10- وهذه الأبواب المتقدمة، تُعَدُّ من صميم الصرف – كما يراها بشر وغيره، إذ هي مما يخدم الجملة والعبارة، ويجعلها ذات معانٍ نحويةٍ مختلفةٍ، بحيث لو تغيرت وحداتها تغيرت معانيها[1].

ويعطي بشر أمثلةً توضيحيةً لبعض هذه الأبواب، وكيف يؤدي التغيير فيها إلى تغييرٍ في الجملة والعبارة، ومن هذه الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر ، ما يأتي:

قولك: حَضَرَ محمدٌ. حَضَرَتْ فاطمةٌ.

ذكّرتَ الفعلَ في المثال الأول، وأنَّثتَهُ في المثال الثاني، لسببٍ صرفيٍّ، هو تذكير الفاعل وتأنيثه. والمعاني النحوية هنا مختلفة، بسبب اختلاف القيم الصرفية[2].

ويضيف بشر التصغير إلى أبواب الصرف المتقدمة، إذ يقول:" والتصغير في نظرنا من مسائل الصرف الحقيقية، لأنَّه – في العربية – ذو أثرٍ واضحٍ في المعنى النحويِّ للجملة، تقول:

رجلٌ صغيرٌ = موصوف + صفة.

رُجَيْلٌ = اسم مصغر فقط.

ومن الطبيعي أن يختلف الإعراب في الحالتين." [3]

والنسب أيضًا من أبواب الصرف عند بشر، فالنسب مادة من مواد الصرف، فالكلمة المنسوبة تنتمي إلى نوع من الكلمات، لم تكن تنتمي إليه من قبل، وبذلك تُؤَهَّلُ تأهيلًا يؤَثِّرُ في المعاني النحوية، تقول: (رَجُلٌ مِصْرِيٌّ). حيث تقع كلمة (مِصْرِيٍّ) صفة، ولم تكن كلمة (مِصْرَ) قبل النَّسَبِ صالحةً لأن تقع هذا الموقع[4].

ويرى بشر كذلك أنَّ المُغَايَرَةَ في الصيغ من صميم البحوث الصرفية، كما في المغايرة بين المبني للمعلوم، والمبني للمجهول، تقول:

---

(1) بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص 97.

(2) المرجع نفسه، ص 98.

(3) المرجع نفسه، ص 98.

(4)المرجع نفسه، ص 98.

فَهِمَ الطالبُ الدَّرسَ. = (فعل + فاعل + مفعول)

فُهِمَ الدَّرسُ. = (فعل + نائب فاعل)

والملاحظ أن هذه الدراسة، وهي المُغَايَرَةُ بين الصِّيَغِ، ذات قيمٍ ظهرتْ آثارُهَا في التركيب بوضوح، ومن ثمَّ كانت دراسة صرفية حقيقية[1].

أما النوع الثاني من أنواع الصرف التقليديِّ - كما يراها بشر - فيشمل أبوابًا ومسائلَ شتى من الصرف التقليديِّ، تجمعها كلها خاصة ظاهرة، تلك هي أنَّها جميعًا تُعْنَى بالنظرِ في الكلمة من حيث الزيادة والأصل، والأوزان والأبنية، وما إلى ذلك من تغييرات في صور الكلمات، وهي تغييرات لا تُعطِي معانيَ أو قيمًا صرفيَّةً، تَخْدِمُ الجملة والعبارة[2].

وهذه المسائل هي:

أولًا: هناك أمثلة من مسائل هذا النوع ، ينبغي إطِّرَاحُهَا وتركها، لعدمِ جدوى البحث فيها، على أيِّ مستوىً من مستويات الدراسة اللغوية، ومن ذلك على سبيل المثال، الكلام على همزة التأنيث، في نحو: (صَحْرَاءَ)، وأصلها المنقلبة عنه[3].

يُورِدُ بشرٌ نصًّا لابن جني، بشأن هذه المسألة، وهو قوله:" ويَنْبَغِي أنْ يُعْلَمَ أنَّ هذه الهمزةَ، إنَّما هي مُنقَلِبَةٌ عن ألفِ التَّأنيثِ، التي في نحوِ حُبْلَى وبُشْرَى. ولكنَّها لمَّا وقعتْ بعد ألفٍ قَبْلَهَا زائدةٍ وَجَبَ تحريكها لِئَلَّا يَلتَقِيَ ساكنان، فَقُلِبَتْ همزةً. وهذا مذهب سيبويهِ وهو الصحيحُ. ويدلُّ على صِحَّتِهِ وأنَّ هذه الهمزةَ منقلبةٌ عن ألفِ التَّأنيثِ المُفْرَدَةِ؛ أنَّكَ إذا أَزَلتَ الألفَ من قَبْلِهَا بِقَلبِهَا، خرجت هي عن الهمزة. وذلك قولُهم في جمعِ (صَحْرَاءَ صَحَارِيٌّ) فهذه الياء الأولى المُدْغَمَةُ، هي الألف التي كانت قبل الهمزة في (صَحْرَاءَ) انقلبت ياءً في الجمع لانْكِسَارِ ما قبلها، كما تنقلب في جمع مفتاحٍ وغربالٍ. إذا قلت: مفاتيحُ وغرابيلُ. فلمَّا انْقَلَبَتْ الألفُ إلى ياءٍ انْقَلَبَتْ علامةُ التأنيثِ التي كانت بعدها في (صحراءَ) ياءً لوقوعِ الياءِ المُنْقَلِبَةِ عن الألفِ قَبْلَهَا. وذلك قولك صحاريٌّ. وزالت الهمزةُ لزوالِ الألفِ الموجبةِ لها

---

(1) بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص 99.

(2) المرجع نفسه، ص99.

(3) المرجع نفسه ، ص 100.

من قبلها...... فقولهم صَحاريٌّ بلا همزةٍ دلالةٌ على أنَّ الهمزةَ في صحراء منقلبة، إذ لو لم تكن منقلبة لوجب أن تقول: صحاريء، كما قالوا: دراريء "[1]

يَعُدُّ بشر هذا المثال وما شَاكَلَهُ، نوعًا من التَّمَحُّكِ والتَّمَحُّلِ اللفظيين، وافتراضًا جدليًّا عقيمًا، يُعْجِزُ الدارسين عن التحصيل والإلمام بالقواعد. وهو خالٍ مـن أيَّـةِ فائدةٍ علميةٍ، على أيِّ مستوىً من مستوياتِ البحثِ في اللغةِ، فما أَحْرَاهُ وأمثالُهُ أنْ يُهْمَلَ وَيُلْقى بِهِ جانبًا. والكلام في مسائل هذا الباب كلِّه نوعٌ من التـرف العلمـي، الذي لا نستطيعه في وقتنا هذا، ونوع من شَغْلِ الوقتِ وقَتْلِ الفراغِ، بقطع النظـر عن أيَّةِ نتائج علمية[2].

وَيُسَوِّغُ بشر النظر في هذا المثال ونحوه، ولكن على سبيل البحث التاريخيِّ، إذ يقول:" ربَّما ساغَ لنا النظرُ في هذا المثال ونحوه، ولكن على طريقةٍ مـن البحـثِ معينةٍ، تلك هي طريقة البحث التاريخي، وقد أرشدنا إلى هذا، ما جاء في الـنص السابق، حيث وردت في هذا النص العبارة: إن قولهم: صحاري بلا همزة دلالـة على أن الهمزة في صحراء منقلبة، إذ لو لـم تكـن منقلبـة لوجـب أن تقـول صحاريء، كما قالوا: دراريء)" [3]

فبشر من خلال ما تقدم، يفسر هذا التغيير وهذا القلب تفسيرًا تاريخيًـا، يقـوم على فكرة التطور اللغويِّ لهذه المفردات، ولكن هذا التغير والتطور فـي صـيغ المفردات يحتاج إلى وقتٍ طويلٍ، " فالنظام الصرفي ثابت أيضًا، نعم إنَّ استقراره يتطلب وقتًا أطول، ولكنَّه بعد أن يستقر، لا يَعْتَرِيه تغير يذكر، ذلك لأنَّ الـصرف لا يتغير في أثناءِ جيلٍ واحدٍ، بل هو كالصوتيات، إنَّما يتغير في الانتقال من جيـلٍ إلى جيلٍ." [4]

---

(1)ابن جني ، المنصف ،ج1 ، ص 155-156.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص101.

(3)المرجع نفسه ، ص101-102.

(4)عبدالتواب ، رمضان ، التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينـه ، مكتبـة الخـانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1404هـ ، 1983م. ص11. وانظر أيضًا: الـسامرائي ، إبـراهيم ، التطور اللغوي التاريخي ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1983م. ص27.

ثانيًا: في الصرف أو التصريف بالمعنى التقليديِّ أبوابٌ ومسائلُ كثيرةٌ، هي أولى بمتن اللغة - أو ما يسمى اللغة في عرفهم أحيانًا - منها بالصرف الحقيقيِّ، ويمثل هذا النوع بابان مشهوران؛ أوَّلهُمَا:أوزان الفعل الثلاثيِّ، وقد عَدُّوهَا ستَّةً. ويَعُدُّ بشرٌ هذه الأوزانَ أوزانًا ليست ذات قيمٍ صرفيَّةٍ تَخْدِمُ الجملةَ أو العبارةَ، ولكنَّها ذات قيمٍ لفظيةٍ، تَفِيْدُ معرفتُها معرفةَ ألفاظِ اللغةِ على وجهها الصحيح. فكون الفعل المعين على وزنٍ معينٍ، أمرٌ يتعلق بصحة نطق الصيغة، ولكنَّه لا يَفِيدُ أثرًا ملحوظًا أو غيرَ ملحوظٍ في الجملة أو العبارة.

وَيَضْرِبُ بشرٌ مثلًا على ذلك، وهو مضارع الفعل (ضَرَبَ) ، فهذا الفعل لا تتغير وظيفته النَّحْوِيَّةُ في تركيبه سواء أكانت عينه مكسورةً، أم مضمومةً، ولكن تتغير قيمته النطقية فيما لو استعملناه على وزن غير وزنه المنصوص عليه. ومعرفة هذه القيمة النطقية أمر في غاية الأهمية، ولكنَّها تدخل في بابٍ آخر غير باب الصرف، إنَّها من قضايا الثروة اللفظية، أو هي من مباحث مَتْنِ اللغةِ والمعجماتِ[1].

الثاني: صيغ جمع التكسير وأبنيته، بالصورة التي عُوْلِجَتْ بها في كتب الصرف التقليديِّ، فالناظر في هذه الكتب يجد أنَّ الصرفيين قد اكتفوا بمجرد سَرْدِ هذه الصيغ، دون التعرض لأيَّة قضية تتعلق بقيمها الصرفية، ودون أن يشيروا من قريب أو بعيد، إلى ما يترتب على استعمال هذه الصيغ، من وظائفَ وقيمٍ نَحْوِيَّةٍ في الجمل والعبارات[2].

ولكنَّ بشرًا يعد هذه الصيغ من موضوعات الدرس اللغويِّ، فهي تناسب متن اللغة لا الصرف، حيث إنَّ المغايرة في استعمال صيغة من صيغ جمع التكسير دون أخرى لا يترتب عليه شيءٌ في الجملة، ولا يطرأ أيُّ اختلافٍ في المعاني النحوية بحال من الأحوال، فإذا قلنا:

شُيُوخٌ عُقَلَاءٌ و أَشْيَاخٌ عُقَلَاءٌ.

وبُحُوثٌ جَيِّدَةٌ و أَبْحَاثٌ جَيِّدَةٌ.

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 102.

(2)المرجع نفسه ، ص 104.

فاختلاف صيغتي جمع التكسير في المثالين السابقين، لا يؤدي إلى اختلاف في الجملة أو التركيب النَّحْويِّ، وعلى ذلك فجمع التكسير ليس من الصرف في شيء[1].

ويَعْتَذِرُ بشرٌ عن الصرفيين التقليديين، في جعلهم جمع التكسير من الأبواب الصرفية، بأنَّهم عندما رأوا ضخامة العدد في صور جمع التكسير وتنوعها الكبير، حاولوا إخضاعها لشيءٍ من التقعيد أو التقنين ؛ تسهيلًا على الدارسين والمتعلمين. ولكن صنيعهم هذا – في رأي بشر – ما زال بعيدًا عن الحقل الصرفيِّ، ولصيقاً بمتن اللغة[2].

ويفسر بشر سبب كثرة صيغ جمع التكسير ، بأنَّ كثرة هذه الصور وتنوعها، رُبَّما يرجعان إلى احتمال اختلاف اللهجات في القديم[3]." وربما دلت كثرة الجموع في العربية على اختلاف اللهجات ، ولا سِيَّمَا جمع التكسير....... وسبب هذه الكثرة راجع إلى اختلاف الأقوام واختلاف الجهات." [4]

غير أنَّ بشرًا يُعيدُ النظر في هذه الجموع ، ويُجَوِّزُ معالجتَها معالجةً صرفيةً، ولكن من وجهتين أخريين، هما:

1- إنَّ هذا الجمعَ قسمٌ من فصيلة صرفية كبرى، لها قيم معيَّنة في الاستعمال، تلك هي فصيلة الجمع بعمومه، أي الجمع في مقابل المفرد والمثنى. وجمع التكسير بهذا الوصف – أي كونه جمعًا – تختلف أحكامه النحوية عن المفرد والمثنى كليهما. ففي هذه الحالة سوف نلاحظ خلافًا نحويًّا في التراكيب و تتمثل في أحكام المطابقة ، نقول:

رَجُلٌ مُحْتَرَمٌ ، و رَجُلَانِ مُحْتَرَمَانِ ، ولَكِنْ رِجَالٌ مُحْتَرَمُونَ.

---

(1) بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص 104.

(2) المرجع نفسه، ص 105.

(3) المرجع نفسه ، ص 105.

(4) السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 78.

والخلاف واضح هنا باستعمال صفة جمع التكسير تختلف صرفيًّا عن الصيغتين الأخريين، في المثالين الأولين[1].

2- يُعَدُّ جمع التكسير من الصرف إذا نظرنا إليه من ناحية قواعد المطابقة. ذلك أنَّ بعضَ صيغِ هذا الجمعِ تَجوزُ معاملتُها بصورتين مختلفتين، من حيث أحكام المطابقة في العدد والنوع ، نقول:

الرِّجَالُ جَاءوا. و الرِّجَالُ جَاءَتْ.

حيث عَامَلتَ الجمعَ في المثال الأول مُعَامَلَةَ جمعِ المذكرِ، ولكنَّك عاملتَهُ في المثال الثاني مُعَامَلَةَ المفردة المؤنثة. وهذا سلوك نحويٌّ جائزٌ لا شذوذ فيه، ولا اعتراض عليه[2].

ويَعْجَبُ بشرٌ من إهمال الصرفيين الجهة الأولى، فلم يرد في كتبهم ذكر جمع التكسير مع بقية الجموع، وإنَّما خَصَّصُوا له بابًا مستقلًا، وقَصَرُوا الدرسَ فيه على الصيغ. و أمَّا الجهة الثانية – جهة تنوع المطابقة – فقد أشار إليها بعض النَّحْويين عرضًا، في بعض آثارهم[3].

ثالثًا: شَمِلَ الصرف التقليديُّ فيما شمل أنماطًا من الصيغ، هي في واقع الأمر أقرب إلى مَيْدَانِ الأصوات منها إلى الصرف[4].

وهذا القسم أَوْلَاهُ بشرٌ اهتمامًا خاصًا، دون غيره من المسائل الصرفية الأخرى التي تناولها في آثاره. حيث إنَّنَا لا نَعْدَمُ أن نجدَ في غير موضعٍ من آثاره، تفسيراتٍ صوتيةً لقضايا حَسِبَها الكثيرُ من الدارسين من موضوعات الصرف، وهي في الحقيقة أبوابٌ صوتيةٌ، ليست من الصرف في شيء. ويُؤَكِّدُ بشرٌ نفسُهُ هذه الحقيقةَ، وهي أنَّ مباحثَ الصرفِ مبنيةٌ في أساسها على ما يُقَرِّرُه علمُ الأصوات من حقائقَ، وما يَرْسُمُه من حدودٍ. وفي رأي بشر أنَّ كلَّ دراسةٍ صرفيةٍ تُهْمِلُ هذا النهج الذي نشير إليه، لا بدَّ أن يكون مصيرها الإخفاق والفشل. كما هو

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص 106.

(2)المرجع نفسه، ص 106.

(3)المرجع نفسه، ص 106 – 107.

(4)المرجع نفسه، ص 107.

الحال في كثير من مباحث الصرف في اللغة العربية. كما أنَّ هناك في الصرف العربيِّ بالذات حاجةً مُلِحَّةً للرجوع إلى الحقائق التي يقررها الدرس الصوتيُّ[1].

وهذا دليل واضح على أهمية الدرس الصوتيِّ في الدراسات الصرفية ، وأنَّ الأخيرَ لا غنى له – بأيِّ حالٍ – عن الأول. فالدرس الصوتيُّ هو الأساس في الدراسات اللغوية جميعها ، على حدٍّ سواء.

ويرى بشر أنَّ هناك في الصرف العربيِّ أمثلةً كثيرةً متناثرةً ، يمكن معالجتها على أساس صوتي- صرفي ، (morphphonemic-analysic) ، بدلًا من العلاج التقليديِّ ، الذي عُولِجَت به من قبل. ويَهْدِفُ بشرٌ من خلال هذه الدراسة – الصوتية الصرفية – إلى تسجيل الحقائقَ كما تُعْلِنُ عن نفسِها، دون افتراضٍ أو توهمٍ يُشَوِّهُ هذه الحقائقَ ويعقدها ، ويجعل البحث فيها عبثًا دُوْنَ طائلٍ[2].

ويُورد بشرٌ بعضَ الأمثلةِ لهذه المسائلَ الصرفيةِ التقليديةِ، التي يجب معالجتها علاجًا صوتيًّا، منها:

صيغة (افْتَعَلَ) وفروعها، إذا كانت فاؤها أحد حروف الإطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء)، أو كانت هذه الفاء (دالًا أو ذالًا أو زايًا). فالتفسير التقليديُّ لهذه المسألة هو قولهم: في الحالة الأولى تُقْلَبُ تاءُ الافتعال (طاءً)، وفي الثانية تُقْلَبُ هذه التاءُ (دالًا)، فتقول: اصطبر، واضطجع، واطعن، واظطلم، والأصل: اصتبر، واضتجع، واطتعن، واظتلم، كما تقول: ادّان، وادكر، وازدد، والأصل: ادتان، واذتكر، وازتد[3].

إنَّ التفسيرَ الذي قال به الصرفيون حول هذه المسألة ، تفسيرٌ افتراضيٌّ ، وهو تقديرُ أصلٍ افتراضيٍّ لهذه الكلمات ، لأنَّ القياسَ الأصليَّ هو (افْتَعَلَ) ، وعلى

---

(1)بشر، علم الأصوات ، ص 606-607.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 109-110.

(3)انظر: ابن جني ، المنصف ، ج2 ، ص324-331. وانظر: الأشموني ، شرح الأشموني، ج4 ، ص134-137. و انظر: الخضري ، حاشية الخضري ، ج2 ، ص322.

وفَاقه جاءَ نحوُ: (ابْتَكَرَ ، واشْتَجَرَ) ، ولكنَّهم وجدوا الأمثلةَ المذكورة بنوعيها لا تَتَمَشَّى مع هذا الوزنِ ، فكان لا بدَّ من تفسير[1].

وبشر يرى أنَّ هذا المنهج – التقليدي – الذي نهجه الصرفيون في معالجتهم لمعظم قضايا الصرف، منهج يتسم بسمتين واضحتين: أولاهما: إيمانهم بفكرة الأصل، بمعنى أنَّ هناك أصلًا ثابتًا تَرْجِعُ إليه كلُّ الصيغِ المتشابهةِ بطريقٍ مباشرٍ إن أمكن، وإلا بطريقٍ غير مباشر، مبني على الافتراض والتأويل.

والثانية: محاولة حَشْدِهِم الأمثلة المتفقة في شيء، والمُخْتَلِفَة في شيء آخر، تحت نظام واحد، أو إخضاعهم لها لميزان واحد[2].

لقد أصاب بشر في تفسيره لمعالجة الصرفيين التقليديين لمعظم مسائل الصرف، فيؤكد أنَّهم منشغلون – كلَّ الشغلِ – بفكرة الأصل، وأنَّ كلَّ الصيغِ المُتَشَابِهَةِ ترجع إلى أصلٍ واحدٍ، بالإضافة إلى حَشْدِهِم الأمثلة المتفقة – وإن اختلفت في بعضها- تحت نظام واحد، أو ما يعرف بطرد الباب على وتيرة واحدة، وهذا ما وقع بالفعل.

وبشر يخالف منهج التقليديين من علماء الصرف، وهو منهج توحيد الأنظمة، ذلك المنهج الذي أدى دورًا خطيرًا في الدرسِ اللغويِّ عندَ العربِ، وكثيرًا ما جرَّهم إلى التأويلِ والتخريجِ الافتراضيَّين، لأنَّهم مُضْطَرُّون إلى جمعِ الأشتات من الأمثلة تحت قاعدةٍ عامةٍ واحدةٍ، وإن لم تنطبق عليها كلَّ الانطباق[3].

أمَّا التفسيرُ العلميُّ الذي يأخذ به بشرٌ، فهو التفسيرُ القائمُ على مبدأ تعدد الأنظمة، المبدأ الذي يجعلنا ننظر إلى هذه المسائل بحالتها الرّاهنة، فنصف ما بها من ظواهر، دون إخضاعٍ لها لوزنِ (افْتَعَلَ)، ولا يتم ذلك إلا على أُسُسٍ صوتيةٍ اقتضتها خواصُّ الصيغِ المذكورة. وعلى هذا يُفَسِّرُ بشرٌ سبب قلبِ تاءِ الافتعال طاءً أو دالًا ، - كما مر سابقًا – تفسيرًا صوتيًّا ، على النحو الآتي: يقول:" السياقات الصوتية التالية مستحيلةٌ في العربيَّةِ:

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 107.

(2) المرجع نفسه ، ص 107.

(3)المرجع نفسه ، ص 108.

صوت مطبق +ت.   والمستعمل هو: صوت مطبق + ط.

د ،أو ذ ،أو ز + ت.   والمستعمل هو: د ،أو ذ ، أو ز + د. "[1]

ومن هذه الأمثلة أيضًا، إبدال فاءِ الافتعالِ تاءً ، إذا كانت واوًا، أو ياءً، كما في قولهم: (اتَّعَدَ) من وعد، و(اتَّسَرَ) من اليُسْرِ. فقد فسرها التقليديون تفسيرًا افتراضيًّا بعيدًا عن المنطق، فالعلة عندهم أنَّه لو لم تقلب الواو في هذا الموضع تاءً، لوجب أن تقلب إذا انكسر ما قبلها ياءً[2].

خالفهم بشرٌفي هذا التفسير ، والتفسير عنده تفسيرٌ صوتيٌّ، إذ قال: " السياقات الصوتية التالية ممنوعةٌ في العربيَّةِ:

همزة وصل + و + ت.   والمستعمل هو: همزة وصل + ت + ت.

همزة وصل + ي + ت.   والمستعمل هو: همزة وصل + ت + ت." [3]

وبالإضافة إلى المثالين السابقين، أورد بشرٌ مثالًا آخر عُولِجَ علاجًا افتراضيًّا أيضًا، وهو فعل الأمر من الثلاثي الأجوف ، نحو: (قُلْ)، حيث دَرَجَ الصرفيون على القول: بأنَّ أصله (قُوْل)، التقى ساكنان فَحُذِفَتْ الواو لالتقاءِ الساكنين فصار (قُلْ).

وبشر يرى أنَّ هذا التفسير الذي نصوا عليه تفسيرٌ افتراضيٌّ أيضًا، لا أساس له في الحقيقة، إذ لم يُنْطَقْ هذا الفعل على وِفْقِ هذا الأصل، الذي قدروه في الكلام الفصيح[4].

والتفسير المنطقي – كما يراه بشر – هو:" أنَّ الفعلَ نُطِقَ من بداية الأمر بهذه الصورة ، أمَّا أنَّهُ لم يُنْطَقْ (قُوْل) كما كان المتوقع فيما لو نظرنا إلى الأصل ، فذلك لسببٍ صوتيٍّ يتلخص في أنَّ اللغةَ العربيةَ (الفصحى) لها أنماطٌ معينةٌ من المقاطعِ، وبالبحث وُجِدَ أنَّ التركيب المقطعي (ص+ح ح+ص) ممنوع في هذه

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 108.

(2)ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج2 ، ص158.

(3)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 108-109.

(4)المرجع نفسه ، ص 110. وانظر لنفس المؤلف: علم الأصوات ، ص 607-608.

اللغة، إلَّا في حالتين اثنتين: الأولى: حالة الوقف. والثانية: إذا كان (ص) الأخير أحد متماثلين مدغمين، وكان المتماثلان أصليين في الكلمة." [1]

ويضيف بشر " أنَّه ليس من المقبولِ أو الصحيحِ أن يقال: (حُذِفَتْ الواو لالتقاءِ الساكنين)؛ ذلك أنَّ الواوَ هنا حركة (هي الضمة الطويلة)، ليست ساكنةً، وهي في حقيقة الأمرِ لم تحذف، وإنَّما قُصِّرَتْ، أي صارت ضمةً قصيرةً، وعلى هذا نجد أنَّها حُذِفَتْ في الكتابة فقط." [2]

ويفسر بشر لجوءَ الصرفيين التقليديين إلى التأويلات الافتراضية المتوهمه " بأنَّهم قصدوا بذلك تفسير ظاهرة لم يستطيعوا تفسيرها تفسيرًا علميًّا سليمًا." [3]

نلحظ مما سبق أنَّ بشرًا فسر هذه المسائل تفسيرًا منطقيًّا ، يقوم على الملاحظة والتجربة، وذلك من خلال ملاحظة استحالة قدرة الجهاز الصوتي لدى الإنسان على نطق بعض السياقات الصوتية، عندها يلجأ الجهازُ الصوتيُّ إلى التخلصِ من هذه السياقات المستحيل نطقها، إلى سياقات أخرى أسهل في النطق أو أيسر، وهذا ما يُعْرَفُ بقوانين التغييرات التركيبية، وأهمها اثنان: قانون المماثلة، وقانون المخالفة.

وهذا ما ذهب إليه رمضان عبدالتواب، إذ يرى أنَّ الأصوات اللغوية يتأثَّرُ "بعضُها ببعضٍ، عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها؛ لكي تتفق في المخرج أو في الصفة، مع الأصوات الأخرى المُحِيْطَةِ بها في الكلامِ، فيحدث عن ذلك نوعٌ من التَّوَافُقِ والانسِجَامِ، بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات "[4]

رابعًا: هناك أبوابٌ في الصرف التقليدي عُولِجَتْ علاجًا خاطئًا – في ظنِّ بشر -، وهي بصورتها المسجلة في آثارهم لا تُفِيْدُ مُتَعَلِّمَ اللغةِ في شيءٍ، وربُّما يُفيدُ بعضُها المتخصصَ في الوقوفِ على الآثارِ الواردةِ عن السلفِ. وقد وصف بشرٌ

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص101.

(2)بشر ، علم الأصوات ، ص608.

(3)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 109.

(4)عبدالتواب ، التطور اللغوي ، ص22.

هذه المسائلَ بأنَّها " أشبه بمخلفاتٍ علميةٍ تُفيْدُنَا في شيءٍ واحدٍ ، هو معرفة منهج التفكير عند هؤلاء اللغويين القدامى"[1]

ويضرب بشرٌ مثلًا على هذه الأبواب ، وهو باب الفعلين الأجوف والناقص، وما تفرع عنهما. نحو: (قَالَ ، خَافَ ، نَامَ) و (رَمَى ، سَعَى ، دَعَا)، على سبيل المثالِ لا الحصرِ. في هذه الأفعالِ إبدالٌ ، أُبْدِلَتْ الألفُ من الياءِ والواو. فقد فسَّر العلماءُ التقليديون سببَ هذا الإبدالِ في الياءِ والواو ، بأنَّه " متى تَحَرَّكَتَا وانفتحَ ما قبلُهما، قُلِبَتَا ألفًا إلَّا أن يُضْطَرَّ أمرٌ إلى ترك قلبهـا." [2]، وورد في ألفية ابن مالك(672هـ) في هذا المعنى ، قوله:

مِنْ يَاءٍ أوْ وَاوٍ بِتَحْرِيكٍ أُصِلْ   أَلِفًا ابْدِلْ بَعْدَ فَتْحٍ مُتَّصِلْ

ومعناه أنَّه " إذا وقعت الواو أوالياء متحركة بعد فتحة ، قُلِبَتا ألفًا، نحو: قَالَ، وبَاعَ، أصلها: قَوَلَ، وبَيَعَ ، قُلِبَتْ (الواو والياء) ألفًا؛ لِتَحَرُّكِهَما وانفتاح ما قبلهما."[3]

يرى بشرٌ أنَّ هذا الأصلَ الذي أشاروا إليه، أصلٌ افتراضيٌّ مُتَوَهَّمٌ، لا أصلٌ حقيقيٌّ، والذي دعاهم إلى هذا السلوكِ، خُضُوعُهُم لمنهجهم العام، وهو سيطرة فكرة الأصل على أذهانهم، ومحاولة حَشْدِ مُخْتَلِفِ الأمثلة تحت قاعدةٍ واحدةٍ، أو تحت نظامٍ واحدٍ من البحث، فإذا لم تَنْطَبِقْ القاعدةُ انطباقًا تامًا، على بعض الأمثلة، فإنَّهم يحاولون إرجاع كلِّ فعل ثلاثي مجرد إلى النموذج الأساسيِّ (ف ع ل)، فإن وافقت الصيغةُ الوزنَ فبها ونِعْمَتَ ، وإلَّا وَجَبَ أنْ تُفَسَّرْ تفسيرًا ما ؛ حتى تخضع لهذا الوزن[4].

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 112.

(2)ابن جني، سر صناعة الإعراب ، ج 2 ص308.

(3)ابن عقيل ، عبدالله بهاء الدين بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عقيل القريشي ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ، 1420هـ ، 1999م ، ج4 ، ص228-229.

(4)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 112. وانظر كتابه: التفكير اللغوي بين القديم والجديد ، مكتبة الشباب ، ص 174.

ويؤكد ذلك ما أشار إليه رمضان عبدالتواب من " أنَّ للقياس أثراً فـــي منـــع القانون الصوتيِّ أحيانًا، عن أن يؤدي وظيفتَهُ؛ فإنَّ صيغَ تـــصريفِ وزنٍ معـــينٍ، توجد في الذِّهنِ في مجموعاتٍ مترابطةٍ ، فلو جـــاءَ القـــانونُ الـــصوتيُّ وأراد أن يعملَ، وكان من جراءِ عمله الإخلالُ بذلك الترابطِ ، فإنَّ القيـــاسَ يُلغِـــي القـــانون الصوتيَّ؛ بسبب ما يسمى (بطردِ البابِ على وتيرةٍ واحدةٍ)." (1)

وبشر يُخَطِّئُ علاجَهُم التقليديّ من الناحية العلميـــة، ويجعـــل الطريـــق إلـــى تصريف هذه الأفعال ، ومناقشتها نقاشًا علميًّا، طريقًا من اثنين:

الأول: طريقٌ وصفيٌّ ، يُعْنَى بتسجيلِ الحقائقِ الموجودةِ في الـــصيغةِ بالفعـــل دون تأويلٍ أو افتراضٍ. وهنا يرى بشرٌ أنَّه لا غِنَى لنا عـــن معونـــةِ الدراســـاتِ الصوتيَّةِ. وهذا المنهج هو المنهج المُتَّبَعُ عند بشر في معالجتِهِ الكثيرِ من القـــضايا اللغويةِ، وعن طريق هذه الدراسات سوف نجد أنَّ (قَالَ) فـــي تركيبهـــا الـــصوتيِّ تختلفُ عن (نَصَرَ) مثلًا. فكلٌّ منهما له تركيبٌ مقطعيٌّ يَخْتَلِفُ عن تركيب الآخـــر، (فَقَالَ) تركيبها الصوتيُّ هو: (ص ح ح / ص ح) ، أمَّا (نَصَرَ) فمقاطعهـــا هـــي: (ص ح / ص ح / ص ح). فكما نرى أنَّ الأولى مُكَوَّنَةٌ مـــن مقطعـــين اثنـــين، والثانية مُكَوَّنَةٌ من ثلاثةِ مقاطعَ ، بالإضافة إلـــى أنَّ هنـــاك فرقًـــا في كميةِ بعضِ المقاطعَ، مثل: (ص ح ح) ، و(ص ح) (2). وهو فرقٌ في كميةِ الحركـــةِ؛ حركـــةٌ طويلةٌ في الأول ، وقصيرةٌ في الثاني.

والفرق الصوتيُّ في الصيغتين السابقتين ذو قيمة وأهمية، فهو يُلزِمُنَا معاملـــة الصيغتين معاملةً صرفيةً مختلفةً، وبخاصةٍ في بـــاب الأوزان، لأنَّ هـــذه الأوزان أولًا وأخيرًا، لا تخرج عن كونها مقاييس صوتية، صيغت للقياس عليهـــا. وهـــذا يقودنا إلى وجوب النظر إلى (قَالَ ، وغَزَا) – ونحوهما - ، نظرةً مُغَايِرَةً عن تلك التي نعامل بها (نَصَرَ) ونحوها. والسير على هذا المنهج الصوتي – كمـــا يقـــول

(1)عبدالتواب ، التطور اللغوي ، ص69.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص113.

بشر – يقودنا إلى القول: إنَّ (قال) وزنها: (فَالَ) ، وغزا وزنها: (فَعَا). أما نصر فوزنها: (فَعَلَ) [1].

ومما سبق نجد أنَّ بشرًا يفضل العمل بهذا المنهج – الوصفيِّ – لأنَّه مُمَثِّلٌ للحقيقة الواقعة، فضلًا عن سهولته، وتمشيه مع رَوْحِ المنهج السليم. وهو في هذا المنهج، يتبع مبدأ تعدد الأنظمة، وهذا شيء تفرضه الحقائق النطقية.

ويرى بشرٌ أنَّ سبب اتباع مبدأ تعدد الأنظمة هنا هو أنَّ (قَالَ، ونَصَرَ)، مثلًا، -وإن كانا فعلين ثلاثيين مجردين – يختلفان في تركيبهما المقطعيِّ. وهذا يوجب علينا معاملتهما بطريق مختلف؛ لأنَّ إخضاعهما لقاعدة واحدة، أو اتباع مبدأ توحد الأنظمة، في علاجهما، سوف يؤدي إلى نتائج مضطربة معقدة ، كما هو الواقع بالفعل في تفسير الصرفيين التقليديين لتصريف هذه الأفعال ونحوها[2].

أمَّا الطريق الثاني: فهو طريق المنهج التاريخيِّ، ومعناه أن نتتبع تاريخ الصيغ المختلفة لنكشف عمَّا أصابها من تَغَيُّرٍ وما حدث لها من تطورٍ عَبْرَ فتراتِ التاريخ المختلفة. وفي هذا الطريق، يطرح بشرٌ تساؤلًا، وهو: هل أتى على نحو: (قَالَ، وغَزَا) فترةٌ من الزمن كانتا تنطقان: (قَوَلَ، و غَزَوَ). ثم عرض لهما تطور في أصوات العلة، أدى إلى هذه الصيغة الحاضرة؟[3]

وهذا الاحتمال – في رأي بشر – احتمالٌ قويٌّ، يُؤَيِّدُهُ الواقعُ المَلْمُوسُ، وهو وجود بقايا هذا الأصل التاريخيِّ، من نحو: (أطول، واستحوذ)، وكان المفروض فيهما أن يكونا على صورة أخرى ، هي: (أطال، واستحاذ) [4]. ويُعَزِّزُ بشرٌ هذا

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص113.

(2)المرجع نفسه، ص 113.

(3)المرجع نفسه، ص 113.

(4)المرجع نفسه، ص 113-114.

الاحتمال بشواهدَ شعريَّةٍ وردت عن العربِ ، بالتصحيح لا الإعلال ، منها قــول الشاعر [1]:

صَدَدْتِ فَأَطْوَلتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا   وِصَالٌ على طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

ويُضيْفُ بشرٌ كذلك دليلًا آخر يؤكد فيه رأيَهُ بأنَّ هذه الصيغَ لها أصلٌ تاريخيٌّ، وهو وجود اللهجة التميمية التي تصحح ولا تعل، نحو قولهم: مبيــوع، ومــديون، ومخيوط، ومصوون، إلى غير ذلك مما قد ينظر إليه على أنَّهُ بَقِيَّةٌ تاريخيةٌ لظاهرةٍ أصليةٍ في اللغة، في فترة من فتراتها السحيقة من الزمن. ويرى بشر – حسب ما تقدم – أنَّهُ لا حاجة بنا حينئذ إلى الأخذ بآراء الصرفيين ، من إخراج هذه الأمثلــة أو تخريجها بوجه من الوجوه، لِتَتَمَشَّى مع الأصل الافتراضيِّ الذي قدَّرُوه[2].

ومثل ما سبق ما ذكره إبراهيم السَّامرائيُّ ، بأنَّه في صيغة " اسم المفعول من الفعل الثلاثيِّ الأجوفِ، فذلكةٌ لغويَّةٌ، نقول: (مَبِيْعٌ) من باع، و(مَصُوْنٌ) من صان، وهذه الفذلكةُ داخلةٌ في بابِ الإعلالِ ". ويُضيِفُ " إنَّ لَهَجَاتِنَا الحديثةَ الدَّارِجَــةَ، لا تلجأُ إلى هذا الإعلال بل تَصُوْغَهُ على وزن مفعول ، فتقول: (مَبْيُوعٌ) وهذه الصفةُ واردةٌ في الفصيحِ من العربيَّةِ، ولكنَّها مسموعةٌ وسماعُها يخالف القياس المشهور، وهو دليلٌ على أنَّهُ من البقايا اللغويَّةِ القديمةِ." [3]

ويُعَلِّلُ بشرٌ سببَ لحاقِ هذا التطور بهذه الأبواب ونحوها ، بحيــث أصــبحت (قَوَلَ ، وغَزَوَ) وما شاكلها على نحو: (قَالَ، وغَزَا) دون غيرها من بقية الصيغ ، بأنَّ هذا التطورَ قد لَحِقَ أصوات العلةِ، وهي أسهلُ الأصواتِ قابليةً للتطورِ. وقــد ظَلَّ هذا الاتجاهُ سائرًا في العربية حتى أصاب لهجاتها الحديثة ، كما وقع لنحــو: (يَوْم، وبَيْت) (yawm و bayt)، فصارتا: (يُوم ، وبِيت) (yoom و beet) [4].

---

(1)البيت للمرَّار الفقعسي. ينظر: السيوطي ، جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر الخضيري ،(849 – 911 هــ) ، شرح شواهد المغني ، تحقيق أحمد ظاهر كوجــان ، لجنة التراث العربي ، 1966م ، ج2 ، ص717.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 114.

(3)السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص75.

(4)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص114.

ولكنَّا نجد أنَّ عبقري اللغة ابن جني ينكر أن تكون هذه الأمثلة ونحوها ذات أصلٍ تاريخيٍّ ، حيث يقول:"هذا الموضعُ كَثِيرُ الإيهَامِ لأكثرِ مِن يَسْمَعُهُ........ وذلك كقولنا: الأصلُ في (قَامَ قَوَمَ) وفي (بَاعَ بَيَعَ) وفي (طَالَ طَوُلَ).......فهذا يُوْهِمُ أنَّ هذه الألفاظَ وما كان نَحوَهَا – ممَّا يُدَّعَى أنَّ له أصلًا يخالفُ ظاهرَ لَفْظِه – قد كان مرَّةً يُقَال ؛ حتى إنَّهم كانوا يقولون في مَوْضِعِ قامَ زيدٌ: قَوَمَ زيدٌ ، وكذلك نَومَ جعفرٌ....... ، وليس الأمرُ كذلكَ ، بل بِضِدِّهِ. وذلك أنَّه لم يَكُنْ قطُّ مع اللفظِ بهِ إلَّا على ما تراه وتسمعه.

وإنَّما معنى قَولِنَا: إنَّه كان أَصْلُه كذا: أنَّه لو جاءَ مجيءِ الصحيحِ ولَمْ يُعَلّ ، لوجب أن يكون مَجيْئَهُ (على ما ذكرنا) ، فأمَّا أن يكون اسْتُعْمِلَ وقتًا مِن الزمنِ كذلك ، ثُمَّ انْصُرِفَ عنه فيما بعد إلى هذا اللفظِ ، فخطأٌ لا يَعْتَقِدُهُ أهلُ النَّظَرِ." [1]

ينكر بشر ما جاء به ابن جني ، من إنكاره وجود الأصل التاريخي لهذه الأبواب ، على الرَّغْمِ من وجود بقايا هذه الأصول ، في النثر والشعر. ويفسر بشر سبب هذا الإنكار ، بأنَّه راجعٌ إلى سيطرة النِّزْعَةِ الجنِّيَّةِ الفرديَّةِ ، والتمسك بقوالبَ من الفكرِ جامدةٍ. وقد اضْطَرَّهُ مَسْلَكُهُ هذا إلى التأويلِ والتخريجِ والتفسيرِ التَّعَسُّفِيِّ ، لكلِّ ما ورد مخالفًا لرأيه[2].

ومن هذه التأويلات والتفسيرات التَّعَسُّفِيَّةِ ، التي يأتي بها ابن جني إذا جاءت أمثلة من الشعر من هذا القَبِيْلِ ، تفسيرُهُ بأنَّ هذه النماذجَ وما شاكلها ، إنَّما هي من الضَّرُورَةِ الشعريَّةِ. وهذا تفسيرٌ يخالفه بشر جملةً وتفصيلًا. فَيُنْكِرُ بشرٌ أن تكون هذه الأبواب والأمثلة من الضرورة الشعرية ، فهناك عشراتٌ من الأمثلةِ – من هذا الباب وغيره – وردت بالتصحيح لا الإعلال ، في غير ضرورة. ولكنَّهَا تَجِيْءُ على وِفَاقِ قاعدةٍ جزئيةٍ ، تختلف مع القواعد التي سموها (قاعدة عامة) ، أو تَجِيْءُ على وِفَاقِ لهجةٍ من اللهجاتِ ، أو تَجِيْءُ على وِفَاقِ مستوىً لغويٍّ معيَّنٍ.

---

(1)ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص256-257.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 115.

وهذا كُلُّهُ – في نظر بشر – صحيح في بابه ، وَيُعْتَدُّ به في بابه كذلك ، وهذا يعني بالضرورة أنَّ- له أصلًا واقعيًا في الحال ، أو في الماضي[1].

وبشر في قوله السابق يخالف رمضان عبدالتواب ، الـذي يَعُـدُّ الـضرورةَ الشعرية من باب الخطأ ، فالضرورة الشعرية في نظر عبدالتواب " ليست في كثير من الأحيان ، إلَّا أخطاءً غير شعوريةٍ في اللغةِ ، وخروجًا على النظام المألوف في العربية ، شِعْرِهَا ونَثْرِهَا." ويستدل على رأيه هذا بأنَّ في اللغة "الآلافَ من الأمثلةِ الصحيحةِ ، في الشِّعْرِ والنَّثْرِ على سواءٍ ، غاية ما هنـاك ، أنَّ الـشاعرَ يكـون منهمكًا ومشغولًا بموسيقا شِعْرِهِ ، وأنغامِ قوافية ، فيقع في هذه الأخطاء ، عن غير شعور منه. [2]"

وفي نظري لا أرى الضرورة الشعرية من باب الخطأ ، وليست خروجًا علـى المألوف ؛ وذلك لأنَّ العربيَّ الجاهليَّ عندما كان يقول الشعر ، كان يقولـه علـى سليقته ، دون أدنى نظرٍ إلى الموسيقا والأوزان ، التي ظهرت علمًا على يد الخليل بن أحمد(ت170هـ). فمن أين للعربيِّ الجاهليِّ هذا العلم الذي ظهر متأخرًا عليه؟ والرأي الصواب هو ما جاء به بشر، من أنَّ هذه الضرورةَ ليست من قبيل الخطأ، وإنَّما هي تَجِيْءُ على وِفَاقِ قَاعِدَةٍ جزئيةٍ، تختلف مع القاعدة التي سموها (القاعـدة العامة) ، أو تَجِيْءُ على وِفَاقِ لهجةٍ من اللهجات، أو على وِفَاقِ مـستوىً لغـويٍّ معينٍ[3].

ولم يكتفِ ابنُ جني – في رأي بشر – بتخريجه هذه الأبواب والأمثلة بأنها من الضرورة الشعرية، بل تعدى ذلك إلى تفسيراتٍ أخرى عجيبةٍ ، تفسيراتٍ يأباهـا المنطقُ السليمُ. ومن ذلك تفسيره لصيغة (أَطْوَلْت) – الواردة في البيت الـسابق – فلم يكتف بالحكم عليها بأنَّها ضرورة شعرية، وإنَّما أضاف إلى ذلك قولـه:" هـذا يَدُلُّكَ على أنَّ (أَقَامَ أَقْوَمَ)، وهو الذي نُوْمِئُ إليه وَنَتَخَيَّلَهُ، قَرُبَ حرفُ يَخْرُجُ هكـذا

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص 114-115.

(2)عبدالتواب ، رمضان ، فصول في فقه العربيـة ، مكتبـة الخـانجي ، القـاهرة ، ط6 ، 1420هـ ، 1999م ، ص163.

(3)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 115.

مَنْبَهةً على أَصْلِ بَابِهِ ، ولَعَلَّهُ إنَّما أُخْرِجَ على أصلِهِ فَتَجُشَّم ذلك فيه لمَا يَعْقُبُ مِنْ الدَّلَالَةِ على أوَّلِيَّةِ أحوالِ أمثالِه." [1]

ويرى بشر أنَّ ابن جني هنا يفترض أنَّ (أَطْوَلْت) إنَّما جاءَتْ هكذا لتدلنا على أصل الباب الذي تنتمي إليه، وهذا الأصل يقتضينا أن نَرُدَّ الصيغةَ إليه إذا جــاءَتْ على خِلَافِه. ويرى بشر كذلك أنَّ الأصلَ الذي يتكلم عنه ابن جني، أصلٌ افتراضيٌّ مُتَخَيَّلٌ. [2]

وبشر يخالف ابن جني في هذا التفسير الافتراضيِّ، إذ إنَّ هذا المثال ونحوه – كما يرى بشر – مَنبهة على الأصل حقيقــة، ولكنَّــه مَنبهــة لا علــى الأصــلِ الافتراضيِّ الذي قدَّره ابن جني، وإنَّما على الأصل التاريخيِّ، الذي يعد هذا المثال وغيره بقية باقية منه[3].

ويؤيد رأي بشر السابق – خلاف ما تقدم – أمران:

الأول: وجود هذه الصيغ وأضرابها في لهجات معينة ومنــسوبة إليهــا نــسبًا صحيحًا. ومن ذلك باب اسم المفعول من الأجوف ، الذي جاءَ مُصَحَّحًا لا مُعَلًا في لهجة تميم[4]. وقد يؤخذ هذا – في رأي بشر – دليلًا على أنَّ التصحيح في الفعــل الأجوف وما تَصَرَّفَ منه، له أصلٌ تاريخيٌّ[5].

أما الأمر الثاني: فهو أنَّ التصحيح له آثارٌ باقيةٌ في لغاتٍ ساميَّةٍ أخرى، كاللغة الجعزية، وهي لغة سامية الأصل. ويؤكد ذلك ولفنسون بقوله:" إنَّ أصولَ اشتقاقها – يعني الجعزية – موجودٌ في اللغة العربية، وغيرها من اللغات السامية، وكلُّ ما

---

(1)ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص257.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 116.

(3)المرجع نفسه ، ص 116.

(4)السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص75.

(5)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 118.

فيها من العنصر الحاميِّ، لا يَعْدُو كلمات غير كثيرة " ويُضِيفُ أنَّ هـذه اللغـةَ " حافظت على أقدم الصور السامية، في حين قد أضاعها غيرها." [1]

ويرى بشر أنَّ وجود التصحيح في الفعل الأجوف والناقص في اللغة العربية، يؤيد رأيه بأنَّ هذا التصحيحَ هو الأصلُ التاريخيُّ في الساميةِ، وفي العربيـة فـي فترةٍ من فترات تاريخها، كونها فصيلة من اللغات الساميات[2].

ويؤيد مذهب بشر بأنَّ هذه الصيغ والأمثلة لها أصلها التاريخيُّ الممتدة عنـه، قول إبراهيم أنيس: " إنَّ لهجات الكلام في البلاد العربية، لا تزال تحتفظ بعناصـرَ قديمةٍ، كانت شائعةٌ في لهجاتِ العربِ قبل الإسلامِ. فاللهجات الحديثة وإن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطورًا مستقلًا باعد بينها، وصـبغها بِـصِبْغَةٍ مَحَلِّيَّةٍ في بعض ظواهِرِهَا، قد استمسكت بكثير من السمات التي عُرِفَتْ عن القبائلِ القديمةِ." [3]

ويورد بشر بعض الأمثلة من الجعزية ، يظهر فيها التصحيح ، فـي بعـض الأفعال الجوف والناقصة ، منها – على سبيل التمثيل لا الحصر -:

الفعل الأجوف	الفعل الناقص
يبيع = $y^{ə}$šay^{ə}t	صلى = salawa / salay
دان = dayana	رمى = ramaya

وهناك أمثلة من اللفيف جاءت صحيحة كذلك ، منها: حيى = hay^{ə}wa

روى =rawaya

ويؤكد بشر من خلال الأمثلة السابقة - مضمومةً إلى الأمثلـة العربيـة - أنَّ حقيقة وجود الأصل التاريخي حقيقة شبه مؤكدة ، فإنَّ الأفعال الجُوْفَ والناقـصةَ (وتصريفاتِهَا) ، أتى عليها وقتٌ من الزمنِ ، كانـت تنطـق فيهـا بالتـصحيح لا

---

(1)ولفنسون ، إسرائيل (أبو ذؤيب) ، تاريخ اللغـات الـسامية ، مطبعـة الاعتمـاد ،ط1 ، 1348هـ ،1921 م. ص 261-262.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 118.

(3)أنيس ، إبراهيم ، في اللهجات العربية ، مكتبـة الإنجلـو المـصرية ، القـاهرة ، ط6 ، ص239.

الإعلال[1]. والعربية مثلها مثل الجعزية ، فصيلة من فصائل اللغات السامية ، حدث لها ما حدث للجعزية ، من تطور وتغير في الصيغ والأوزان ، على مر الأجيال.

نخلص مما سبق إلى أنَّ بشرًا قد نَهَجَ في مناقشتِه هذه الأبواب، السالفة الذكر - من الصرف التقليديِّ – التي عولجت – كما يرى – علاجًا خاطئًا، نهجَ نهجين اثنين: الأول: المنهج الوصفي، ويعمد فيه إلى وصف الحقائق كما هي، دون تأويل أو افتراض، مستعيناً في هذا الوصف – في أغلب الأحيان – بالدراسات الصوتية، التي عَمَدَ بشرٌ في غير موضعٍ من مناقشاتِه الصرفيَّةِ، إلى الاعتمادِ عليها في تفسيره الحقائق الصرفية تفسيرًا صوتيًّا.

أما المنهج الثاني: فهو المنهجُ التاريخيُّ، وفي هذا المنهجِ يقوم الباحثُ بِتَتَبُّعِ تَاريخِ الصِّيَغِ المختلفةِ؛ لِيَكْشِفَ عمَّا أَصَابَهَا من تغيُّرٍ، وما حدث لها من تَطَوُّرٍ، عبر فتراتِ التاريخِ المختلفةِ. كما يَعْمَدُ الباحثُ في هذا المنهج إلى البحث في اللهجات، وإمكانيَّةِ إرجاع بعض الصيغ إلى لهجاتها المتعدِّدة.

ونَخْلُصُ كذلك إلى أنَّ بشرًا قد أنكر معظم تفسيرات ابن جني الافتراضيَّةِ المُتَوَهَّمَةِ، التي لا ترجع إلى دليلٍ وبرهانٍ، فبشر ضدٌّ هذا التَّعَسُّفِ وهذه النِّزْعَةِ الفرديةِ. وقد دعا بشرٌ من خلال مناقشاته السابقة، إلى اتخاذ مبدأ تعدد الأنظمة أساسًا للمناقشات التعليميَّةِ السليمةِ.

كما نلحظ – من خلال ما سبق – سيطرةَ النِّزْعَةِ الصوتيَّةِ على أغلبِ تفسيراتِ بشرٍ لمعظم قضايا الصرف التقليديِّ، التي تعارف عليها التقليديون ومن سار على نهجهم من المحدثين. فجاءَ علاجُهُ لهذه الأبواب علاجًا صوتيًّا.

3.2 رأي خاص في همزة الوصل:

لقد عدَّ بشر الهمزة صوتًا صامتًا حنجريًّا انفجاريًّا – كما مرَّ سابقا –[2]، أو ما يسمى (بالوقفة الحنجرية).

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص 118.

(2)انظر فيما سبق، الفصل الأول، في الحديث عن الهمزة، ص38.

أمَّا فيما يَخُصُّ همزة الوصل، فقد أكد علماء العربية بأنَّ هذه الهمزةَ تُجْتَلَب لفائدةٍ تؤديها، وهذه الفائدة – كما قالوا – هي التَّوَصُّلُ بها إلى النطق بالصوت الساكن، الذي مُنِعَ الابتداءُ به(1).

وبشر يعد ظاهرة همزة الوصل في العربية، ظاهرة صوتية صرفية معًا. وليس من الحكمة – في نظره – أن تدرس من زاوية دون أخرى ، إذ ترتبط الجهتان بعضهما ببعض أوثق ارتباط(2).

لقد كان السببُ واضحًا في اجتلاب همزة الوصل والابتداء بها ، وهو تعذر النطق بالساكن – كما اتفقوا على ذلك – أي تعذر النطق بالصوت غير المتبوع بحركة، أو المُشَكَّلِ بالسكون في اصطلاحهم. وهذا الدافع أمر فيه نظر – كما يرى بشر -، إذ لا تخلو المسألة من احتمالين اثنين: أحدهما: أنَّ النطقَ بالساكن في ابتداء الكلام مُتَعَذَّرٌ أو مستحيلٌ، استحالةً مطلقةً، بقطع النظر عن وقوعه بالفعل أو عدم وقوعه.

والثاني: أنَّ هذا النطق مُتَعَذَّرٌ أو مستحيلٌ بحسب الواقع والحقيقة، لأنَّهُ لم يُسْمَعْ من أفواه العربِ، ومن ثمَّ أصبح خاصةً من خواصِ لغتهم ، ولهذا جِيْءَ بهمزة الوصلِ؛ للتخلص من هذا التعذر أو تلك الاستحالة(3).

وبشر يعالج هذه القضية علاجًا آخر، عارض فيه الصرفيين التقليديين، وفَنَّدَ كثيرًا من نظرياتهم التقليدية، فكان علاجه علاجًا صوتيًّا صرفيًّا معًا، يقوم على أَدِلَّةٍ نطقيةٍ، اهتدى إليها من خلال ممارساته النطقية، وخبرته الصوتية، وتتبعه لهذه الظاهرة تتبعًا صوتيًّا.

فردَّ بشر هذه القاعدة المشهورة المتعارف عليها عند الصرفيين التقليديين، ومن سار على نهجهم من المحدثين، وهي استحالة الابتداء بالساكن، " إذ النطق بالساكن

---

(1)انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج4 ، ص207. و الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج4 ، ص73.

(2)بشر، علم الأصوات، ص 608.

(3)بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، دار المعارف ، مصر ، ط9 ،1986م ،ص146.

ابتداءً بوصفه امكانيةً صوتيةً، أمرٌ ليس مُتَعَذِّرًا أو مستحيلًا، لا في الواقع أو التصور، أو كليهما. كما لا نظن، أنَّ العربيَّ في الماضي أو الحاضر يَعْجَزُ جهازُهُ النطقيُّ عن أداءِ هذه الظاهرة الصوتية.[1]" والدليل على صحة ما قاله بشر، ما جاء عند بعض المتقدمين، من أنَّ النطق بالساكن في ابتداء الكلام " ممكن لكنه مستثقل.[2]"

ويؤكد بشر صحة مذهبه هذا،- بأنَّ النطق بالساكن ابتداءً أمرٌ ليس بالمستحيل – بما جاء في بعض اللغات السامية، من ابتداءٍ بالساكن، وهذا موجود في السريانية والعبرية، حيث جاء في بعض صيغها ابتداءٌ بساكنٍ، ومن هذه الصيغ، ما يأتي:

qṭol (قْطُف) = قْتل

Bla^c (بْلَع) = بْلع

ktob (كْشُف) = كْتب[3].

ويؤكد بشر أنَّ هذه الظاهرةَ الصوتية موجودة كذلك في اللهجاتِ العربيةِ الحديثةِ المنتشرةِ في أرجاءِ الوطنِ العربيِّ، وهذا دليلٌ على جذورها الأولى في العربيةِ القديمةِ. ويعطي أمثلة من اللهجةِ اللبنانيةِ تُؤَكِّدُ رأيه هذا – وبخاصةٍ لهجة الدروز والقطاع الشماليِّ كلِّه – ومن هذه السياقات اللغوية:

1- كلُّ سياقٍ لغويٍّ يقتضي وجود همزة الوصل في اللغة الفصحى، على القول بوجودها ، نحو: (ضروب) فعل أمر (drub). (انفتح) فعل ماض (infatah).

2- أوّلُ كلِّ فعلٍ مضارعٍ، ماضيه في الفصحى على وزن (فَعَّل)، بتشديد العين ، فيما عدا صيغة المتكلم، حيث تحذف الهمزة نهائيًّا، نحو: (يْوَقِّفْ) (ywaffag).

3- أوّلُ مضارع الفعل الأجوف الثلاثي، ما عدا حالة المتكلم، حيث تحذف الهمزة نهائيًّا كالسابق، نحو: (نروح) (nruuh).

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة ، القسم الأول ، ص146.

(2)الصبان، حاشية الصبان على شررح الأشموني، دار إحياء الكتب العربية، ج4، ص273.

(3)بشر، دراسات في علم اللغة ، القسم الأول ، ص147.

4- أوَّلُ كلِّ كلمة هي اسم فاعل، أو مفعول، من الرباعي المضعف العين، مثل: مُجَرِّب(mjarrib)، و مْوَفَّق (mwaffaq) [1].

ومن الأمثلة على وجود هذه الظاهرة أيضًا، ما نلحظه في اللهجة القاهرية، حيث أَكَّدَ بشر وجود صِيَغٍ وأنماطٍ في هذه اللهجة، يبدأ أولها بصوتٍ صامتٍ ساكنٍ، أي غير متبوعٍ بحركةٍ. ومن أشهر هذه الصيغ أو النماذج – في نظر بشر – صيغ الفعل الماضي من الثلاثيِّ الموزون على (فَعِلَ) - بفتح فكسر - في الفصحى، وذلك عندما يتصل هذا الفعل بضمائر الرفع المتصلة، من مثل:

فهم: fihim = فْهِمْت: fhimt

شَرِبَ: širib = شْرِبْت: šribt

وهذا يعني – في رأي بشر – أنَّ اللهجة القاهرية قد طَوَّرَتْ لنفسها تركيبًا مقطعيًّا من نمط جديد ، هو: (consonant + c) ، كما في: (فْهِمْت) (fhimt) = [c/cvcc]. وموقع هذا المقطع في بداية الكلمة. وهو نمط غير معروف في الفصحى[2].

وهذا يدلنا على أنَّ المقاطعَ التركيبيةَ لبنيةِ الكلمةِ العربيةِ عُرْضَةٌ للتطورِ أو الزيادةِ، فهذا النمط من المقاطع المكون من صوت واحد، ممنوع في العربية الفصحى، إذ أن المقطع في العربية يتكون من وحدتين صوتيتين – أو أكثر – إحداهما حركة، فلا وجود لمقطع من صوت واحد، أو مقطع خالٍ من الحركة[3].

وكلُّ السياقات السابقة لا يُسْتَبْعَدُ أن يكون لها جذورٌ قديمةٌ في العربيةِ القديمةِ، وليست هذه السياقات إلَّا امتدادًا لجذورٍ سابقةٍ، أدى التطورُ اللغويُّ إلى تغييرها وتبديلها، وبقاء شيء منها.

وينكر بشر أن يكون هذا الصوت المسمى بهمزة الوصل همزة بالفعل، على الأقل في أصله قبل تطوره. إنَّه - على فرض وقوعه – نوع من التحريك، الذي يُسَهِّلُ عملية النطق بالساكن، وهذا التحريك قد يَخْتَلِطُ أمرُهُ على بعض الناس،

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول ، ص148.

(2)المرجع نفسه ، ص148.

(3)بشر ، علم الأصوات ، ص509.

فيظنونه همزةً؛ إذ إن هواءَه يبدأُ من منطقة صدور الهمزة وهي الحُنْجُرَةُ. وهذا ما وقع فيه اللغويون العرب – برأي بشر – بأن هذا الصوت الذي سمعوه في المواقع التي نصوا عليها، إنَّما هو ذلك التَّحْرِيْكُ، أو ما يفضل بشرٌ تسميته (بالصُّوَيْتِ) الذي يستطيع أن يؤدي تلك الوظيفة التي أرادها علماء اللغة، وهي التوصل إلى النطق بالساكن[1].

ويورد بشر جملة من الأدلة، تأكيدًا لرأيه هذا، وهي على النحو الآتي:

الدليل الأول: طبيعة التكوين الصوتيِّ للهمزة تُنَاقِضُ الغرضَ الذي من أجله جَاءَتْ همزةُ الوصلِ، وهو التوصل إلى النطق بالساكن. والنَّاظِرُ في تكوينِ الهمزةِ، يجد أنَّها صوتٌ وقفةٌ حنجريةٌ، وفي نُطْقِهَا صعوبةٌ ظاهرة تناقض استخدامها للتسهيل والتيسير، فهي على العكس مما قالوه بأنَّهَا تُسَهِّلُ النطقَ بالساكنِ ، فهي حاجزٌ ومانعٌ في حقيقتها[2].

الدليل الثاني: في اجتلاب همزة الوصل تَنَاقُضٌ بين طبيعتها وبين الغرض الذي اجْتُلِبَتْ من أجله، فهي اجْتُلِبَتْ للتَّخَلُّصِ من الساكن، في حين نجد أنَّها صوتٌ ساكنٌ خالٍ من الحركة. فكيف إذن يُجْتَلَبُ الساكنُ للتخلصِ من ساكنٍ آخرَ؟[3] .

وذكر بشرٌ أنَّ اللغويين انقسموا حَولَ هذا الرأي إلى قسمين: قسم قال إنَّ همزةَ الوصلِ جاءَتْ ساكنةً ثم حُرِّكَتْ. وآخر قال إنَّها جاءَتْ متحركةً. وممَّن قال بأنَّها ساكنةٌ ثُمَّ حُرِّكَتْ، عبقريُّ اللغةِ ابنُ جني، حيث يقول: " حُكْمُهَا أنْ تكون ساكنةً؛ لأنَّها حَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنًى، ولا حَظَّ له في الإعْرَابِ..... فلمَّا اجْتَمَعَ ساكنانِ، هي والحرفُ السَّاكِنُ بَعْدَهَا، كُسِرَتْ لالتِقَائِهِمَا؛ فَقُلْتَ: اضْرِبْ، اذْهَبْ. ولَمْ يَجُزْ أنْ يَتَحَرَّكَ ما بَعْدَهَا لِأَجْلِهَا. [4]".

أما الرأيُ الذي يرى أنَّ همزةَ الوصلِ اجْتُلِبَتْ مُتَحَرِّكَةً، فيرى أنَّ سببَ الإتْيَانِ بها هو التوصلُ إلى الابْتِدَاءِ بالساكنِ، فَوَجَبَ تَحْرِيكُهَا. وهذا الرأي تبناه جماعةٌ

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ص 150.

(2)المرجع نفسه، ص 150-151.

(3) المرجع نفسه، ص 150-153.

(4)ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1 ، ص 125.

من البِصْرِيِّينَ، فقد ذهبوا إلى " أنَّ الأصلَ في همزةِ الوصلِ أنْ تكــون مُتَحَرِّكَــةً مَكْسُورَةً، وإنَّمَا تُضَمُّ في (ادْخُلْ) ونَحْوِهِ لِئَلَّا يخرجُ النَّاطِقُ مِنْ كَسْرٍ إلى ضَمٍّ ؛ لأنَّ ذلك مُسْتَثْقَلٌ ، ولهذا ليسَ في كلامِهِم شَيْءٌ على وَزْنِ (فِعُلٍ) بكسرِ الفــاءِ وضَــمِّ العينِ." (1).

أما بشرٌ فيعالج هذا الخلاف علاجًا صوتيًا، معتمدًا في الأساس على المُــتَكَلِّمِ؛ لأنَّه العنصر الأساسيُّ في الدرس اللغويِّ. فالمُتَكَلِّمُ – في رأي بشر – لــم يَــشْغَلْ نفسَهُ بالتفكيرِ في قضية وقوع نطق هذا الصوت على مراحلَ، بل إنَّه نطــق هــذا الصوت إما ساكنًا، وبهذا يقع هؤلاء اللغويون فيما أرادوا الــتخلص منــه، وإمــا متحركًا(2).

و بالنظر في رأي القدماء السابق، نجد أنَّ ما اجْتُلِبَ صوتان، لا صوتٌ واحــدٌ فقط، أحدهما الهمزة، والثاني الحركة التالية له."ولكنَّنا – أي بشر – عندما نمارس نُطْقَ هذا الصوت الذي افترضوه، وسَمَّوه همزةَ الوصلِ، لا نحسُّ بهــذه الثنائيَّــةِ، وإنَّما نشعر بصوتٍ واحدٍ أو (صويتٍ)، هو أقرب ما يكون إلى نوعٍ من التحريك، يعتمد عليه اللسانُ حتى يصلَ إلى الساكن بعده." (3).

ويرى بشرٌ أنَّ تفسير الصرفيين التقليديين لِمَجِيءِ هذا الصوت الساكن أولًا، ثُمَّ تحريكه ثانيًا، عمليةٌ عقليَّةٌ افتِرَاضِيَّةٌ، لجأَ إليها اللغويون لتسويغِ قواعدِهم وتصحيحِ مبادِئِهم(4).

الدليل الثالث: أجمع الصرفيون التقليديون على أنَّ الكسرةَ هــي الأصــلُ فــي تحريك همزة الوصل، وذلك لأنَّها الأصلُ في التَّخَلُّصِ من التقاءِ الساكنين، أو لأنَّها

(1)الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الكــوفي (513 – 577 هــ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين ، المكتبــة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هــ ،2003م ، ج2 ، ص606.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ص 153.

(3) المرجع نفسه، ص 153.

(4)المرجع نفسه، ص 153.

أحقُّ الحركات بها؛ وذلك لأنَّها – أي الكسرة – رَاجِحَةٌ على الضَّمِّ بِقِلَّـةِ الثِّقَـلِ، وعلى الفتحة لأنَّها لا تُوهِمُ استفهامًا(1).

وقد عدَّ بشرٌ هذه التعليلات التي قدموها؛ لتفضيل الكسرةِ علـى غيرهـا مـن الحركات تعليلاتٍ واهيةً. فالحركةُ التي يأتي بها العربيُّ عنـد التقـاءِ الـساكنين، ليست كسرةً، وإنَّما هي نوعٌ من التحريكِ، الذي لا ينحاز إلى أيٍّ مـن الحركـات الثلاث. إنَّه – كما مر سابقًا – (صويتٌ) جِيْءَ بـه لتـسهيل النطـق بالـساكنين المتتاليين. وَيُجَوِّزُ بشرٌ تَسْمِيَتَهُ حركةً من باب المجاز فقط. وليس من الصوابِ أن تعد هذه الحركة أو هذا التحريك جزءًا من نظام الحركات في اللغة العربية ، إذ إنَّ هذا الصويتَ أو التحريكَ يختلفُ من ناحيةِ النُّطْقِ، ومن ناحيةِ التوزيعِ الصوتيِّ في اللغة، عن بقية الحركات اختلافًا بيِّنًا(2).

ويرى بشرٌ أنَّ ادِّعَاءَهُم بأنَّ الكسرةَ هي الحركة المُفَضَّلَةُ عند التقاءِ الساكنين ، لا يعدو أن يكون افتراضاتٍ عقليةً، أو تخميناتٍ نظريةً لا أساس لها من الواقـع. والصحيح عند بشر أنَّ هذا (الصويت)، الذي سموه همزةَ وصـلٍ ، لا يعـدو أن يكون نوعًا من التحريك، ينحو نحو الحركة التالية له في الكلمة ، ومعنى هـذا أنَّ حركةَ همزةِ الوصلِ أو(الصويتَ)، رُوعِيَ فيها أن تكون متناسبةً في أكثر صفاتِهَا، مع الحركةِ التالية لها في الكلمة.

وفي هذا السلوكِ الصوتيِّ الذي يسلكه هذا (الصويت) ، ما يَنْهَضُ دليلًا آخـرَ على ما افترضه بشر، من عدم وجود همزة وصل ، وتأكيد ما ادَّعاه مـن وجـود تحريكٍ أو(صويتٍ) ، تبدأ به الكلمة في مكان الهمزة ، أَوْجَـبَ اجتلابَهـا علمـاءُ العربيةِ. وهذا الصويت هو الذي يتشكَّلُ بشكلِ الحركةِ التالية له(3).

---

(1)الصبان، حاشية الصبان على الأشموني، ج4، ص279.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ص153-154.

(3) المرجع نفسه، ص156-157.

ويؤكد هذا الذي سبق، ما قاله إبراهيمُ السامرائيُّ من أنَّه " يُؤتَى بالهمزة التي يُسْتَعَانُ بها على النطق بالساكنين، مكسورةً أو مفتوحةً أو مضمومةً،.... ليتماثل الصوت ويكون العمل فيها على وجهٍ واحدٍ؟"(1)

و بالنظر في رأي بشر السابق ، يَتَبَيَّنُ لنا أنَّ بشرًا يوافقُ الكوفيين في مذهبه هذا، حيث يرى بشرٌ أنَّ الكوفيين أكثرُ توفيقًا من غيرهم، بدليل أنَّهم نصوا على أنَّ كسر همزة الوصل في نحو (اِضْرِبْ)، وضمها في (اُسْكُنْ)، إنَّما جاء اتباعًا لحركة العين(2). فالكسرة إذن ليست هي المُفَضَّلةُ لتحريك همزة الوصل. وإنَّما جاءَ تحريكها تبعًا لحركة الحرف التابع لها لسببٍ واضحٍ، وهو اتباعها لحركةِ ما بعدها. وهذا تحليلٌ جيدٌ يدلُّ على تَذَوُّقٍ وفَهْمٍ، لدى الكوفيين(3).

الدليل الرابع: وجودُ إحساسٍ مشتركٍ من نوعٍ ما بين اللغويين العرب ، بأنَّ ما سموه همزة وصل ليس إلا نقلةً حركيةً، تختلفُ في طبيعتها وصفاتها عن كلٍّ من الأصوات الصامتة(consonants) والحركات (vowels). وتدلُّ على هذا الإحساس جملةٌ من تصريحاتهم و مناقشاتهم ، المُتَنَاثِرَةِ هنا وهناك في التراثِ اللغويِّ. ومن ذلك أنَّهم وصفوا هذه الهمزة بأنَّها (للوصولِ) أو (الوصلِ) (4).

فكونها للوصل أو التوصل – كما يقول بشر – معناه أنَّها تُسَاعِدُ المُتَكَلِّمَ وتوصله إلى النطق بالساكن. وما كانت الأصوات الصامتة في رأيهم – باستثناء الهمزة – وسيلةً أو موصلًا سهلًا إلى الهدف(5). فهم من خلال هذا التخريج يخرجون الهمزة من فصيلة الأصوات الصامتة.

وهذا القول مرفوضٌ جملةً وتفصيلًا عند بشر، إذ إنَّ الهمزة – كما يراها بشر – عاجزةٌ عن القيام بهذه الوظيفة، إذ هي الأخرى صوتٌ صامتٌ، له صفات

---

(1)السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ص72.

(2)انظر: ابن الأنباري، الإنصاف، ج2، ص239. و الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج 4، ص 79.

(3)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ص156.

(4) المرجع نفسه، ص157.

(5)المرجع نفسه، ص157.

الصوامت وخواصها، فما يَنْطَبِقُ على هذه الصوامت ينطبق عليها؛ لاتِّحَادِهَا جميعًا في المُمَيِّزَاتِ الأساسيَّةِ، التي سَوَّغَتْ جمعها وضمها بعضها إلى بعض، تحت بابٍ واحدٍ، وهو باب الأصوات الصامتة.

ويرى بشرٌ أنَّ الهمزة بطبيعة نطقها تُنَاقِضُ غرضَ التَّسْهِيْلِ والتَّيْسِيْرِ في النطق، وهو الغرضُ الذي من أجله أوجبوا اجتِلَابَهَا[1].

وأمَّا كونُها للوصلِ، فمعناه أنَّها تَصِلُ ما قبلها بما بعدها؛ لسقوطها في دَرْجِ الكلام، وهذه الخاصة – في رأي بشر– تناسب الحركات، فهي التي تخضع لكثير من الظواهر الصوتية، كالتقصير والتطويل والحذف...، إلخ. وهي التي تُؤَهِّلُهَا طبيعتُها لوصل الكلام. ومن المعلوم أنَّ العربيةَ تقرِّرُ وجوبَ وصلِ الكلامِ عند إظهار الحركات في أواخر الكلمات، وذلك مفهوم من قاعدتهم المَشْهُورة: (لا يُوْقَفُ على مُتَحَرِّكٍ)، وهذا معناه وجوب الوصل عند التحريك[2].

ويُنْكِرُ بشر ادِّعَاءَهُم السابقَ، وهو أنَّ ما سموه همزة وصل حركة، وذلك لسببين: أولهما: أنَّ ذلك الصوت الذي يبدأُ به النطقُ، في نحو: (اضرب) و(اكتب)، ليست له صفات الكسرة أو الضمة وخواصهما. و الثاني: هو أنَّ التركيبَ الصوتيَّ للغةِ العربية يمنع ابتداء النطق بالحركة[3].

ويؤكد بشرٌ على أنَّ القول بوجوب تحريك هذه الهمزة، يقتضي بِسُقُوطِ صوتين لا صوتٍ واحدٍ في درج الكلام، هما الهمزة وحركتها، كما يظهر في المثالين التاليين:

قولهم: qifham [4] وفي درج الكلام: qultu lahu fham

بحذف: qi همزة الوصل وكسرتها

وقولهم: quktub وفي درج الكلام: qultu lahu ktub

---

(1) بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ص158.

(2) المرجع نفسه، ص158.

(3) المرجع نفسه، ص158-159.

(4) رسم بشر همزة الوصل هنا بالرمز الصوتي [q].

بحذف: qu همزة الوصل وضمتها[1].

ويتبين مما سبق أنَّ بشرًا يَرُدَّ على ادعاء التقليديين ردًّا صوتيًّا، يقوم على استخدام رموز الكتابة الصوتية، وبيان ما يحدث لهذا الصوت – المُسَمَّى مجازًا بهمزة وصل – من حذفٍ، بيانًا صوتيًّا، وهذا هو مَنْهَجُ بشرٍ في الكثير من القضايا اللغوية.

وبعد أن ينتهي بشرٌ من ذكر الأدلة على أنَّ التي سموها همزةَ وصلٍ، ليست إلا صويتًا أو تحريكًا، جِيْءَ به ليسهل عملية النطق بالساكن، يُوْرِدُ تساؤلًا، وهو: لِمَ اخْتِيْرَت الهمزةُ بالذات ليتوصل بها إلى النطق بالساكن؟ لِمَ لَمْ يكن هذا الموصل صوتًا آخرًا كالطاءِ أو الياءِ......، إلخ؟[2]

يُجِيْبُ ابنُ جني عن هذا التساؤلِ بإجابتين اثنتين؛ الإجابة الأولى قوله:" لإنَّهم إنَّما أرادوا حرفًا يُتَبَلَّغُ به في الابتداءِ، وَيُحْذَفُ في الوصل؛ لِلاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِمَا قَبْلَهُ. فَلَمَّا اعْتَزَمُوا على حرفٍ يُمْكِنُ حَذْفُهُ واطِّرَاحهُ مع الغِنَى عَنْهُ جَعَلوه همزةً؛ لأنَّ العَادَةَ فيها في أكثرِ الأَحْوَالِ حَذْفُهَا للتَّخْفِيْفِ، وهي مَع ذلك أصلٌ، فكيفَ بِهَا إذا كَانَتْ زائدةً. [3]"

يُنَاقِشُ بشرٌ قولَ ابن جني السابق، ويجد أنَّ ابنَ جني يَعْتَلُّ في هذا النص لاختيار الهمزة دون غيرها بعلتين: الأولى: كَونُهَا حرفًا يُتَبَلَّغُ به في الابتداءِ. وهذه العلة مَرْدُوْدَةٌ – في رأي بشر -؛ وذلك لأنَّ الهمزةَ حرفٌ ثقيلٌ مُسْتَكْرَهٌ، أو هي غَصَّةٌ في الحلقِ.

أمَّا العلة الثانية: فهي أنَّ الهمزةَ – دون غيرها من الأصوات – صوتٌ يمكن حذفه مع الاستغناءِ عنه، سواء أكانت الهمزة أصلًا أم زائدةً. ويرى بشر أنَّ هذا الاعتلالَ مردود من جهتين: الأولى أنَّ الخواصَ التي ذكرها تناسب الحركات، وتنطبقُ عليها بصورةٍ واضحةٍ، إذ هي – أي الحركات – أكثرُ الأصواتِ تعرضًا لمثل هذه الظواهر التي ذكرها ابن جني في نصه.

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ص159.

(2) المرجع نفسه، ص162.

(3)ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص113.

أما الجهة الثانية: فهي أنَّ حذفَ الهمزةِ في نحو: (خُذْ) وبابِهِ ، ظاهرةٌ صـــرفيةٌ لا صوتيةٌ، تقتضيها بِنْيَةُ الصِّيَغِ في هذه الأبواب ، ويفترض بشرٌ أنَّ تطـــورًا قــد لحق بهذه الصيغ ونحوها[1].

أمَّا الإجابة الثانية التي قدمها ابن جني عن التساؤل السابق ، فتتمثل في قولـــه:" وإنْ شِئْتَ فَقُلْ: إنَّمَا زادوا الهمزةَ هنا ؛ لِكَثْرَةِ زِيَادَةِ الهمزةِ أولًا ، نحو: (أُفْكُــلْ) و (أَيْدِعْ) و (أَيْلِمْ) و (إِصْبِع) و (أُتْرُجَّة) و (إِزْفِنَّة). ولَمْ يَكْثُرْ زيادةُ غيرِ الهمزةِ أولًــا كَزِيَادَتِهَا هي أولًا. [2]"

وهذا التعليل ضعيف - عند بشر - لا يعدو أن يكون تفــسيرًا، أو بـــالأحرى تسويغًا مُتَكَلَّفًا لِمَا وَقَعَ بالفعلِ، أو لما يَظُنُّهُ هؤلاء اللغويون أَنَّهُ قد وقع. ويرى بشرٌ أنَّ هذا التعليل يقتضي كذلك أنَّ المتكلمَ – وهو العنصر الأهم في الموضوع كلِّهِ – قد أَعْمَلَ فِكْرَهُ قَبْلَ الكلام فيما ينبغي أن يسلكه حتى اختار الهمزةَ بالذات، للأسبابِ التي ذكرها ابنُ جني. وهذا الأمرُ مرفوضٌ – عند بشر – لأنَّ المتكلمَ دائمًا وأبــدًا يُرْسِلُ الكلامَ إرسالًا، دون التفكير في قواعده الصوتية أو الصرفية، أو غيرها[3].

ويقرر بشرٌ أنَّ هـــذا التحريـــكَ أو الـــصويت،ظـــاهرة صـــوتية فنولوجيـــة (phonologic feature)، أو نوعٌ من التطريزِ الصوتيِّ (prosodic feature). ومن المعلوم أنَّ هذه الظواهر الصوتية الفنولوجية، تتغير بتغير السياق، فهو مثلًــا ذو أثرٍ سمعيٍّ في ابتداء الكلام، ولكنَّه غير موجودٍ في دَرْجِهِ، أي أنَّه حينئذ لـــيس له تحقُّقٌ نطقيٌّ[4].

وينكر بشرٌ أنَّ هذا (الصويت) كان في الأصل تحريكًا، ولكن ربما بالغ بعض الناس في نطقه ، حتى قَارَبَ أن يكون همزةً، وهذا ما نلاحظه الآن بالفعـــل بـــين

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول ، ص163.

(2)ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ، ص114.

(3)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول ، ص164.

(4)المرجع نفسه ، ص 164.

العَوَامِّ وأنصافِ المثقفين ، حيث يَنْطِقُونَ هذا (الصويتَ) ، بل يزيد على ذلك أنَّهم يَرْسِمُونَهُ في الكتابة همزة كذلك[1].

ويرى بشر أنَّ لهذا التحريكِ أو (الصويت) قيمتين:

الأولى: قيمةٌ صوتيةٌ مَحْضَةٌ، أي كونه ظاهرة صوتية له أثرٌ سمعيٌّ تُدركُه الأذنُ. ويقترح بشرٌ رمزًا صوتيًّا يشار به إلى هذا التحريك، وهو [ə]. وهذا الرمز هو الرمز المختار في الأبجدية الصوتية العالمية للإشارة إلى ما يُسَمَّى (بالحركة المركزية) (central vowel) [2]. وسبب اختياره لهذا الرمز للدَّلَالَةِ على هذا التحريكِ؛ هو اتفاق المَدْلُولَيْن – في الأبجدية وفي هذا المقام – في تنوع الصفات، وتعدد الإمكانات النطقية لهما، وفي الغموض أيضًا[3].

أما القيمة الثانية: فتظهر في النظر إلى وظيفته في التركيب الصوتيِّ للغة العربية. إنَّه – في رأي بشر – يُكَوِّنُ عنصرًا مقطعيًّا في بعض المواقع المُعَيَّنَةِ، وهي تلك المواقع التي افترضَ علماءُ العربية وجود همزة الوصل فيها[4].

ويرى بشرٌ أنَّ هذا الافتراضَ يَسْتَتْبِعُ وجود عنصرٍ مقطعيٍّ في اللغة العربية، غير مَأْلوف للدارسين، ومُخْتَلِفٍ عن كلِّ الأنماطِ المقطعيَّةِ المُسْتَخْلَصَةِ من كل القوانين الصوتيَّةِ، التي قررها لغويو العرب للغتهم[5]. وهذا النمط الجديد هو:[əc]= (ə+consonant)، كما في نحو (əktub).

ولا يرد هذا المقطع إلَّا في تلك الصيغِ والكلمات التي تأخذ همزة الوصل – على رأي القدماء- فيما عدا أداة التعريف وأيمن، وسوف يأتي الحديث عنهما لاحقًا.

ويُورِدُ بشرٌ أمثلةً للمقارنة بين التركيب المقطعيِّ لنماذجَ من هذه الصيغ على رأي التقليديين، والرأي الذي يراه هو، منها:

---

(1)المرجع نفسه ، ص 165.

(2)انظر الفصل الأول ، الأصوات ، في الحديث عن الحركات ، ص 53.

(3)المرجع نفسه ، ص 165.

(4)المرجع نفسه ، ص 167.

(5)المرجع نفسه ، ص167.

الكلمة	التركيب المقطعي التقليدي	التركيب المقطعي المقترح
افـــــهـــــم	ʕ ifham cvc / cvc	fham ə vc / cvc
اكــتـــب	ʕ uktub cvc / cvc	Ktubə vc / cvc

ويَتَّضِحُ مما سبق أنَّ هذا النمطَ الجديدَ مُكَوَّنٌ من: صُوَيْتٍ (ə) وصوتٍ صامتٍ واحدٍ (c)، وهذا الصُوَيتُ (ə) ليس محسوبًا – في نظر بشر – من الحركـــات أو الأصوات الصامتة، وإنَّما هو مجرد عنصرٍ مقطعيٍّ اقتضاه نظام المقـــاطع للغـــة العربية[1].

ومما سبق نَخْلُصُ إلى أنَّ بشرًا قد أضاف نمطًا جديدًا إلى أنماط المقاطع فـــي اللغة العربية، وهذا النمطُ مُكَوَّنٌ من (صُوَيتٍ أو تحريكٍ + صوت صامت واحد). وقد أشار بشر إلى هذا المقطع بالرمز (əc).

ويَسْتَثْنِي بشرٌ – مما سبق – همزتي (أل) التعريف و(أيمن)، إذ همـــا – فـــي رأيه – همزتا قطعٍ لا وصلٍ، ويُؤَيِّدُ وِجْهَةَ نظرِه هذه، بمجموعـــةٍ مـــن الحقـــائق العلميَّةِ، مُلَخَّصَةً فيما يأتي:

1- نُطقُ الهمزتين في ابتداء الكلام، هو نطق الهمزة محققةً، ولهمـــا صـــفات مـــا سَمَّوهُ (همزة القطع)، أو الوقفةَ الحنجريَّةَ. أمَّا سُقُوطُهُما في دَرْجِ الكلامِ، فهـــو ظاهرةٌ صوتيَّةٌ، اقتضاها وصل الكلام، بعضه ببعضٍ.

2- لُزُومُ الهمزةِ في أداة التعريف و (أيمن) حَرَكَةً واحدةً – باتفـــاقٍ فـــي الأولـــى وعلى الأرجحِ في الثانيةِ -، وعدم تَغَيُّرِ هذه الحركةِ بتغير السياقِ، دليلٌ قـــويٌّ على أنَّ هذه الهمزةَ ليست للوصلِ. وهذا على العكس من همزة الوصلِ التـــي

(1)بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ص167.

قَرَّرَ علماءُ العربيَّةِ بتنوع الحركات المصاحبة لها[1]. فهذه الحركـــات – فـــي نظرهم – تبلغ سبعًا أو تظهر في سبع صورٍ مختلفةٍ.

3-كون الحركة اللازمة لهاتين الهمزتين فتحةً لا كسرةً، علامـــةٌ أخـــرى علـــى قطعيتهما، فلو كانت الهمزةُ هنا للوصلِ حقيقةً لأوجبوا كـــسرها، تمـــشيًّا مـــع قاعدتهم الأساسيَّةِ، التي تَنُصُّ على أنَّ الكسرةَ هي الحركـــةُ الأصـــليَّةُ لهـــذه الهمزة[2].

ويَتَبَيَّنُ هنا أنَّ بشرًا قد وافق الكوفيين في قَطْعِيَّةِ هاتين الهمزتين، حيث قَـــرَّرَ الكوفيون أنَّ كلمةَ (أيْمُنْ) جمعٌ لا مفردٌ، وهمزتها همزة قطـــع عنـــدهم، ولكنَّهـــا عُومِلَتْ مُعَامَلَةَ همزةِ الوصل فسقطت في الدَّرجِ لكثرةِ الاستعمال[3].على العكـــس من البصريين، الذين قرروا بأنَّ (أَيْمُن) اسمٌ مفـــردٌ، وهمزتهـــا للوصـــل، بـــدليل سقوطها في درج الكلام[4].

وفي رأيي، أنَّه من الممكن أنَّ العربَّي قديمًا، قد نطق بالساكن ابتداءً، ولكنَّه عِنْدَ دخولِهِ في المَدَنيَّة، واختلاطهِ بغيرِهِ من أهلِ الحواضرِ، لانَ لسانُهُ ورقَّتْ ألفاظُـــهُ، فَصَعُبَ عليه النُّطْقُ بالساكنِ ابتداءً، لذلك اجْتَلَبَ هذا الصُّوَيْتَ أو التحريكَ – كمـــا يسميه بشر -؛ لكي تَسْهُلُ عمليةُ النُّطْقِ بالساكن، ابتداءً، تسهيلًا يتناســـب والحيـــاة المدنية ، التي أصبح هذا العربيُّ يعيشها. وهذا إيمانٌ بفكرة التطور اللغوي ، وأنَّ اللغة ذاهبةٌ إلى التطورِ، وهذا الذي سبق يؤكده السامرائيُّ بقولـــه:" إنَّ المرحلـــةَ السابقةَ لهذه العربيَّةِ الفصيحةِ، كانت تُجِيْزُ الابتداءَ بالساكنِ. [5]"

---

(1)الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج4 ، ص78.

(2)بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ص167-168.

(3)الخضري، حاشية الخضري، ج2 ،ص 181.

(4)الأنباري، الإنصاف، ج1 ، ص334.

(5)السامرائي، إبراهيم، التطور اللغوي التاريخي ص7.

4.2 المستوى النحوي:

لقد غَلَبَت على بشرٍ النِّزْعَةُ الصوتيَّةُ ، فقد ذهب في غير موضعٍ من آثـارِهِ ، إلى تفسيرِ الكثيرِ من المسائلِ اللغويَّةِ تفسيرًا صوتيًّا ، قائمًا علـى النتـائجِ التـي يُقَدِّمُهَا علمُ الأصوات. وقد دعا في غير موضعٍ إلى اعتماد الدرسِ الصوتيِّ ، بكلِّ جوانبه وظواهره ، عاملًا مهمًّا وفاعلًا في التحليـل اللغـوي ، علـى مـستوياته جميعها[1].

ومن هنا قَلَّ نتاجُ بشرٍ النحويِّ، فجاءَتْ آراؤه النحويَّةُ مُرْتَبِطَةً كُـلَّ الارتبـاطِ بالجانب الصوتيِّ، فلا يغادر قضيةً نحويةً إلا ويُعَالِجُهَا علاجًا صوتيًّا. ويؤكد هـو نفسُه أنَّ لدينا في النَّحوِ العربيِّ أبوابًا ومسائلَ شتى، ليس من الـسهل تحليلهـا، أو استيعاب خواصها بدقَّةٍ، دون النظر في هيئتها الصوتيَّةِ ، وما يَلُفُّهَا مـن ظـواهرَ تطريزيَّةٍ مُمَيِّزَةٍ لها[2].

وقد ذهب تمام حسان المذهبَ نفسَهُ، إذ قَرَّرَ أنَّ النظام النحويَّ للغـة العربيـة الفصحى يَنْبَنِي على أُسُسٍ كثيرةٍ، من أهمها: ما يُقَدِّمُهُ علما الصوتيات والـصرف لعلم النحو من قرائنَ صوتيَّةٍ أو صرفيَّةٍ، كالحركات والحروف ومبـاني التقـسيم ومباني التصريف، وما اصطلح هو على تسميته مباني القرائن اللفظية[3].

ومن هذه الأبواب والمسائل – كما يراها بشر – على ضرب مـن التمثيـل: (التَّحْذِيرُ، والإغْرَاءُ، والنِّدَاءُ والنُّدْبَةُ، والاسـتِغَاثَةُ، وأسـماءُ الأفعـالِ....،إلـخ). فأساليبُ هذه الأبواب لا يمكن تحليلها تحليلًا دقيقًا، ولا يمكن فَهْمُهَا فهمًا سليمًا ، إلا بربطها بمقاماتها الاجتماعية، التي تنتظم اتصالًا مباشرًا – أو ما أشبه – بين مُتَكَلِّمٍ ومُخَاطَبٍ، تربطهما علاقاتٌ مخصوصةٌ، تقتضي إلقاءَ الكلامِ بتلويناتٍ موسـيقيَّةٍ، تُفْصِحُ عن مضمون الرسالة[4].

---

(1)بشر، علم الأصوات، ص545.

(2)المرجع نفسه، ص545.

(3)حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص 178.

(4)بشر، علم الأصوات، ص545.

ويمثل هذه التلوينات أنماطٌ من الفونيمات فوقِ التركيبيَّةِ ، تُمَيِّزُ هذه الأساليبَ، وتُنْبِئُ عن الظروفِ والمناسباتِ التي تَلُفُّ المقامَ. ومن هـذه الأنمـاط: التَّنْغِـيْمُ، والنَّبْرُ، والفَوَاصِلُ الصوتيَّةُ، وموسيقا الكلامِ.

فعلى سبيل المثال، يُعَدُّ التَّنْغِيْمَ عاملًا مهمًا في تصنيفِ الجُمَـلِ إلـى أنماطهـا المختلفة: من إثباتيَّةٍ، واستفهاميَّةٍ، وتعجبيَّةٍ ، إلخ. إذ تُصَاغُ كلُّ واحدةٍ منها وفقًـا للونٍ موسيقيٍّ معينٍ، على الرَّغْمِ مما قد تحتويه الجملُ من أدواتٍ صـرفيَّةٍ، مـن شأنها أن تساعدَ على تحديد نوعها[1].

ويرى بشرٌ أنَّ علماءَ العربية قد وقعوا في خطأ، وهو عـدم اسـتفادتهم مـن الدراسات الصوتيَّةِ ، في مناقشةِ ما يَحْتَاجُ إلى ذلك من مسائل النحو ومـشكلاته، ويرى أنَّ السِّرَّ في ذلك، هو أنَّ ما عَرَضُوا له من بحثٍ صوتيٍّ، ليس – في جملته – من ذلك النوع الذي يمكن أن يَعْتَمِدَ عليه النحوُ، ويَفِيْدُ منه في تحليل مادَّتِـهِ. إذ إنَّهم اقتصروا على دراسةِ الأصوات (الحروف) المفردة، وبعض الظواهر العامـة التي تَنْتُجُ عن اتصالِ هذه الأصوات بعضها ببعضٍ في الكلمة المعينَّةِ، مـن مثـل ظاهرة الإدغام مثلًا[2].

أمَّا وظيفة النحوِ – كما يراها بشرٌ – فهي البحثُ في التَّرَاكِيبِ ، وما يَـرْتَبِطُ بها من خواصَّ، ولا تَقْتَصِرُ الدراساتُ النَّحْوِيَّةُ – في نظره – على البحـث فـي الإعراب ومشكلاته، وإنَّما عليه كذلك أن يَأْخُذَ في الحُسْبَانِ أشياءَ أخـرى مهمـةً: كالموقعيَّةِ، والارتباطِ الداخليِّ بين الوحدات المكوِّنَةِ للجملة أو العبارة، ومـا إلـى ذلك من مَسَائِلَ لها علاقةٌ بنظمِ الكلام وتأليفه[3].

والنَّحْوُ شَدِيْدُ الارتباطِ بالصَّرفِ، لا يَنْفَصِلُ عنه، ولا يَـسْتَغْنِي أحـدُهُمَا عـن الآخر. ولِشِدَّةِ هذا الارتباط جمعَ أكثرُ العلماءِ المحدثين بينهما، وأطلقـوا عليهمـا

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص25.

(2)المرجع نفسه ، ص 25.

(3)المرجع نفسه ، ص 11.

اسمًا واحدًا هو: (grammar)، أي قواعد اللغة، أو ما يُفَضّلُ بعضُهُم ترجمَتَهُ بــ (النحوِ) [1].

ومن الأبواب التي عالجها بشرٌ علاجًا صوتيًّا، بابُ الاختصاصِ ، فتحليل هذا الباب وما شَاكَلَهُ تحليلًا علميًّا دقيقًا، يَحتَاجُ إلى النَّظَرِ فيما يُصَاحِبُ هذه الأبــوابَ من موسيقا وتنغيمٍ. فعلى سبيل المثال، قولك:

(نَحْنُ العَربَ أكرمُ الناسِ أخلاقًا).

التفسير النَّحْويُّ التقليديُّ لكلمةِ (العَرب) هو أنَّها كَلِمَةٌ مَقْصُودَةٌ بالاخْتِــصَاصِ، وليست خبرًا لِنَحْنُ، ودليلُهم على ذلك مجيءُ الكلمةِ مَنْصُوبَةً. وأَعَانَهُم على هــذا الفَهْمِ كذلك، موقعُ هذه الكلمةِ ذاتِها في الجملةِ، حيث جَاءَتْ مَتْلُوَّةً بلفظةِ (أَكْــرَمُ)، وهي لفظةٌ صالحةٌ للإخبارِ بها بحدِّ ذاتِها[2].

وبشر لا يُخَطِّئُ هذا النهجَ الذي نَهَجَهُ هؤلاء النحاة ، ولكنَّهُ يأخذُ عليهم أنَّهُــم أهملوا أهمَّ أمَارَةٍ من أماراتِ هذا التحليلِ، وهي إمَارَةُ الــسِّمَاتِ الــصَّوتيَّةِ التــي يَتَّصِفُ بها هذا المَنْطُوقُ، والتي تَتَمَثَّلُ أساسًا في التلوينِ الموسيقيِّ الذي يُصَاحِبُهُ، فهذه الجملة بتحليلها السابق وفي مَوْقِفِهَا المُعَيَّنِ تُصَاحِبُ نُطْقَهَا نغمتان مُخْتَلِفَتَــان، وإن كانتا مُتَّصِلَتَيْنِ غير منفصلتين، النغمة الأولى تُصَاحِبُ الجزءَ (نَحْنُ العَــربَ)، وتنتهي بانتهاءِ هذا الجزءِ، ويجب أن تكون من ذلك النوعِ الــذي يَــدُلُّ علــى أنَّ الكلامَ ناقصٌ لم ينته بعد، وهي مــا تُــسَمَّى بالنَّغمَــةِ الــصَّاعِدَةِ (rising tone). ويُصَاحِبُ هذه النغمةَ في هذا الموقفِ عادةً وقفةٌ خَفِيْفَةٌ (pausc) ، ووقــوعُ نَبْــرٍ قويٍّ (strong stress)، على كلمةِ (العَربَ) دلالةً على اهْتِمَامٍ خَاصٍّ بها.

أما النَّغْمَةُ الثَّانِيَةُ، فتصاحبُ الجزءَ الباقي من الجملةِ، وهي من ذلك النَّمَطُ الذي يَدُلُّ على انتهاءِ الكلامِ وتَمَامِه، وتُسَمَّى (نغمةً هابطــةً) (falling tone). ويمكــن التَّنْبِيهُ الى هذه السِّمَاتِ الصَّوتيَّةِ في الكتابةِ بوَضْعِ فَاصِلَةٍ [،] عَقِبَ الجــزءِ الأوَّلِ من الجملةِ، ونقطةٍ [.] في نهايتها هكذا: (نَحْنُ العُرْبَ، أكرمُ الناسِ أخلاقاً.) [3]

---

(1)المرجع نفسه، ص 11.وانظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها.ص178-179.

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص 26.

(3)المرجع نفسه، ص 26-27.

ومن الظَّوَاهِرِ الصَّوتِيَّةِ التي عَوَّلَ عليها بشرٌ في تَحْلِيلِهِ للجمل والتراكيب إلى أَنْمَاطِهَا المُخْتَلِفَةِ ، ما يُعْرَفُ ــ عند بشرٍ ــ باسمِ الفواصل الصَّوتِيَّةِ، أو ما يُمْكِنُ أن يُشَارَ إليه بالوقفاتِ والسَّكَتَاتِ. ويَضْرِبُ بشرٌ مثلاً من القرآن الكريمِ، مُطَبِّقًا علية تَأْثِيرَ هذه الفواصلِ في تحليله النَّحْوِيِّ، وهو قوله تعالى: (((ألم). ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى للمُتَّقِيْن)) [1].

لقد تناول بشرٌ هذا المثالَ وحلَّلة إلى أَوجُهِهِ الإعرَابِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، تحليلًا صوتيًّا مُعْتَمِدًا على ما سَمَّاهُ بالفواصلِ الصَّوتِيَّةِ، فَذَكَرَ ثلاثةَ أَوْجُهٍ من أَوْجُهِ إعرابِ هذه الآيةِ، التي قَدَّمَهَا علماءُ التَّفْسِيْرِ واللغة ، وهي:

الوجه الأول: ((ذَلِكَ الكتابُ. لا رَيْبَ. فِيْهِ هُدًى للمُتَّقِيْنَ.))

يرى بشرٌ أنَّ الآياتِ في هذه الحَالَةِ السَّابِقَةِ ثَلاثُ آياتٍ، تُكَوِّنُ كلٌّ منها جملةً مُسْتَقِلَّةً مُحَدَّدَةً بسكتتين ، واحدةٍ سابقةٍ وأخرى تاليةٍ لها، وقد أُشِيْرَ إلى ذلك بوضعِ النِّقَاطِ التي تُفِيْدُ تَمَامَ الكلامِ وانتهاءَه. ويكون إعرابها حينئذٍ على النَّحْوِ الآتي:

ذلك الكتابُ: جملة من مبتدأ وخبر.

لا ريب: لا: نافية للجنس

ريب: اسمها. والخبر محذوف تقديره (موجود). والجملة مُسْتَأنِفة مُؤكِّدة لما قبلها.

فيه هدى للمتقين:

فيه هدى: جملة ثالثة من خبر مقدم، ومبتدأ مؤخر، هو (هدى).

للمتقين: جار ومجرور متعلق بهدى[2].

الوجه الثاني: ((ذلك الكتاب. لاريب فيه. هدى للمتقين)).

الآيات هنا ثلاثٌ أيضاً، ولكنَّ تركيبَها مُخْتَلِفٌ، باختلافِ الوَقَفَاتِ والسَّكَتَاتِ التي تَخَلَّلَتْ هذه الآيةَ. وعليه فالإعرابُ مُخْتَلِفٌ فيها عن سابِقَتِهَا، وهو على النحو الآتي:

ذلك الكتاب: إعرابها كإعراب الحالة الأولى.

---

(1)البقرة ، آية (2)

(2)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص28.

لا ريب فيه: جملة مُكَوَّنَةٌ من لا النافيهِ للجنسِ واسمها وخبرها، وهي إمَّا مُستَأنَفَةٌ للتأكيد، أو في محل رفع خبر ثانٍ لاسم الإشارة (ذلك).

هدى للمتقين: هدى: خبر للمبتدأ محذوف تقديره (هو).

للمتقين: جار ومجرور متعلق بـ (هدى) [1].

الوجه الثالث: أما الوجه الثالث من أوجه إعراب هذه الآية فهو على النحو الآتي: ((ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيْهِ. هُدًى للمُتَّقِيْنَ)).

الآيات هنا آيتان فقط، ويبدو الاختلافُ واضحاً بينهما وبين تركيب الآيات في الحالتين السابقتين ، وذلك يوضحه الإعراب الآتي:

ذلك الكتاب لا ريب فيه:

ذلك: مبتدأ. و الكتاب: بدل أو عطف بيانٍ له.

لا ريب فيه: جملة من لا النافية للجنس، واسمها وخبرها، في محل رفع خبر المبتدأ وهو (ذلك).

هدى للمتقين: وتحليلها الإعرابي، هو التحليل المذكور في الوجه الثاني السابق.

وهنا يُلحَظ أنَّ الآيةَ الأولى تَتَكَوَّنُ من جزأين، وهناك اتصالٌ صَوتيٌّ بين جُزأي الآية: (ذلك الكتاب)، و(لا ريب)، وهذا الاتصالُ مَنْبَعَهُ من ارتباطِ الكَلَامِ بَعْضِهِ ببعضٍ في المعنى والإعرابِ معًا، ومن هُنَا، يرى بشرٌ أنَّهُ من الخطأ أن نَضَعَ النقطةَ [.] بين هذين الجزئين؛ لأنَّ النقطةَ في وضعها الصحيح، إنَّما تَدُلُّ على انْتِهَاءِ الكلامِ، وتَمَامُ الكلامِ هنا ليس بأحدِ هذين الجزأين دون الآخر، وإنَّما تَمَامُهُ بهما كليهما[2].

وأرى هنا أنَّه لا فائدةَ تُرْجَى من التَّكْرَارِ، لذلك أكتفي بهذا القَدَرِ من الأمثلةِ التَّوْضِيْحِيَّةِ للمسائلَ النَّحْوُيَّةِ التي تناولها بشرٌ في دِرَاسَاتِه، لأنَّ مُعْظَمَ هذه المسائلَ عُولِجَ العلاجَ نَفْسَهُ الذي عُولِجَتْ بِهِ الأَبْوَابَ التي سَبَقَ ذِكْرُهَا.

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص28-29.

(2)المرجع نفسه ، ص29.

نَخلُصُ مما سبق كذلك إلى أنَّه من الواجبِ على دارسِ القضايا النَّحْوِيَّةِ ، أنْ يبدأَ بالصَّرْفِ وينتقلُ مِنْهُ إلى النَّحْوِ ، وأنْ يُمَهِّدَ لِمُنَاقَشَاتِه النَّحْوُيَّةِ بِدِراسَةٍ صرفيَّةٍ، مُتَّصِلَةٍ اتصالًا مباشرًا بِمَا هو في صَدَدِهِ مِن القضايا النَّحْوِيَّةِ " لنفرض مثلًا أنَّا بسبيل دراسة ظاهرةِ النَّفْي في العربية، على هذين المستويين. المنهجُ الصحيحُ يَقْتَضِيْنَا أن نَجْمَعَ مادتَنَا، ثُمَّ نُلَاحِظُهَا ونُسَجِّلُ مُلَاحَظَاتِنَا، بادئين بالتعريف على أدوات النفي، ومحاولين تصنيفها إلى مجموعاتٍ ، بِحَسَبِ خَوَاصِّهَا ومُمَيِّزَاتِهَا المُسْتَفَادَةِ من استعمالها في الصَّرْفِ. فإذا ما انتهى الدَّارِسُ من هذه المَرْحَلَةِ الصَّرْفِيَّةِ، بَادَرَ بِمُعَاوَدَةِ النَّظَرِ في ظَاهِرَةِ النفي على مستوى التَّرْكِيْبِ، ليعرفَ خَوَاصَّهَا، ولِيَقِفَ على كيفيةِ توزيعِ أَدَوَاتِهَا في الجُمْلَةِ، وعلى أنماطِ هذا التَّوْزِيعِ، واختلافِ الأساليبِ باختلافِ هذا التَّوزيعِ...... إلخ. [(1)]"

وبذلك يُتَوَصَّلُ إلى أنَّ بشرًا سَلَكَ في مُعَالَجَتِهِ للقضايا النَّحْوِيَّةِ مسلكًا صوتيًّا حديثًا، يَدُلُّ على أهميةِ عِلْمِ الأصواتِ في الدِّرَاسَاتِ اللغَوُيَّةِ جَمِيْعِهَا، فهو الأساسُ المَتِينُ لِكُلِّ دراسةٍ لُغَوُيَّةٍ. ونَلْحَظُ كذلك أنَّ بشرًا يَعِي كلَّ الوعي أهميَّةَ التَّدَرُّجِ في تناولِ القضايا اللغَوُيَّةِ، فهي كالبناءِ الذي لا يقوم من سَقْفِه إلى أَسَاسِه، بل العَكْسُ تَمَامًا، وكذلك الدِّرَاسَاتُ اللغَوُيَّةُ، يَجِبُ على دارِسِهَا أنْ يَبْدَأَ من صَوْتِهَا وهو الأساسُ ، ثُمَّ ينتقلُ إلى صَرْفِهَا، ومن ثُمَّ إلى نَحْوِهَا، وهكذا.

وقد نظرَ بشرٌ إلى النحو نظرةً مغايرةً لما اعتادَ عليه الدارسون للنحو التقليديِّ، فالنحوُ ليس الإعرابَ، وليس الإعرابُ النحوَ كما يرى بشر، ولكنَّه يرى أنَّ النحو هو علم التراكيب، فعندما نُرِيدُ بناءَ جملةٍ أو مقالةٍ، هذه الجملةُ مكونةٌ من مفرداتٍ لكلٍّ منها موقعها، ولا بُدَّ لهذ الموقعِ أن يتفق بعضُه مع بعضٍ. [(2)]

فالنحو عند بشرٍ يبحثُ في التراكيبَ من عدةِ أوجهٍ ، هي:

1- الاختيارُ.

2- الضَّمُّ والمَوقِعِيَّةُ.

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص88-89.

(2)بشر ، كمال ، حوارات في اللغة والثقافة الواقع والمأمول ، ط1 ، 2009م دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ص 120

3- التَّعلِيقُ ، أو بيانُ العلاقةِ الدَّاخِلِيَّةِ بين وحدات التركيب.
4- الإعرَابُ، وذلك في اللغات المُعْرَبَة.

أما الاختيارُ فيعني به بشرٌ اختيارَ الوحدات أو المورفيمات التي تُكَوِّنُ التراكيبَ، والمفروضُ في الاختيارِ اللغويِّ أن يكون اختيارًا طبيعيًّا خاليًا من عنصرِ المُفَاضَلَةِ، أو الاختيارِ المُتَعَمَّدِ الذي يُفَاضِلُ بين المورفيمات الصَّالِحَةِ للتَّعْبيرِ. إذ هذا الأخيرُ أدخلُ في عِلْمِ الأساليبَ منه في علمِ النَّحوِ[1].

أمَّا المرحلة التالية لمرحلة الاختيار، وهي مرحلة الضم ، فهي مرحلة دقيقة تقتضي معرفةً جيدةً بقواعد البناء وأصوله، وإدراكًا واعيًا بنظام ترتيب المورفيمات، و وضعها في نسقٍ صالحٍ مقبولٍ بحسب قواعد اللغة المعينة.

ويضرب بشرٌ هنا مثلًا على حسن الضم، وهو قولك: (جاءَ الطالبُ مبكِّرًا) ، فقد جاء ترتيب المورفيمات وضمها بعضها إلى بعضٍ مطابقًا لقواعد النحو في اللغة العربية، وعلى العكس من ذلك إذا قلت: (أل + جاءَ + مبكرًا + طالبٌ) ، فهذه كلها مورفيمات عربية صالحة لأن تصنع تركيبًا عربيًّا، ولكنَّ ضمها جاء بطريقة غير صحيحة في هذه اللغة[2].

وقد يشملُ معنى الضَّمِّ التبادلَ بين المورفيمات الصالحةِ لصنعِ تراكيبَ عربيةٍ صحيحةٍ، ولكنَّ نتيجةَ التبادلِ تُؤَدِّي إلى اختلافِ التركيبِ؛ بسبب اختلاف بعض المورفيمات، ومن ثَمَّ تكون الفرصةُ للحصول على عِدَّةِ تراكيبَ صالحةٍ، ولكنَّ بعضَها أَوْفَقُ من بعضٍ بالنسبةِ للفكرةِ أو للمقامِ، كما في مثل:

إذا جِئْتَ أُكرِمُكَ.
أُكْرِمُكَ إذا جِئْتَ.
إنْ جِئْتَ أُكْرِمْكَ.
إنْ تَجِئ فَأَنَا أُكْرِمُكَ.

---

(1)بشر، كمال، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، مكتبة الشباب، ص 34.
(2)المرجع نفسه، ص 34.

فهذا الضَّمُّ - كما يرى بشرٌ- مبنيٌّ على أساسِ المُفَاضَلَةِ في الاختيارِ ، ومن ثُمَّ نَحَا بنا نَحْوَ علمِ الأساليب ، المبني في أساسِهِ على عاملِ المُفَاضَلَةِ بين عَنَاصِـــرِ التَّرْكِيْبِ[1].

أما التَّعْلِيقُ فَيَقْصِدُ به بشرٌ ربطَ الكلامِ بعضِهِ ببعضٍ ، رَبْطًا يَتَمَشَّى مع قواعدِ اللغةِ المُعَيَّنَةِ من جِهَاتٍ عِدَّة ، مثلًا:

1 – من حيث المُطَابَقَةِ في العَدَدِ (الإفراد والتثنية والجمــع)، والنــوعِ (التــذكير والتأنيث) ، والتَّعْرِيْفِ والتَّنْكِيْرِ..... إلخ.

2 – من حيث ربطُ مورفيماتٍ بعينها بمورفيماتٍ أخرى مُحَــدَّدَةٍ، كــربطِ أدواتِ النَّصْبِ والجَزْمِ بالفعلِ المُضَارِعِ ، أو نُونِ التَّوكِيدِ به.

3 – أو من حيث طبيعةُ المورفيماتِ في الأبوابِ النَّحْوُيَّةِ المُعَيَّنَةِ، كأن يكون الحالُ نكرةً مُشْتَقًّا وصاحبُهُ معرفةً، أو أن يكون المَفْعُولُ المُطْلَقُ مصدرًا من جنسِ فعلِهِ، أو أن يكون المَفْعُولُ من أجلِهِ مَصْدَرًا بمعنى (من أجل كذا....) إلخ[2].

أمَّا الإعرابُ فهو الوظيفةُ الرَّابِعَةُ للبحثِ في النَّحوِ، ويــرى بــشرٌ أنَّ النُّحَــاةَ العَرَبَ قد بالغوا في الاهتمامِ به، وهم في ذلك – كما يرى بشرٌ- على طريقٍ غَيْرِ مُسْتَقِيْمَةٍ، إذ الأولى النَّظَرُ في الجِهَاتِ الثَّلَاثِ الأولى؛ لأنَّهَا إذا تَمَّتْ على طريــقٍ صحيحةٍ كان الإعرابُ صحيحًا.

ولقد كان لهذا الاهتمامِ المُبَالَغِ فيه بالإعرابِ أثرٌ كبيرٌ في وضعِ قواعدِ العربيَّةِ، إذ لَمْ يَنْظُرُوا في قواعدِ التَّركِيبِ الأُخْرَى، من مَوْقِعيَّةٍ وتَعْلِيقٍ نَظَرًا كافيًا، الأمــرُ الذي ضَحَّى - في رأي بشر - بِكَثِيرٍ من حقائقَ اللغةِ، وظهرَ لنا الأمرُ كَمَــا لــو كان النَّحْوُ هو الإعرابُ[3].

ويرى بشرٌ أنَّ عبدَ القاهرِ الجرجانيَّ (ت471هــ) كان أعمقَ في النظــرِ مــن النُّحَاةِ المُحْتَرِفِينَ، إذ بنى نظريَّةَ النَّظْمِ عنده على قواعدِ النَّحْوِ وقَوَانِيْنِهِ، لا علــى

---

(1)بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص 35.

(2)المرجع نفسه، ص 36.

(3) المرجع نفسه، ص 36-37.

إعرابِهِ، وكان يَعْنِي بقواعدِ النَّحْوِ وقوانينه تلك الجهاتِ التي أشارَ إليها بشرٌ سابقًا، من اختيارٍ وضَمٍّ وتعليقٍ صحيحٍ، بل إنَّ التَّعْلِيْقَ عنده هو أساسُ النَّظْمِ[1].

ويشيرُ الجُرْجَانِيُّ من خلالِ نظريَّتِهِ إلى أَهَمِّيَّةِ التَّعْلِيْقِ المُتَمَثِّلَةِ في تفكيكِ بِنْيَــةِ الإسنادِ، وبيانِ علاقاتِ الكَمِّ فيه، و وجوبِ الاعتمادِ على قَــرَائِنَ مُخْتَلِفَــةٍ لبيــانِ المعنى، وقد وَظَّفَ مُصْطَلَحَ التَّعْلِيْقِ لتفسيرِ العلاقاتِ السِّيَاقِيَّةِ في التَّراكيب الجُمَلِيَّةِ، وذلك تحت عنوانِ النَّظْمِ، إذ النَّظْمُ عنده تــأليفُ الكــلامِ وفقًــا لأبــوابِ النَّحْــوِ المُخْتَلِفَةِ[2].

---

(1)المرجع نفسه ، ص 37.

(2)انظر: الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق:محمد رضوان وفــايز الدايــة، دار قتيبة، دمشق، 1983. ص65. وانظر: مراد، وليد محمد، نظرية النظم وقيمتها العلميــة في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجاني، ط1، دار الفكر، 1983 ، ص56.

الفصل الثالث

المستوى المعجمي والدَّلالي

لقد تعدَّدت جهود كمال بشر في الدرس اللغويِّ الحديث - كما مرَّ سابقًا – حتى طالت علمي المعجم والدَّلالة، فتناول هذين العلمين من منظور حديث، معتمدًا في دراسته لهما على ما قدَّمته المستويات اللغوية السابقة، في الفصلين السابقين (الأصوات والصرف والنحو). إنَّ هذه الفروع الثلاثة مضمومًا إليها علم المعجم وعلم الدَّلالة، مهما اختلفت وجهات النظر فيها تبقى كلًّا متكاملًا، ولا يمكن الفصل بينها، فكلٌّ فرع ذو اتصالٍ وثيقٍ بسابقه أو لاحقه، وربَّما جاز الفصل بين هذه الفروع ولكن عند الضرورة، وذلك يظهر في حال البحوث الدقيقة في مجال التخصُّص في فرعٍ معين(1).

وسيتناول هذا الفصل هذين الفرعين (المعجم والدَّلالة). ولكنَّ الناظر في آثار بشر سوف يجد أنَّه لم يولِ المستوى المعجمي اهتمامًا كبيرًا، فقد جاءت آثاره في هذا الجانب على هيئة وجهات نظر، توصلت إليها من خلال تتبعي لآراء بشر اللغوية، فهو يرى أنَّه لا حاجة بنا إلى ذكر(المعجم) بوصفه فرعًا من فروع علم اللغة، إذ هو" شظية من شظايا علم المعنى"(2)

أمَّا الجانب الدَّلاليُّ، أو ما يعرف بعلم المعنى، فقد نال قدرًا كبيرًا من جهود بشر، فقد تناوله مركزًا في غير موضع على اللغة العربية بوصفها اللغة القومية. إذ نادى بشر في غير موضع من مؤلفاته وبحوثه وندواته ولقاءاته، إلى ضرورة الحفاظ على اللغة العربية والذود عنها، وذلك من خلال النظر في جنباتها والارتشاف من معينها، فقوة اللغة تعني قوة القوم الذين يتحدَّثون بها، وضعفها

---

(1)بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص 21. وانظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2 ، 1403هـ،1983م، ص44.

(2)المرجع نفسه، ص39.

يعني ضعف أهلها ، وكلَّما زادت قوة اللغة وصلابتها زادت قـدرة أهلهـا علـى مواجهة كلِّ مخاطر الغزو الثقافيِّ الوافد من الخارج(1).

1.3المستوى المعجميُّ:

لم يولِ بشر هذا الدرس أهمية كبيرة، بل تناوله بشكل يسير من باب الإشـارة إليه وذكره في سلَّم العلوم اللغوية، وهو يضعه تحت مظلة علم المعنى - كما مـرَّ سابقًا – على الرغم من أنَّه ذكره بصفته واحدًا من فروع علم اللغة التـي نـص عليها، وهي:

1- علم الأصوات.
2- علم الصرف.
3- علم النحو أو(علم التركيب).
4- علم المعنى.
5- علم المعجم.
6- علم الأسلوب(2).

وهذا الأخير- علم الأسلوب – الذي اختلف الدارسون في الحقل العـام الـذي ينتمي إليه، وتنازعه اللغويون والأدباء ورجال النقد الأدبيِّ، يرى بشر أنه ينتمـي

---

(1)بشر، حوارات في اللغة والثقافة الواقع والمأمول، ص82.

أمَّا القضايا التي تناولها هذا الفصل ، فهي كما يأتي:

- أولًا: جهوده في الدرس المعجميِّ.
- ثانيًا: جهوده في الدرس الدَّلاليِّ ، وفيه:
- اللغة ، مفهومها وماهيتها.
- نشأة اللغة.
- اللغة وعلاقتها بالفرد والمجتمع.
- علم المعنى (السيمانتيك).
- الحديث في اللفظ والمعنى.

(2) بشر ، التفكير اللغوي بين القديم والجديد ، ص20.

إلى مجالين: مجال الدراسات اللغوية، وذلك بالنظر إلى الأسلوب على أنَّه بنـــاء أو هيكل لغويٌّ، مكوَّنةٌ عناصره من وحدات لغوية، جاءت منـــسوقة وفقًـــا لمعـــايير لغوية، على وجه من وجوه قواعد اللغة المعينة. والأسلوب أيضًا ينتمي إلى مجال الأدب والنقد، بوصفه نوعًا من التعبير منفردًا بخواص تعبيرية مميـــزة ، لغويـــة وغير لغوية، وبوصفه نمطًا خاصًا من الكلام يفي أو لا يفي بأغراضــــه الأدبيـــة والثقافية والاجتماعية والنفسية أيضًا(1).

وعودًا على بدء، فيَعُدُّ بشرٌ علمَ المعجمِ فرعًا من فروع علـــم اللغـــة، " علـــى الرغم من كونه قائمة من الكلمات التي لا تنتظم في نظام معين، إنَّمـــا يُعدُّ جـــزءًا من اللغة من حيث يمـــدُّ

اللغة بمادَّة عملها، وهي الكلمات المختزنة في ذاكرة المجتمع"(2). ومجالـــه البحث في المفردات أو الثروة اللفظية المعينة، فيعنى بجمعها وتصنيفها، ثُمَّ محاولة شرحها وتفسير معانيها بصورة عامة، يفيد منها الرجـــل العـــادي والمتخـــصِّص كلاهما(3).

على العكس من تمَّام حسَّان الذي لا يعد المعجم نظامًا من أنظمة اللغة؛ لأنَّه لا يحتوي على شبكة من العلاقات ولا القيم الخلافية، إلا أنه يعد جـــزءًا مـــن اللغـــة والكلمات داخلة صامتة ومتعددة الدَّلالة(4).

والدَّرس المعجميُّ " يستمد وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات وعلم الدَّلالـــة، يضاف إلى ذلك اهتمامه ببيان كيفية نطق الكلمة، ومكان النبـــر فيهـــا، وطريقـــة هجائها، وكيفية استعمالها في لغة العصر الحديث." (5)

ويرى بشر أنَّه من الضروري أن يكون تصنيف المعجمات إلـــى موادِّهـــا المختلفة خلاصة البحوث السابقة، في الأصوات والصرف والنحو جميعًا ، بمعنى

---

(1)بشر ، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص21.

(2)حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص316.

(3)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص12.

(4)تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص312- 315.

(5)ماريو باي، أسس علم اللغة، ص44.

أنَّ القائمين على صنع المعجمات وتأليفها يلزمهم مراعاة أن يكون المعجم المعين مرشدًا إلى النطق الصحيح للكلمات، ومعينًا على معرفة صيغها وأوزانها، ثم قد يضطره الأمر أحيانًا إلى توضيح الكلمة توضيحًا كاملًا، بوضعها في جملة أو عبارة؛ لينبِّه إلى معانيها المتعددة بتعدد السياق والتركيب(1).

وكعادة بشر التي سبق وأن عرفناها، وهي معالجة قضايا اللغة جُلّها علاجًا صوتيًّا، يرى أنَّ للتنغيم وظيفة معجمية، وهي ما أطلق عليها اسم (النغمة المعجمية – lexical tone) وظيفة هذه النغمة هي التفريق بين معاني الكلمات على مستوى المعجم(2).

ولقد أهملت المعجمات العربية إلى حدٍّ بعيد التأثيرات الصوتية على دَلالة الألفاظ، وكان الأجدر بالقائمين على هذه المعجمات أن يولوا هذه التأثيرات اهتمامًا كبيرًا، علمًا بأنَّ العرب قد وعوا علم الأصوات في فترة مبكرة من درسهم اللغويِّ. وهذا ما أكَّده محمود السعران بقوله:" لا غنى للمعاجم عن الاستعانة بالثقافة الصوتية اللغوية، فالمفروض أنَّ واجب المعجم لا يقتصر على تبيان معاني (المفردات) وتطور هذه المعاني، بل يتعداه إلى تمثيل نطق هذه المفردات، وهذا لا يكون إلا باصطناع نظام من الرموز الكتابية يكون أدقّ تمثيلًا للنطق من الأبجدية التقليدية." (3)

نخلص مما سبق أنَّ بشرًا لم يولِ الدراسة المعجمية قدرًا كبيرًا من اهتمامه، بل عدَّها فرعًا من فروع دراسة علم المعنى، وشظيَّةً من شظاياه، فكان حديثه عن المعجم ضمن حديثه عن علم المعنى؛ إذ إنَّ علم المعنى هو الأصل وعلم المعجم فرعٌ عليه. ونلحظ كذلك أنَّه تناول هذا الدرس من جانب صوتيٍّ؛ إذ يرى أنَّه لا غنى للمعجم عن الدراسات الصوتية، التي وظيفتها التفريق بين معاني الكلمات على مستوى المعجم، من ذلك مثلًا التنغيم والنبر وغيرهما من الفونيمات فوق

---

(1)بشر ، دراسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، ص12.

(2)بشر ، كمال ، علم الأصوات، ص541.

(3)السعران ، علم اللغة ، ص126.

التركيبية، التي لها اليد الطولى في بيان المعنى، من خلال التبدُّلات الصوتية والنغمات المصاحبة لنطق هذه المفردات في سياقاتها المعيَّنة.

2.3 المستوى الدَّلالي(السيمانتيك):

أمَّا علم الدَّلالة، أو ما يُسَمّيه بعضهم علم المعنى، فقد تناوله بشر بشيء من التفصيل، وهو يفضل تسميته بعلم (السيمانتك)، وهي كلمة مُعَرَّبة من الكلمة الفرنسية (semantique)، وهو المشهور بين أوساط الدارسين العرب[1].
ومهمة هذا العلم في الدرس اللغويِّ - كما يراها بشر - هي البحث في المعاني ومشكلاتها، في حين نجد أنَّ بعضهم يحدد وظيفته بالبحث في معاني الألفاظ المفردة على مستوى المعجمات وما إليها، والبعض الآخر يوسع في دائرة اختصاصه، بحيث يقوم بالنظر في معاني المفردات والجمل والعبارات جميعها دون تفريق[2].

وموضوع علم الدَّلالة لا يقتصر على دراسة المعنى ومشكلاته، ولكنَّه يختص بكلِّ ما يقوم بدور العلامة أو الرمز، سواء أكان لغويًّا أم غير لغويٍّ، إلا أنَّ التركيز يكون في أغلب الأحيان على المعنى اللغويِّ في مجال الدراسة اللغوية[3].

ويرى بشر أنَّ علم السيمانتك كان عند الأولين شديدَ الصِّلة بالمعجمات، أو هو عند هؤلاء العلم المنظِّم لمادة المعجمات من حيث المعنى، وهو الكفيل بوضع القوانين والقواعد العامة التي تخضع لها المعاني في المجتمع المعين، من حيث علاقتها بالظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، ومن حيث ما يطرأعليها من تغيُّر كالتوسع أو التضييق. والسيمانتيك كما يراه بعضهم ذو ارتباطٍ

---

(1)بشر ، دراسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، ص12. وانظر للحديث عن علم السيمانتيك بشكل عام: لنفس المؤلف: دراسات في علم المعنى (السيمانتيك) مجلة الأزهر ، الجزء الحادي عشر،1962م، ص1377-1385، والجزء الثاني عشر 1962م، ص87-94.

(2)المرجع نفسه ، ص12.

(3)جرمان ، و لوبلون ،علم الدَّلالة ، ترجمة نور الهدى لوشن ،جامعة قاريونوس، بنغازي ، ط1، 1997م ، ص7 – 8.

بالمعجم و النحو كليهما، ولهذا كان عند هؤلاء ما يسمى بالمعجمي المعجميِّ، وما يسمى كذلك بالمعنى النحويِّ[1].

والمعنى المعجميُّ ليس كلَّ شيءٍ في إدراك المعنى، إذ إنَّ هناك عناصر غير لغوية تدخل في تحديد المعنى وتشكل جزءًا من معنى الكلام، ومن ذلك شخصية المتكلم وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات، و ظروف ذات صلة به، ومن ثمَّ فتحديد معنى الكلمة لا يأتي من مجرد النظر في القاموس[2].

وعلى أيَّة حالٍ، لا خلاف على أنَّ علمَ السيمانتك (المعنى) جزءٌ من علم اللغة أو مستوىً من مستوياته، وهو يعد أهمّ هذه المستويات جميعها، وهذا ما أكده محمود السعران حين تناوله تحت اسم (قمَّة الدِّراسات اللغوية)، إذ إنَّ " علم الدلالة، أو دراسة المعنى فرعٌ من فروع علم اللغة، وهو غاية الدراسات الصوتية، والفنولوجية، والنحوية، والقاموسية، إنَّه قمَّةُ هذه الدراسات [3]".

وقد تناول هذا المستوى جهود بشر في دراسة علم السيمانتك، وفيه الموضوعات الآتية:

- اللغة، مفهومها وماهيتها.
- نشأة اللغة.
- اللغة وعلاقتها بالفرد والمجتمع.
- علم المعنى (السيمانتيك).
- الحديث في اللفظ والمعنى.

---

(1)بشر ، دراسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، ص13.

(2)السعران ، علم اللغة ، ص288 – 290.

(3)المرجع نفسه ، ص261. وانظر: بالمر ، علم الدَّلالة إطار جديد ، ترجمة صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، 1995م ،ص16. والشايب ، فوزي ، محاضرات في اللسانيات ، ط1 ، 1999م ، وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، ص 429.

3.3 اللغة ، مفهومها وماهيتها:

إنَّ الناظر في جهود اللغويين ممَّن وقفوا حياتهم للغة و وجهوا كلَّ جهـــودهم إلى دراستها يجدهم في مأزقٍ من أمرهم، ويلفيهم في حيرةٍ ذهبت بهم مذاهب شتى في طرائق محاولتهم تعرف هذا السحر، الموسوم عرفًــا بالمــصطلح المــشهور (اللغة) [1].

وأوَّل موضوعات اللغة، التي تناولها القدماء والمحدثون علـــى ســـواءٍ، هـــو موضوع تعريف اللغة، فالأحق أن تُعرف ماهية الشيء قبل دراســـته أو التعامـــل معه. وهذا ما ذهب إليه بشر بالطبع، إذ إنَّه من الــضروري - عنـــده – معرفـــة مفهوم المصطلح قبل الدخول في طبيعته، فالمصطلحات مفـــاتيح العلـــوم، وهـــي الكاشفة عن طبيعتها والراسمة لحدودها وأبعادها. ويرى بشر أنَّ أهل الاختصاص قد وقعوا في خلافٍ حول تحديد مفهوم اللغة، ويرى أنَّ هذا الخلاف لا يخرج عن أمرين، أوَّلهما: اختلاف مناهج الدَّرس وطرائق المعالجة. والثاني: يعود إلـــى مـــا يحدث أحيانًا من تركيز بعض الدارسين على جوانـــبَ معيَّنـــةٍ دون أخـــرى مـــن موضوع البحث الذي ينشغلون به[2].

ولا غرابة إذن أن يختلف أهل الاختصاص من اللغويين في تحديد المقـــصود بمصطلحاتهم ، وبالتحديد مصطلح اللغة. ويرى بشرٌ أنَّ المصطلح (اللغة) قد يؤخذ بمفهومين، أحدهما عامٌّ، والآخر خاصٌّ. يقصد بالعام أنَّ اللغةَ بوصـــفها طاقـــةً أو ملكلةً إنسانيةً أو ظاهرةً اجتماعيةً، وهي في هذه الحالة لا تختص بلغةٍ معيَّنةٍ دون أخرى، ولا بنوعٍ محدَّدٍ من الكلام في بيئةٍ من البيئات، وإنَّمـــا تـــشيرُ إلـــى هـــذه الخاصة الإنسانية التي امتاز بها الإنسان عن سائر المخلوقات. أما المفهوم الخاص فيتمثَّل في الإشارة إلى اللغة المعينة كالعربية أو الإنجليزية مثلًا، وفي هذه الحالـــة

(1)بشر ، كمال ، علم اللغة الاجتماعي (مدخل) ، دار غريب للطباعة والنـــشر والتوزيـــع ، ص153.

(2)المرجع نفسه ، ص153 – 154.

ربَّما يحتاج الدارس إلى نعتٍ واصفٍ لهذه اللغة أو تلك ، فيقال (اللغة العربية) أو (اللغة الإنجليزية) [1].

والخلاف واقع حول مفهوم اللغة وماهيتها ومناهج درسها وتحليلها ، فيختلف الناس قديمًا وحديثًا ، شرقًا وغربًا، عامَّة ومتخصِّصين، بل إنَّ المتخصِّصين يختلفون فيما بينهم. فالرجل العادي - في القديم والحديث على سواءٍ - يستخدم اللغة ويخبرها ويقضي بها حاجاته ويصرِّف بها شؤون حياته، وهو لا يدري طبيعتها ، ولا يدرك أسرارها، ولا يشغل نفسه بمشكلاتها. ولكنَّه يستعمل اللغة تحقيقًا لاجتماعيته وإنجازًا لرغباته وقضاءً لمصالحه، وتواصلًا مع بني جنسه[2].

أمَّا الفلاسفة والمناطقة والمفكرون، فقد أدلى كلٌّ فريقٍ بدلوه في هذا الميدان الواسع المتعدِّدِ الأطراف والجوانب. فقد ركَّزَ هؤلاء في نظرتهم إلى اللغة على وظيفتها التي حصروها أساسًا في وكونها أداة تعبيرٍ وتوصيلٍ وتأثيرٍ. فهي عندهم وسيلة التعبير عن الأفكار وتوصيلها إلى الآخرين، فتؤثِّر فيهم وتعمل عملها في نفوسهم. ومن هنا جاءت نظرتهم إلى اللغة نظرةً فلسفيَّةً منطقيَّةً، وحللوا عناصرها وأجناسها التعبيرية على هدي من هذا الاتجاه الذي تحكمه وتحدِّدَه ضوابط الفكر والعقل[3].

ويرى محمود السعران " أنَّ إقامة الفلسفة اللغوية على أساسٍ (منطقي) أو (عقلي) بات أمرًا مرفوضًا........ فالمنطق لا يُمَكِّنُ من تفسير كثير من الظواهر اللغوية، أو هو يفسرها بطريق التعنُّتِ والتَّعسُّفِ، وسبيل التأويل والتعقيد، أو قد يؤدي إلى الاستغراق في الجدل في مسائلَ لا طائل من ورائها، أو من وراء الجدل فيها. [4] " و الأجدر بنا أن نطرحه جانبًا.

---

(1)بشر ، علم اللغة الاجتماعي، ص154. وانظر: السعران، علم اللغة ، ص14.

(2)بشر ، كمال ، خاطرات مؤتبفات في اللغة والثقافة ، دار غريب ، 1995م ، ص25-26.وانظر: لنفس المؤلف ، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص83.

(3)المرجع نفسه ، ص28.

(4)السعران ، علم اللغة ، ص74.

أمَّا الأدباء - وبالأخص الشعراء – فراحوا يجولون في رياض اللغة ويقطفون أجمل أزاهيرها وأبهى ورودها، وينقدون لآلئها فيلتقطون أكرمها ويجمعون أندرها، كي يُشكِّلوا في ذلك عقودًا من الكلم منظومةً. وكثيرًا ما يعمدون إلى توليف كلامهم توليفًا صوتيًّا متسقًا متآلف النغمات، شأنه في ذلك شأن الموسيقا وخصوصية إيقاعه ولحونه في إشباع النفوس بالبهجة والقلوب بالراحة، وفي تحريك العقول ودفعها إلى عالم الخيال[(1)].

ويرى بشر أنَّ هناك بعضًا من الأدباء والشعراء قد انتحوا أحيانًا في اللغة إلى نحوٍ فلسفيٍّ منطقيٍّ في التأليف والتعبير، فيوظِّفونها توظيفَ الفلاسفة والمناطقة مشحونةً بالفكرِ، منتظمةً للحكَمِ، يخاطبون بها العقل قبل الوجدان، ويغذُّون بها الأفكار قبل العواطف، كما يظهر ذلك متاثرًا في أعمال العقاد (ت1964م) [(2)]، ومن قبله في شعر أبي العلاء (ت449هـ) وأبي الطيب (ت354هـ). ويقع منهم هذا على ضرب من الهواية أو إشباع لنزعةٍ مستقرَّةٍ فيهم ، وإفصاحٍ عن ملكةٍ خاصةٍ بهم، لا في مجال الأدب والشعر فحسب، بل في كلِّ مناحي الحياة واتجاهاتهم في التعامل معها[(3)].

أما رجال الأنثروبولوجيا (Anthropology) وعلم الاجتماع (Sociology)، فينظرون إلى اللغة نظرةً مغايرةً لنظرة الفريقين الذين سلف ذكرهما (الفلاسفة والأدباء). إنَّها في نظرهم ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ، ونمطٌ من السلوك الواقعيِّ الحي، يفصح عن شخصيَّة الإنسان وهويَّته ومعارفه وخبراته. واللغة عندهم لا تعبر عن الأفكار بقدر كونها أداة إنجازٍ وعمل[(4)].

---

(1)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص28 – 29.

(2)بشر ، كمال ، العقاد في الدِّراسات اللغوية ، مجلة الأزهر ، ج1 ، العدد36 ، 1384هـ ، 1964م ، ص74-79.

(3)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص29-30. وانظر: هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، ترجمة محمد عبدالغني عيَّاد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1987م ، ص20.

(4)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص 30.

ويركز بشر في نظرته إلى اللغة على الربط بين البنية اللغوية والبنية الثقافية؛ إذ اللغة تختلف في بنيتها و وظيفتها في المجتمع المعين وفقًا لأنماط الثقافة السائدة فيه، فهي طاقةٌ وسلوكٌ تختلف باختلاف البيئة، فلأهل الحِرَفِ والصَّنائع لغتهم ومصطلحاتهم التي تَنُمُّ عن ثقافاتهم، التي تفسر كيفية توظيفهم لهذه اللغات والمصطلحات في الزمان والمكان المعيَّنين، والتي تلقي الضوء على قيمها ودَلالاتها في أوساطها الخاصة[1].

فاللغة عند الاجتماعيين أهمُّ مقوِّم من مقومات بناء المجتمعات، تربط الأفراد بعضهم ببعض، وتضعهم على درب موَحَّدٍ من الرؤى والاتِّجاهات، فيقوى البناء وتتماسك لبناته، ويصير سكنًا لهم وعنوانًا لهويتهم وشخصيتهم. وهذا ما ينادي به بشرٌ دائمًا، وهو الحفاظ على اللغة العربية وتقويتها، ويرى أنَّ أهمَّ وسيلةٍ لتقوية لغتنا العربية وتنميتها هي التعليم و الإعلام، فالمدرسة وأجهزة الإعلام ينبغي عليهما - بسبب تأثيرهما الكبير على الفرد العربيِّ ومجتمعه - استخدام العربية الصحيحة الفصيحة[2].

أمَّا إذا نظرنا إلى أهل الاختصاص من اللغويين المحترفين، وإلى نظرتهم إلى اللغة وطرائق تعاملهم معها في الدرس والتحليل، فسنجد أنَّهم اختلفوا في تعريفها ولم يتفقوا على مفهومٍ محدَّدٍ لها؛ ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى ارتباط اللغة بكثيرٍ من العلوم - كما مرَّ سابقًا - فللمناطقة رأيٌ، وللفلاسفة رأيٌ آخر، وللأدباء رأيٌ ثالثٌ، ولعلماء النفس رأيٌ يختلفون به عن غيرهم ، ولعلماء الاجتماع رأي كذلك، ومن الطبيعي أن يكون للغويين المحترفين آراءٌ تتفق في شيءٍ و تختلف في شيءٍ آخر، وفقًا للجانب الذي تدرس اللغة من خلاله[3].

---

(1)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، ص30-31. وانظر لنفس المؤلف: اللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء62 ، رمضان ، 1408 هـ ، مايو ، 1988م ، ص132.

(2)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص30-31. وانظر لنفس المؤلف:حوارات في اللغة والثقافة الواقع والمأمول ،ص83.

(3)بشر، كمال ، فن الكلام ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،2003م ، حاشية ص41.

فهذا عبقري اللغة ابن جني (ت392هـ) يعرِّفُ اللغة في ذلك العهد الغابر من الزمن بأنَّها:" أصواتٌ يُعَبِّرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أغراَضِهِم "[1]. فالناظر في هذا التعريف يجد نفسه أمام تعريفٍ جامعٍ شاملٍ لمفهوم اللغة بالمنظور الحديث، فاللغة إذن أصوات ينتجها جهاز النطق في الإنسان، معبرًا بها عمَّا يحسُّ به من حاجاتٍ يريد بيانها والإيضاح عنها[2].

أمَّا حديثًا فقد عرَّفها سابير بأنَّها " طريقة إنسانيَّة خالصة، وغير غريزيَّة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرَّغبات بواسطة نسق من الرُّموز المولَّدة توليدًا إراديًّا "[3]. وهي " مجموعة من الأصوات، تأتلف في نسقٍ منتظم، للتعبير عن الأفكار الإنسانيَّة، وترمز إلى محسوسات الوجود الذي يعيش الفرد في وسطه "[4].

ولا شك في أنَّ أغلب المحدثين اتفقت آراؤهم مع ما جاء به ابن جني في حدِّه للغة، فهي في نظر الفريقين " نظام من الرموز الصوتيَّة الاعتباطية يتم بواسطتها التعارف بين أفراد المجتمع، تخضع هذه الأصوات للوصف من حيث المخارج أو الحركات التي يقوم بها جهاز النطق، ومن حيث الصفات و الظواهر الصوتيَّة المصاحبة لهذه الظواهر النطقية [5]".

أما بشر صاحب النظرة الاجتماعية للغة، فيرى أنَّ اللغة منحةٌ من الله تعالى للإنسان، مازه بها من سائر المخلوقات، ليتم التَّآخي بينه وبين بني جنسه. واللغة

---

(1)ابن جني، الخصائص ، ج1 ، ص33.

(2)شاهين، عبدالصبور، في علم اللغة العام، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت ، ط5 ، 1408هـ ، 1988م ، ص22.

(3)سابير، ادوارد، اللغة والخطاب الأدبي (مقالات لغوية في الأدب) ،اختارها وترجمها: سعيد الغانمي، ط1 ، 1993م ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ص7.

(4)عبدالجليل ، عبدالقادر ، التنوعات اللغويَّة ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ، 1417هـ ، 1997م ، ص147.

(5)عمايرة ، خليل أحمد ، في التحليل اللغوي مهج وصفي تحليلي، ط1 ، 1407هـ ، 1987م ، ط1 ، مكتبة المنار، ص27.

بهذا المعنى - كما يرى بشر – ملازمةٌ للإنسان ومصاحبةٌ له أينما حلَّ و أنَّى ارتحل ، تؤثِّر فيه ويؤثَّرُ بها، تمنحه ويمنحها[1].

لقد مرَّ سابقاً أنَّ اللغويين اختلفوا وتباينت آراؤهم واشتبكت في النظر إلى اللغة، من حيث مفهومها ومناهج درسها وتحليلها، ويعزو بشر هذا الاختلاف والتباين إلى أسبابٍ كثيرةٍ متنوعةٍ تكوّن في ذاتها مجموعتين اثنتين:

المجموعة الأولى: وتتمثل في العوامل والظروف التي تلفُّ الدَّارس نفسه، من نوعيَّة ثقافته ومجتمعه وحرفته أو صنعته، وطرائق تفكيره ومنهجه في النظر إلى الأمور التي يشغل نفسه بها.

أمَّا المجموعة الثانية: وتتعدَّد عواملها وتتنوَّع، ولكنَّها تتركَّز في مادة الدراسة نفسها، وهي اللغة. ومعلوم أنَّ اللغة في ظاهرها أصوات، وهي أصوات تعبر عن معانٍ، أو هي دوالٌّ لمدلولات، وهذه العلاقة مفهومة ويدركها جميع الناس، عامتهم وخاصتهم على سواءٍ، إلّا أنَّ الدارسين في هذا الشأن ليسوا سواءً. فمنهم من أخذ هذه العلاقة على أنَّها علاقة طبيعية أو ضرورية أو منطقية، ومن ثمَّ كان للمناطقة اتجاه وللعقليين مسار وللفلاسفة وأشباههم اتجاه آخر. وفريق آخر، وهم اللغويون الخلص، الذين حسموا الأمر في هذا الشأن، واستقرَّ على ما أكَّده البحث العلمي الدقيق. وهو أنَّ هذه العلاقة علاقة تقليدية عرفية[2].

أما مفهوم اللغة عند بشر، فيرى أنَّه لا بُدَّ أن يُراعى فيه جهات ثلاث: أولاها: عدم التفريق بين جوانب اللغة والاعتداد في كلِّ الأحوال باللغة المنطوقة (لا الكفاية أو الطاقة أو اللغة المكتوبة). والثانية: كون اللغة عرفية، أي تخضع للعرف والتقاليد في توظيفها وفي ربط ألفاظها بمعانيها. والثالثة: وظيفتها في المجتمع، وهي عند أصحاب هذا الرأي - وبشر منهم – وظيفة اجتماعية في الأساس[3].

---

(1)بشر، فن الكلام، ص41.

(2)بشر، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، ص40 – 41.

(3)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص156.

وعلى هذا فاللغة وبالنظر في الجهات الثلاث السابقة، "عبارة عن نظام من رموز ملفوظة عرفية، بوساطتها يتعاون أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة وبها يتعاونون. [1]".

ولكنَّ ماريو باي يرى أنَّ اللغة لا تقتصر على تلك الرموز الملفوظة، فذهب إلى أنَّ التعريفات الواسعة للغة التي قدَّمها اللغويون لا تقتصر على صورتها المتكلمة فقط، ولكنَّها - عنده - تحوي إلى جانب الصورة المتكلمة، تلك الإشارات، والإيماءات، وتعبيرات الوجه، والرُّمور من أي نوع[2].

ولا يهمل بشر هذه الرموز أو الإشارات أو وسائل الاتصال غير المنطوقة، ولكنَّه يخرجها من تعريفه هذا، ويرى أنَّ هذه اللغات لها أهميتها، وكلُّها تكوِّن موضوعاتٍ جديرةً بالبحث والدراسة، ويرى أنَّ السبب في عدم ذكرها في تعريفه السابق للغة، هو السهولة والتيسير. فهذه اللغات أو الجوانب لا تسلك المسلك نفسه الذي تسلكه اللغة المنطوقة، ولا تسير طبقًا لقوانينها. ولذلك كان من الصعب بحثها ودراستها معًا في الوقت نفسه[3].

ويرى بشر أنَّ تحديد مفهوم اللغة بمعناها العام أمرٌ سهل ميسور، وإن وقع الخلاف بين الدارسين في جوانب هذا التحديد وأبعاده. أمَّا الصعوبة فتكمن في تحديد المقصود باللغة المعينة، كالعربية فقط، أو الإنجليزية فقط، ويرى أنَّ المسألة هنا ليست مسألة خلاف بين اللغويين في تحديد اللغة المعينة، بقدر ما هي مشكلة معايير هذا التحديد ومقاييس التفريق بين لغة وأخرى، بحيث يمكن الفصل بينهما فصلًا حاسمًا من منظور الخواص المميزة لكلٍّ منهما، وبيئتهما وأهليهما ومدى فاعليتهما في المجتمع المعين، ودورهما في ربط أفراد هذا المجتمع أو ذاك

---

(1)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص156. وانظر لنفس المؤلف: دراسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، ص39.

(2)ماريو باي ، أسس علم اللغة، ص 35.

(3)بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص157.

بعضهم ببعضٍ، وقدرتهم على التعامل بهذه اللغة أو تلك وتبادل الفهــم والإفهــام بواسطتها[1].

وأوّل من حاول التفريق بين اللغة بمعناها العام ومعناها المعين، هــو العــالم السويسري فرديناند دي سوسير، فبدأ كلامه في هذا الموضوع بالتفريق بين ثلاثــة مصطلحات، هي (langage)، أي اللغة بالمعنى المطلق أو الكلام الإنساني بوجهٍ عــامٍّ، و(langue)، أي اللغـــة المعينـــة كاللغـــة العربيـــة أو الإنجليزيـــة أو الفرنسية...إلخ، و(parole)، أي الكلام أو الأداء التنفيذي للكلام[2].

فاللغة عند دي سوسير بمعناها المطلــق (langage) عبــارة عــن الميــول والقدرات اللغوية عند الإنسان بعامة، أو هي ملكة أو مقدرة وجزءٌ مــن الطبيعــة الإنسانية، وهي في الوقت نفسه اجتماعيّةٌ وفرديّةٌ معًا، وعلى هذا فهــي تتــضمن الرطانات المتعدِّدة والمتنوعة من لهجات ولغات. أمَّا اللغة المعيَّنة (langue) فهي عنده وظيفة جماهير المتكلمين في البيئة اللغوية المعينة، وهي عبارة عن مجموعةٍ من النُّظُمِ والقواعد المختزلة في عقول هذه الجماهير، واللغة بهــذا المعنـــى هـــي موضوع علم اللغة وهدفه، على العكس من اللغة بمعناها العام فهي ليــست مــن وظيفة علم اللغة وحده، أمَّا الكلام (parole) فهو وظيفة الفرد المتكلم فعلًا، وهــو عبارة عن أحداثٍ لغويَّةٍ يحدثها المتكلم وقت الكلام الفعلي[3].

وعلى ما سبق فيرى بشرٌ أنَّ اللغة المعينة ليست وظيفة الفرد المتكلم، ولكــن توجد فقط في الجماعات، وهي لذلك تمثل الجانب الاجتماعيَّ من الموضوع، فهذه اللغة لا يصطنعها الفرد وحده، بل توجد بفضل نوعٍ من الاتفــاق بــين أعــضاء المجموعة اللغوية[4].

---

(1)بشر ، علم اللغة الاجتماعي، ص158.

(2)المرجع نفسه ، ص159.

(3)دي سوسير ، فرديناند ، فصول في علم اللغة العام ، ترجمة أحمد نعيم الكــراعين ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، ص31 – 42. وانظر: بشر ، كمال ، علم اللغة الاجتماعي (مدخل) ، ص159-160.

(4)بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص160.

ويرى بشر أنَّ دي سوسير لم يصل في تفريقه هذا بين اللغة المعينـــة واللغـــة بمفهومها العام إلى الحدود الفاصلة بين لغة وأخرى، بحيث نستطيع الحكم بوضوح بأنَّ هذه هي اللغة (س) وأنَّ تلك هي اللغة (ص) مثلًا، وأنَّ كلًّا منهما لهـــا كيانهـــا الخاص المحدَّد المرسوم(1).

ويذهب بشر إلى أنَّ تحديد اللغة تحديدًا يَميزُهَا من غيرها من اللغات، تقابلـــه صعوباتٌ جمَّةٌ، من أهمِّها صعوبتان: صعوبةٌ جغرافيَّةٌ، وأخرى تتعلـــق بوســـائلِ الوقوف على خواصها المميزة لها وكيفياته. أمَّا الصعوبة الأولى فيرى بشرٌ أنَّـــه من الممكن التغلب عليها، وذلك بمحاولة الوقف على حدود هذه اللغة الفاصلة بينها وبين لغة أخرى، وهذا عن طريق الاستعانة بأعمال اللغويين الجغـــرافيين الـــذين يسعون إلى تصنيف اللغات جغرافيًّا، وبيان خطوط التوزيع والانتشار لكـــلِّ لغـــة، وهذا التحديد الجغرافيُّ للغة المعينة - في نظر بشر – يَشُوبَهُ شيءٌ من عدم الدِّقَّةِ؛ وذلك لتداخل اللغات المتجاورة بعضها مع بعض(2).

أمَّا فيما يتعلق بالصعوبة الثانية، وهي تعرُّف الخواص المميِّـــزة للغـــة الخاضـــعة للنظر، فهي الصعوبة الحقيقية؛ وذلك لأنَّ الأمر هنا يحتاج إلـــى معرفـــة دقيقـــة بخواص هذه اللغة: بنيتها وقواعدها (الصوتية والـــصرفية والنحويـــة)، وثروتهـــا اللفظية كذلك، ومن المسلَّم به أنَّ هذه المعرفة لخواص اللغة المراد دراستها تحتاج إلى مادَّة لغويَّة مستقاة من هذه اللغة، ولكن أين هذه الصعوبة؟ ونحن لم نعرف بعد عنها شيئًا، ولم ندرك أبعادها وحدودها حتى نستطيع النظر فيها وفي مادَّتها. فهذه هي الصعوبة الكبرى التي تواجه دارس اللغة عند دراسة أيِّ لغة معينـــة دراســـة بكرًا(3).

ويرى بشر أنَّ اللغة بناءٌ مكوَّنٌ من عناصر متآلفة مترابطة تكـــوِّن كلًّـــا ذا كيانٍ خاصٍّ، ولكنَّه كيانٌ لا يوظف في فراغٍ، ومن ثمَّ كان من الحتم النظـــر فـــي العلاقة بين الأصوات (البناء اللغوي)والمعاني، من زاويتين متَّـــصِلَتين، أولاهمـــا:

---

(1)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص164.

(2)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص164 – 165.

(3)المرجع نفسه، ص 165.

العلاقة الداخلية بين وحدات هذا البناء، والثانية: العلاقة بين البناء كلِّه وموقعه في المجتمع[1].

أمَّا النوع الأول من العلاقات، وهو العلاقات الدَّاخلية بين وحدات البناء، فجرى العرف على تسميتها بالعلاقات الدَّاخلية، أو السياق اللغويِّ، أو سياق المقام. والنوع الثاني من العلاقات هو العلاقة بين البناء اللغويِّ وموقعه في المجتمع، فيسمى بالعلاقات الخارجيَّة، أو السياق الاجتماعيِّ، أو سياق الحال، وهو ما أطلق عليه علماء العربية اسم (المقام) [2].

ويرى بشر أنَّه من الضروري على كلِّ دارس لغة عند دراسته أيَّ سلوكٍ لغويٍّ ينبغي أن يدرسه من هذين الجانبين: جانب العلاقات الداخلية، وجانب العلاقات الخارجية. وهو ما سار عليه نفرٌ غير قليل من اللغويين، غير أنَّ ثقافات الدَّارسين وظروف مجتمعاتهم وطرائق تفكيرهم واختلاف أهدافهم ومقاصدهم فرَّقت بين اتجاهاتهم في التعامل مع اللغة[3].

أمَّا اللغويون العرب فيرى بشر أنَّهم سلكوا الاتجاه البنيوي في تقعيدهم للغتهم، فقد جاءت آثارهم - في جملتها – على وجه يُبْرِزُ اهتمامهم الفائق بالبنية اللغوية ومادتها المكونة لها، والعلاقة بين هذه المكونات. ومن هذا المنطلق البنائي أخذوا يحلِّلون ويقعدون، واضعين في الحسبان هدفًا معيَّنًا، هو الحفاظ على هذا البناء وتحديد رسومه وتشكيل هندسته تشكيلًا دقيقًا، دون العبث بهذه الهندسة بالزِّيادة أو النَّقص أو التَّعديل، ليصبح هذا البناء نموذجًا يحتذى لا يجوز الخروج عنه[4]. هذا هو مسلك اللغويين العرب التقليديين في دراستهم للغة العربية، ولكنَّ قومًا آخرين وهم البلاغيون، شعروا بنقص هذا العلاج ، الذي عالج به اللغويون خطابهم اللغويَّ، ويرون أنَّ سبب النقص في هذا العلاج هو حرمان هذا الخطاب اللغويّ من قيمته التواصلية، ممَّا يؤدي إلى فقد أثره في المتلقين الذين تختلف

---

(1)بشر، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص32.

(2)المرجع نفسه، ص 42.

(3) المرجع نفسه، ص42.

(4)المرجع نفسه، ص43.

ثقافاتهم وأوضاعهم الاجتماعيَّة ، كما تختلف سياقات الخطاب الموجهة إليهم زماناً ومكاناً. فجاءت جهود البلاغيين مُرَكِّزَةً - في جملتها – على النظر في العلاقات بين البناء أو الخطاب، ومقاماته وسياقاته الاجتماعية، لإيمانهم بأنَّ الخطاب لا يُلقَى في فراغٍ، وإلَّا ما كان خطابًا. وهذا ما نصَّ عليه البلاغيون من وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال(1).

وليس يعني اهتمام البلاغيين بالعلاقات الخارجية (البناء وموقعه في المجتمع) اهمالهم الجانب الأساسيِّ من العلاقات، وهي العلاقات الداخلية بين وحدات البناء أو الخطاب. بل إنَّها في حسبانهم، ولم يغفلوا عنها لمحة بصر، فقد كانوا في كثير من الأحيان يعتمدون على ما قرَّره زملاؤهم من اللغويين الموسومين عرفًا بالنحاة(2).

ويتوصَّل بشر من خلال ما سبق إلى أنَّه بوسعنا - ولو بشيءٍ من التأمل وعمق الرؤية – أن نصل إلى تشكيل نظريَّةٍ لغويَّةٍ عربيَّةٍ متكاملةٍ، تضمُّ جوانب التفكير اللغويِّ عند العرب، دون تفريق أو فصل تعسُّفيٍّ، كما هو قائم الآن بين الفريقين: الفريق المهتم بصحة الكلام وسلامته (وهم النحاة التقليديون)، والفريق المهتم بتجويد هذا البناء، وبتعديله أو النظر في وحداته ولبناته ؛ ليكون ملائمًا وصالحًا للتوظيف في بيئته الاجتماعية المتغيِّرة والمتجدِّدة في الزمان والمكان (وهم المسمون عرفًا بالبلاغيين).

ويرى بشرٌ - وبناءً على ما سبق - أنَّ النحاةَ لغويُّون بنيويّون في الأساس، والبلاغيون لغويون اجتماعيون من حيث المبدأ والمنطق الأصليِّ لعملهم. ويرى كذلك أنَّ الفريقين بهذه النظرة متكاملان وأفكارهما متلاقية، تجري في ساحةٍ واحدةٍ وترمي إلى هدفٍ واحدٍ، هو تحليل اللغة و وضع ضوابطها البنائية والاجتماعية معًا. ويقرِّرُ أنَّه وبضمِّ أفكار الفريقين وتصنيفها تصنيفًا جديدًا، ووضعها في سلسلةٍ من حلقات متصلات، بوصفها لبناتٍ متناسقةً ملائمًا بعضُها بعضًا، يمكن لنا في النهاية الخروج بنظريَّةٍ لغويَّةٍ متكاملةٍ، ترشِّح نفسها لتأسيس

---

(1)بشر، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، ص44.

(2)المرجع نفسه، ص44.

علم له كيانه الخاص المُمَيَّز، هو (علم اللغة العربية) أو (علـــم اللغـــة العربـــيِّ). ويؤكد بشرٌ أنَّ هذا العلم اكتملت فيه وله جوانب النظر إلى اللغة: الجوانب البنائية، والجوانب الاجتماعية، وبهذا يُسَوِّغُ بشرٌ نعته أيضًا (بعلم اللغة الاجتمـــاعي عنـــد العرب) [1].

وفي النهاية يتوصل بشرٌ إلى " أنَّ اللغة ليست مجموعـــة مـــن الأصـــوات أو الكلمات التي يلقيها الفرد حيثما شاء وأنَّى أراد ، ولكنَّها فـــي جوهرهـــا خلاصـــة التجارب والتقاليد والمثل التي تسود المجتمع الذي ينتمي إليه هذا الفرد." [2]

ويذهب أنيس فريحة المذهب نفسه إذ إنَّ اللغة عنـــده " ظـــاهرةٌ بـــسيكولوجيَّةٌ اجتماعيةٌ ثقافيةٌ مكتسبةٌ ، لا صفة بيولوجيَّة ملازمة للفرد. تتألف مـــن مجموعـــة رموزٍ صوتيَّةٍ لغويَّةٍ اكتَسَبَتْ عن طريق الاختيار معاني مُقَرَّرَةً في الذهن، وبهـــذا النظام الرمزيِّ الصوتيِّ تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل. [3]"

ويؤكد فريحة صحة وجهة نظره وهي أنَّ اللغةَ ظاهرة سيكولوجية اجتماعيـــة، بأنَّ الطفل إذا فصم عن المجتمع فإنَّه لن يتكلم ، بل ينطق بأصوات غيـــر لغويَّـــة كسائر الحيوانات، قد يكون لها معانٍ. ويرى كذلك أنَّ الطفل إذا نشأ فـــي محـــيطٍ غير محيطه فإنَّه يكتسب لغة القوم الذين يعايشهم[4].

وقد عقد بشر من خلال حديثه عن اللغة العربية الفصحى في زمننا الحاضـــر، مقارنةً بين مفهومها في الزمن الماضي، ومفهومها في الزمن الحاضر، فيـــرى أنَّ عربية اليوم تختلف اختلافًا واضحًا بيِّنًا عن عربية القـــرون الـــسابقة. ويـــرى أنَّ الأولى ليست إلا نوعًا من الاستمرار للثانية، أو أنَّها صورةٌ من صـــورها، هـــذه

---

(1)بشر، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، ص 44-45.

(2) المرجع نفسه ، ص61.

(3)فريحة ، أنيس ، نظريات في اللغة ، دار الكتاب اللبنـــاني ، بيـــروت ، ط2 ، 1981م ، ص14.

(4)المرجع نفسه ، حاشية ص 14.

الصورة احتفظت بمجموعة من الخواص الأساسية للغة الأصل، ولكنَّها انفــردت عنها وتميَّزَت منها بخواصَّ أخرى جديدةٍ[1].

لذا يفضل بشرٌ تسمية اللغة العربية الملتزمة بالقواعد والأنظمــة فــي زمننــا الحاضر بــ(العربية المعاصرة) ويُعَرِّفُها بأنَّها لغة الأدب الجيد، نثــره وشــعره، وهي لغةٌ مكتوبةٌ في الأغلب الأعم، من مثل لغــة المؤلفــات العلميــة، والكتــب الجامعية، والمجلات الأدبية، والصحف اليومية، وغير ذلك[2].

يلحظ مما سبق - من خلال حديث بــشر عــن اللغــة وماهيتهــا - النِّزْعَــة الاجتماعية التي غلبت على تفكير بشر اللغويِّ - بالإضافة إلى نَزعَتِه الصوتية -، فهو دائمًا يربط اللغة بالمجتمع، فكأنَّ المجتمع هو البستان الذي تُغْرَسُ فيه البــذور اللغوية، فتخرج ثمارُها يانعةً بفعل التفاعل الاجتماعيِّ الذي يعد بمنزلة الفلاح الذي بَذَرَ هذه البذور، وقام على رعايتها، وعكف على تغذيتها، وعمل على اختيار أنجع السبل ليكون النَّاتِجُ أو المحصول في غاية الجودة.

ونخلص كذلك إلى أنَّ بشرًا نادى وينادي إلى تشكيل نظريَّةٍ لغويَّةٍ عربيَّةٍ، تقوم على خلاصة جهود اللغويين (النحاة) وجهود البلاغيين، تكون هذه النظرية اللغوية نظريَّةً مُتَكَامِلَةً، ترشح نفسها لتأسيس علمٍ له كيانه الخاص، الذي أطلق عليه بــشر اسم (علم اللغة العربية) أو (علم اللغة العربيِّ).

4.3 نشأة اللغة:

يرى كثيرٌ من الباحثين أنَّ البحث في نشأة اللغة متجذِّرٌ في العرف البــشريِّ عامةً، وهو بحكم ذلك قد كان من المشاغل الأمَّهات في تاريخ الفكــر اللغــوي[3]. (1) فقد كرَّس كثيرٌ من دارسي اللغة جهودهم للوصول إلى أصــل هــذه اللغــة،

---

(1)بشر، دلاسات في علم اللغة، القسم الثاني ، ص123.

(2)بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص124.

(3)المسدي، عبدالسلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية،الدار العربية للكتــاب، تــونس، 1981م، ص57. وانظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القــاهرة، ط5 ، 1998، ص 18.

فأخذوا يدرسون اللغة التي تُتَكَلَّم والتي تكتب، ويتتبعون تاريخها من خلال مساعدة أقدم الوثائق التي كشف عنها، ولكنَّهم " مهما أوغلوا في هــذا التــاريخ، فــإنَّهم لا يصلون إلَّا للغاتٍ قد تطوَّرت وتركت خلفها تاريخًا ضخمًا لا نعرف عنه شيئًا "[1].

ولا حاجة بنا هنا لاجترار ما سبق وإنْ اجترَّه غير باحثٍ، حول هذه القــضية الشائكة، إذ إنَّ العلماء في أوائل القرن العشرين بدأوا ينصرفون عن هذا النوع من البحث، ويرون أنَّه من مسائل ما وراء الطبيعة، وأنَّ لا جَدْوى مــن الاســتمرار به[2]. لذلك أكتفي هنا بذكر نظريات نشأة اللغة بشكلٍ موجزٍ، دون الإطالــة غيــر المفيدة في هذا المقام، وهذه النظريات هي:

1 – التوقيف أو الإلهام:

ومعناها أنَّ نشأة اللغة من عند الله تعالى، أي أنَّ الله تعالى عَلَّــمَ آدمَ اللغــة، وعَلَّمَ آدمُ بدوره ابنَه، وهكذا حتى انتشرت في الأرض. ودليلهم على صــحة هــذا الرَّأي قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها) [3] .

ويعد القول بالتوقيف أو الإلهام من أقدم الآراء التي قيلت في نشأة اللغــة، إذ يذكر السيوطي (ت911هـــ) أنَّ معظم الصحابة والتابعين يقولون بهذا الــرَّأي [4]. ومن أهم من قال بهذا القول من علماء اللغة: أبو علي الفارسي (377هـــ)، وابــن جني (392هـــ) الذي قوي في نفسه كون اللغة توقيفًا من الله تعالى وأنها وحيٌ[5]. و أحمد بن فارس (ت 395هـــ) [6]، وغيرهم.

---

(1)فندريس ، اللغة ، ص29.

(2)أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص13.

(3)البقرة ، آية (32)

(4)السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شــرحه وضــبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى، وآخرون، دار إحياء الكتــب العربيــة، 1958، ج1، ص27.

(5)انظر: ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 40.

(6)ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي ، الصاحبي فــي فقــه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم ، حققه وضبط نصوصه وقدَّم له عمــر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط1 ، 1414هـــ ، 1993 م ،ص 36.

2 – الاصطلاح:

ويرى أصحاب هذا الرأي أنَّ اللغة إنَّما نشأت على أيدي البشر ، نشأت عندما أراد بنو البشر التفاهم والتواصل فيما بينهم ، فهي مواضعة أو اتفاق بين الناطقين بها ، بحيث كان ارتجال الألفاظ أساسًا في بناء اللغة(1). ومعظم أصحاب هذا الرأي من المعتزلة الذين استمدُّوا أدلتهم من المنطق العقليِّ. (2).

ويفسر ابن جني معنى المواضعة أو الاصطلاح عند من قال بهذا الرأي، بقوله: " وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدًا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعون لكلِّ واحدٍ منها سمةً و لفظًا، إذا ذكر عُرِفَ به ما سَمَّاه، ليمتاز من غيره، وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين........ فكأنَّهم جاءوا إلى واحدٍ من بني آدم فأومؤا إليه، وقالوا: إنسان إنسان إنسان، فأيَّ وقتٍ سُمِعَ هذا اللفظ عُلِمَ أنَّه المراد به هذا الضرب من المخلوق" (3).

3 – المحاكاة لأصوات الطبيعة:

ويرى أصحاب هذا الرأي أنَّ منشأ اللغة إنَّما هو من المحاكاة لأصوات الطبيعة، من حيوانٍ، ونباتٍ، ومكوناتٍ طبيعيَّةٍ أخرى، ثُمَّ أخذت هذه الألفاظ الناتجة عن هذه المحاكاة بالتطور والتوسع حتى صارت على ما صارت عليه. " فالإنسان سمَّى الأشياءَ بأسماء مُقْتَبَسَةٍ من أصواتها، أو بعبارة أخرى أن تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليدٍ مُباشِرٍ لأصواتٍ طبيعيَّةٍ صادرةٍ عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياءَ. (4)".

---

(1)الضامن، حاتم صالح، علم اللغة، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ص96.

(2)أنيس، دلالة الألفاظ ، ص17.

(3)ابن جني، الخصائص، ج1 ، ص44

(4)الضامن، علم اللغة، ص97. وانظر: عبدالتواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص112.

هذه نظريات نشأة اللغة كما يراها علماء العربية، ولكنَّ الحديث جاء هنا بشكلٍ مختصرٍ؛ وذلك لعدم التكرار والإطالة، ولكثرة البحوث التي تناولت هذه القضية ، ولكن دون جدوى، ودون وصولٍ إلى نتيجةٍ مقنعة[1].

أما بشر فقد ذهب إلى " أنَّ تاريخ اللغة أو أصلها ونشأتها مرتبطٌ كلَّ الارتباطِ بأصل الإنسان ونشأته، وهو أمرٌ لم يزل عصيًّا تَعَرُّفُهُ والتأكد من حقيقته على وجه علميٍّ خالٍ من الحَدْسِ والتخمين. "[2] إذ يرى أنَّ هذا الموضوع شغل الدارسين قديمًا وحديثًا، وأخذوا يتحاورون ويتجادلون بـآراءٍ ونظرياتٍ مُخْتَلِفَةٍ تتقابل أحياناً وتفترق، بل تتعارض أحيانًا أخرى ، فالدارسون في حيرة من أمرهم حول هذا الموضوع[3].

ويذهب بشرٌ إلى أنَّ غالبية هذه النظريات قديمها وحديثها لم ترشح نفسها للقبول من وجهة النظر العلميِّ؛ لاعتمادها على الافتراض والتخمين، أو التصور والخيال الجامح النابع من ذوات القائلين بهذا الرأي أو ذاك. ومن أهمِّ المشاكل التي واجهت هؤلاء لتأصيل نظرياتهم وطرحها افتراضات أو احتمالات علمية، فقدان الحقائق التاريخية المكنونة في غموض واختلاط في بطون الزمن الطويل[4].

وهذا ما ذهب إليه أنيس فريحة، إذ يرى أنَّ " معرفتنا بتاريخ الإنسان قبل التاريخ المدون قد ازدادت في القرن الأخير. ولكن رغم تقدم معارفنا في هذا

---

(1)للاستزادة في موضوع نشأة اللغة ، انظر:
- ابن جني ، الخصائص ،ج1 ، ص39.
- وافي ، علي عبدالواحد ، علم اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط9، الفجالة ، القاهرة ، ص80 – 167.
- أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص13-37.
- فندريس ، اللغة ، ص29-42.
- ماريو باي ، لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها ، ترجمة صلاح العربي ، قسم النشر بالجامعة الأمريكية ، القاهرة ، 1970 ، ص17 – 24.

(2)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص45 – 46.

(3)المرجع نفسه ، ص45 – 46.

(4)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ،ص46.

الحقل ، فإنَّ أصل الإنسان ونشأته من حيوانٍ أبكمٍ إلى حيوانٍ ناطقٍ، من حيوانٍ لا يعقل إلى حيوانٍ عاقل، لا يزال مُكتَنَفًا بحُجْبٍ من الأسرار، ولكي نهتك هذا الحُجْبَ علينا أن نرجع إلى عهودٍ سحيقةٍ في القدم لا نعلم عنها شيئًا علمًا يقينًا، والعلم لا يعترف بشيءٍ اسمه حَدْسٌ أو خيالٌ، ولا يأخذ بشيءٍ اسمه غيبياتٌ، إلا إذا كانت افتراضاتٌ قيد البرهان. [1]".

ويذكر بشرٌ أنَّ (الجمعية اللغويَّة) بباريس قد حَظرَتْ الدخول في هذه المتاهة سنة 1886م، متاهة الكلام على أصل اللغة الإنسانيَّةِ ونشأتها، إذ ليس لهذا الكلام مردودٌ علميٌّ يُنتَفَعُ به، بالإضافة إلى ضياع الوقت والجَهْدِ[2]. بل وتعدى هذا الحظر إلى أنَّ بعض الدارسين عدَّ البحث في أصل اللغة ونشأتها قضيَّةً غير لغويَّةً، ولا يدخل في نطاق علم اللغة، بل في نطاق البسيكولوجيا و الانثروبولوجيا والفلسفة[3].

لهذا يرى بشرٌ أنَّ تناول هذه القضية جديرٌ بأن يسقط من حسبان اللغويين المحدثين، وإن جرت العادة على مناقشة مثل هذه القضية. فتناولها على أساس أنَّ هذه المسألة إنَّما هي من باب المُقدِّمات العامة التي قد تمهد للعمل الأصليِّ، والتي ربَّما يكون في عرضها وتقديمها فائدةٌ للمُبْتَدِئين في العلم ، أو ذوي الثَّقافات المحدودة في الدراسات اللغوية[4].

أمَّا نظريات نشأة اللغة فتتركَّزُ - في نظر بشر – في ثلاث نظرياتٍ معيَّنَةٍ، لها أصول قديمة، وظلت قابلة للنظر والمناقشة حتى الآن، وهذه النظريات هي المذكورة سابقًا: (التوقيف أو الإلهام، والاصطلاح أو المواضعة، والمحاكاة لأصوات الطبيعة).

---

(1) فريحة ، نظريات في اللغة ، ص15.

(2) بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص 46.

(3) فريحة ، نظريات في اللغة ،ص 15. وانظر: السعران ، علم اللغة ، ص53.

(4) بشر ، دراسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، ص 14.

أوَّلًا: المحاكاة:

أوَّل ما تحدَّث بشرٌ - في حديثه عن نشأة اللغة - عن هذه النظرية ، ويرى أنَّ هذه النظرية هي ما يشار إليها بنظرية المحاكاة الصوتيَّة ، بمعنى أنَّ الألفاظ بأصواتها وصفيَّةٌ مُعَبِّرَةٌ - نوع تعبيرٍ – عن معانيها ، وذلك لمطابقة هذه الأصوات لأصوات المَدلولِ، أو مشابهتها له قليلًا أو كثيرًا[1].

ويرى أنَّ هذه النظرية كانت شائعةً في القديم بين بعض الدارسين، وإن كان يُشارُ إليها الآن من وقتٍ إلى آخرٍ على ضربٍ من التفكُّهِ، أو مذاكرة ما كان يجري في الأسواق الأدبية في العصور الغابرة[2]. فهذا ابن جني في القديم ينادي بهذه النظرية ويستحسنها، إذ يقول: " وذهب بعضهم إلى أنَّ أصلَ اللغات كُلِّها إنَّما هو من الأصوات المسموعات، كَدَوِيِّ الريحِ، وحنينِ الرَّعْدِ، وخَريرِ الماءِ، وشَحيجِ الحمارِ، ونَعيقِ الغُرابِ، وصَهيلِ الفَرَسِ، ونَزيبِ الظَّبْيِ، ونحو ذلك. ثُمَّ ولِّدَتْ اللغاتُ عن ذلك فيما بعد." [3]ومما يؤكد أخذ ابن جني بهذه النظرية واستحسانها عنده ، قوله:" وهذا عندي وجهٌ صالحٌ ومَذْهَبٌ مُتَقَبَّلٌ. [4]".

ولكنَّ بشرًا يرى أنَّ هذا القول مُوغِلٌ في المبالغة والتعميم، ويرى أنَّه إن صحت مصداقيته، إنَّما ينطبق على عددٍ مَحْدُودٍ من الألفاظ التي تحاكي أصواتها أصوات الطبيعة، أو المَدْلولات المُعَبَّرِ عنها بهذه الألفاظ، وهو أمرٌ واردٌ في مُخْتَلَفِ اللغات. ويعطي بشرٌ أمثلةً على هذه النظرية، مثل: قَهْقَهَ، و قَعْقَعَ لصوت السَّيفِ، و قَرْقَرَ لصوتِ البطنِ، وقَوْقَأَ لصوت الدَّجاجِ،.... إلخ. وهذه الألفاظ وأمثالها، كُلُّها أو جُلُّها، إنَّما هي - في رأي بشرٍ – من صنع الإنسان وابتكاره، تعبيرًا عن انطباعاته الذاتيَّة، وأحاسيسه الشَّخصيَّة تجاه المَدْلولاتِ، ومن ثُمَّ جاءَ بِدَوالِّهِ (ألفاظه) موائمَةً في نَسجِها الصوتي لهذه المَدْلُولاتِ[5].

---

(1)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص 47.

(2)المرجع نفسه ، ص47.

(3)ابن جني ، الخصائص ، ج1 ،ص46-47.

(4)المرجع نفسه ، ج1 ، ص 47.

(5)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص 47 – 48.

ثانيًا: التوقيف:

أو ما يشار إليه أحيانًا بنظريَّة الأصل الإلهيِّ أو المقـدَّسِ، فيـرى بـشرٌ أنَّ معناها أنَّ واضع اللغة الإنسانيَّةِ هو الله تعالى، وأنَّ الإنسان لم يكن له فضلٌ فـي وضعها أو ابتكارها. وقد يتسَمَّحُ البعض في تفسير (التوقيف) ويرى أنَّ اللغة كانت في بدايتها توقيفًا بالمعنى المذكور، ثُمَّ صارت مواضعةً فيما بعد. وهذا الرأي عند بشر ما هو إلَّا صدىً لظاهر بعض النصوص الدِّينيَّةِ الواردة في هذا الشأن[1].

ثالثًا: نظريَّةُ الاصطلاح:

أما نظرية الاصطلاح، فهي عند بشر - كغيره – تدلُّ علـى أنَّ اللغـة مـن وضع الإنسان نفسه، ويرى أنَّ أصحاب هذا الفريق قد فسَّروا قوله تعالى: (وعَلَّـمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها) [2] بأنَّه يعني أنَّ الله تعالى ألهم آدم إلى وضـع اللغـة، أو أنَّـه وضع فيه الطاقة والاستعداد لأن يبتكر لنفـسه لغـةً، يتواضـع النَّـاسُ عليهـا، ويصطلحون فيما بينهم على استعمالها[3].

5.3 اللغة وعلاقتها بالفرد والمجتمع:

أمَّا علاقة اللغة بالفرد والمجتمع، فقد تناولها بشر بشكلٍ مفصَّلٍ ومُطَوَّلٍ، فـي كتابه (علم اللغة الاجتماعي - مدخل-)، والذي يفيد الدِّراسة في هذا المقـام هـو جهوده وآراؤه التي اختصت بالحديث عن علاقة اللغة بالفرد والمجتمع.

فيرى بشرٌ أنَّ " اللغةَ منطوقةً ومكتوبةً تضع للإنسان حاجاته بين يديه، وتغنيه - في كثير من الحالات - عن عناء البحث عن الخبرة أو محاولة اكتشاف الأشياء بنفسه، إذ هي تلقي إليه بضالته في يُسْرٍ وسهولةٍ، متى وظَّف سـماعه وقراءتـه توظيفًا راشِدًا." [4]ويخصُّ بشرٌ اللغة المكتوبة في هذا المقـام - مقـام الخبـرة أو اكتشاف الأشياء – فلها فضلٌ لا ينكر في نقل المعلومات من جيلٍ إلى جيلٍ، فكـلُّ

---

(1)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، ص 48.

(2)البقرة ، آية (32)

(3)بشر ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، ص 48 – 49.

(4)بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص 21.

خبرات الماضي ومعارفه وصنائعه وحِرَفِهِ وثقافته وفنونه وعلومه، تصلنا هديَّةً مجانيَّةً من السابقين - كما يرى بشر – بفضل هذه اللغة المكتوبة[1].

فاللغة خاصَّةٌ من خواصِّ الإنسان، بل هي "الإنسان نفسه بما ينتظمه من خواصَّ وعوامل من أنواعٍ شتَّى، لا يعرفها إلَّا مَانِحُها وهو الله سبحانه وتعالى "[2] هذه اللغة تعيش بالإنسان ومعه أينما حلَّ وأنَّى ارتحل ، إذ هي نشاطٌ اجتماعيٌّ تسمح لنا بالاتصال بعضنا ببعضٍ ، والاتصال بذاته نشاطٌ اجتماعيٌّ، ومادامت اللغة هي وسيلة هذا النشاط فمن الطّبيعيِّ عَدَّها نشاطًا اجتماعيًّا. [3]

إذن فاللغة تصاحب كلَّ نشاطٍ إنسانيٍّ يشتركُ فيه إثنان أو أكثر، وعلى ذلك لا وجود للغة دون وجود الإنسان ، أو المرسل والمستقبل في عمليَّة تبادل الكلام، فاللغة امتدَّت حتى طالت جميع مجالات الحياة البشريَّة بدون استثناء أو تمييز [4].

ويؤكد ما سبق قول فندريس، " في أحضان المجتمع تكون اللغة. وجدت اللغة يوم أحسَّ الناسُ بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم.وتنشأُ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرُّفِهم. [5]".

ويرى بشرٌ أنَّ اللغة لا تستعمل للتعبير عن الأفكار بقدر ما تستعمل بوصفها وسيلةً للتعاون و الترابط الاجتماعيِّ. ويؤكِّدُ أنَّ اللغة ذات قوَّةٍ سحريَّةٍ في المجتمعِ الذي تنمو في أحضانه، والذي تحفظ له كيانه ونظامه، وإذا كانت اللغة تعبر عن الأفكار والعواطف ونحوها، فهذه وظيفةٌ ثانويَّةٌ[6].

---

(1)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص 21-22. وانظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 39.

(2)بشر ، اللغة بين الوهم وسوء الفهم ، ص92.

(3)هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، ص183. وانظر: بشر، علم اللغة الاجتماعي ، ص26.

(4)ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ص40. وانظر: نهر ، هادي ، علم اللغة الجتماعي عند العرب ، الجامعة المستنصريَّة ، ط1 ، 1408هـ ، 1988م ، ص18.

(5)فندريس ، اللغة ، ص35.

(6)بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص30.

ومن هنا يُلاحَظُ أنَّ بشرًا يجعل وظيفةَ اللغةِ وظيفةً اجتماعيَّةً في أساسها، بغضِّ النَّظَرِ عمَّا تقوم به اللغة من مهام أخرى، من مثل: توصـــيل الأفكـــار، وقـــضاء حاجات الإنسان العقليَّة والجسديَّة، وغير ذلك.

أمَّا العلم الذي يختصُّ بدراسة اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع فهو ما يـــشار إليه بالمصطلح (علم اللغة الاجتماعي - Sociolinguistics) ، وليس المقصود به أنَّه تركيبةٌ أو توليفةٌ من علم اللغة وعلم الاجتماع ، أو أنَّه مَزْجٌ لهمـــا أو تجميـــعٌ لقضاياهما ومسائلهما، ولكنَّه ذلك العلم الذي يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع. إنَّه ينتظم كُلَّ جوانبَ بنيةِ اللغة، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعيَّـــة والثقافيَّة[1].

ولعلم اللغة الاجتماعيِّ أهميَّةٌ بالغةٌ في دراسة اللغة، "فكثيرٌ من التَّقَـــدُّمِ الـــذي أحرزته الدِّراسات اللغويَّة حديثًا راجعٌ إلى الاستعانة بحقائقَ من علم الاجتمـــاع ، وإلى وصل دراسة اللغة بدراسة المجتمع. [2]".

ويرى بشرٌ أنَّ دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع حقلٌ واسعٌ عريضٌ إلى أبعد الحدود؛ لذلك يرى أنَّ استخدام مصطلحٍ أو اسمٍ وحيدٍ عنوانًا لهذه الدِّراسة فيه نوعٌ من التَّضليل، إذا فُسِّرَ هذا المصطلح أو الاسم تفسيرًا حرفيًّا، وهذا بـــدوره ينفـــي أحقيَّةَ علمٍ واحدٍ للقيام بهذه المسؤولية وتولِّي شئونها، ويرى بشرٌ أنَّ هناك بعـــض التَّسميات التي يتفق بعضها في المضمون بشكلٍ أو آخر مع علم اللغة الاجتماعي، ويختلف في المنطوق ، وهي:

1 – علـــم اجتمـــاع اللغـــة أو علـــم الاجتمـــاع اللغـــويِّ(The sociology of linguistics).

2 – علم الأنثروبولوجي، إو الأنثروبولوجيا(Anthropological Linguistics).

3 – علم اللغة الأنثولوجي (Ethnolinguistics) [3].

---

(1)بشر ، علم اللغة الاجتماعي، ص41. وانظر لنفس المؤلف: التفكير اللغوي بـــين القـــديم والجديد ، ص52. وانظر: هدسن ، علم اللغة الاجتماعي ، ص16.

(2)السعران ، علم اللغة ، ص 69.

(3)بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص41.

أمَّا علم اجتماع اللغــة أو علــم الاجتمــاع اللغــويِّ (the sociology of linguistics) - وهو محور الحديث هنا -، فمصطلح دَرَجَ بعضُ الدَّارسين على استعماله كما لو كان مُرادِفًا للمصطلح (علم اللغة الاجتماعيِّ)، بمعنى أنَّهما يطلقان بالتَّبادل على شيءٍ واحدٍ أو فَرْعٍ واحدٍ من الدَّرسِ اللغويِّ الاجتماعيِّ، أو الاجتماع اللغويِّ. ويرى بشرٌ أنَّ الفرقَ - وإن كان فرقًا بين المصطلحين فقط - هنا فــرقٌ في درجة الاهتمام ؛ أي أنَّ الفرق بين المدلولين يظهر في التركيز علــى جانــبٍ دون آخر، كالاهتمام بالجانب اللغويِّ، أو الجانب الاجتماعيِّ. ومهما يكن من أمــر هذا التفريق، فإنَّ هناك نقاط التقاء كثيرةً بين موضوعات المبحثين ، ومن هنا يرى أنَّه ليس من الضروريِّ التفريــق بينهمــا، حيــثُ إنَّ بينهمــا تــداخلًا وتــشابكًا واضحين[1].

ويذهب هدسون نفس الاتجاه، من أنَّ الاختلاف بين (علم اللغة الاجتمــاعيِّ) و (علم الاجتماع اللغويِّ) ليس خلافًا في العناصر، وإنَّما في محور الاهتمام. ويستند ذلك إلى الأهمية التي يوليها الدَّارسُ، أهي للغة أم للمجتمع، وإلى مدى مهارته في تحليل البنية اللغويَّة أو الاجتماعيَّة[2].

أمَّا بشرٌ فيُفَضِّلُ الأخذ بالمصطلح (علم اللغة الاجتماعيِّ)، إذ هو الأشيع فــي الاستعمال، والأكثر استقرارًا، ولأنَّه ألصقُ بعمل اللغويين ســواءٌ أُخِــذَ بــالتفريق المذكور أو لم يُؤخَذَ، ويرى أنَّه لو تمَّ الأخذُ بالمصطلح (علم الاجتماع اللغــوي) " لوجدنا أنفُسَنا شئنا أم لم نشأ نسبحُ في بحرٍ واســعٍ مُتَرَامــي الأطــراف، ومُعَقَّــدِ الموضوع"[3]

ومن المشكلات التي تواجه علم اللغة الاجتماعي، على ســبيل التمثيــل لا الحصر:

1- التنوعات اللغوية في المجتمع الواحد، وموقــع هــذه التنوعــات مــن اللغــة النموذجية أو المشتركة، أو الفصحى في حالة العربية.

---

(1)بشر ، علم اللغة الاجتماعي، ص41-42.

(2)هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، ص22.

(3)بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص43.

2- التواصل اللغويُّ بين الأمم أو الجماعات التي تستخدم لغاتٍ مختلفةً.
3- المشكلات التي تسبِّبُها الثنائيَّةُ أو التَّعدُّديَّةُ اللغويَّةُ في الوطن الواحد.
4- مشكلات تعامل الأفراد لغويًّا، طبقًا للظروف والمناسبة والحالة وعلاقة اللغة بالثقافة(1).

ويرى بشرٌ أنَّ علم اللغة الاجتماعيِّ ليس بمقدوره منفردًا أن يصل إلى حلولٍ جذريَّةٍ لهذه المشكلات وما شابهها، ولكنَّه في الوقت نفسه سبيلٌ فعَّالٌ من السبل التي تتضافر فيما بينها للوصول إلى نوعٍ مقبول من هذه الحلول، فهو في أضعف حالاته قادرٌ على أن يَمُدَّنا بمعلوماتٍ أوَّليَّةٍ من شأنها أن تُعَيِّنَ الفردَ وإمكاناتِهِ اللغويَّةَ: ماذا يستطيع أن يقول، وكيف يقول، وما وسائل هذا القول، ومَن الذي يُخَاطِبهُ، ومتى وأين؟(2)

إذن لا غنى بأيِّ حالٍ لدارس اللغة في علاقتها مع المجتمع عن انجازات علماء الاجتماع وإمداداتهم، فدور علم اللغة الاجتماعيِّ هو تنميط استعمالات اللغة اجتماعيًّا، وهذا التنميط وما يتعلَّق به من ظواهرَ لغويَّةٍ أو اجتماعيَّةٍ يمكن أن يسير في اتِّجاهين: اتِّجاه يسلكه اللغويون، وآخر يتَّبعه علماء الاجتماع(3).

وعلى الرغم من حداثة البحث في هذا الجانب - جانب اللغة وارتباطها بالمجتمع -، إلَّا أنَّنا نجد اهتمامًا كبيرًا من علماء العربية بهذا الجانب ، إذ " إنَّ لعلماء العربية نظرةً اجتماعيَّةً إلى اللغة ، ظهرت آثارُها في أعمالهم نظرًا وتطبيقًا." (4)

ومما يؤكد هذا الإدِّعاء ما جاء عن العرب من أنماطٍ لغويَّةٍ جرى تحليلها وتفسيرها بنظرةٍ اجتماعيَّةٍ؛ بالاعتماد على المقام، منها على سبيل التمثيل: النداءُ،

---

(1) بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص47.
(2) المرجع نفسه، ص47.
(3) المرجع نفسه، ص 48.
(4) المرجع نفسه، ص79.

والتحذيرُ، والإغراءُ، والنعتُ المقطوع، والحذفُ، والتوكيدُ[1]. ونأخذ هنا مثلًا واحدًا من هذه الأنماط - على سبيل الاختصار – وهو النعت المقطوع.

فالنعت المقطوع عن منعوته كما قرَّرَ النُّحاةُ يرفع على إضمار مبتدأ، أو يُنصب على إضمار فعل، نحو:" مَرَرْتُ بزَيْدٍ الكَرِيْمُ، أو الكَرِيْمَ"، أي: هو الكريمُ، أو أعني الكريمَ[2].

أمَّا بشرٌ فينظر في هذا النمط اللغويِّ نظرةً مغايرةً ، إذ يرى أنَّ هذا النمط من التعبير غير مقبول إذا أُخِذَ على ظاهره؛ ذلك أنَّ المتكلِّم العادي العارف بلغته والمدرك لقواعدها لا يسلك هذا المسلك، إلَّا إذا كانت له مندوحةٌ يُسَوِّغُها ما في نفسه من قصدٍ موافقٍ لواقع الحال، وإلَّا يكن الأمر كذلك عُدَّ كلامه من باب الخطأ المحض.

أمَّا التفسير المنطقيُّ لهذا النَّمط اللغويُّ، فيذهب بشر إلى أنَّه لا يمكن استساغته أو فهمه فهمًا صحيحًا إلَّا إذا أخذناه عنصرًا من عناصر مقام معين يقتضي هذا البناء. ويذهب إلى أنَّ قولنا: مَرَرْتُ بِمُحَمَّدٍ الكَرِيم - بالرفع والنصب – مكوَّنٌ من جملتين بينهما فاصلٌ صوتيٌّ، نفرض أنَّه سكتةً خفيفةً (pause) أو وقفةً قصيرةً (silence - stop) وذلك مراعاةً لحال السامع. ويفسر بشرٌ هذه المراعاة بقوله:" فقد يحدث عندما يقول المتكلم (مَرَرْتُ بِمُحَمَّدٍ) دون أيَّة إضافةٍ أخرى، أن يستشعر من السامع شيئًا من الغموض أو الشَّكِّ أو عدم الإدراك التَّام لمقصوده، ومن ثُمَّ يُتْبِعُ جُمْلَتَه الأولى بما يزيل هذا الغموضَ أو الشَّكَّ ، فيقول: (الكريمُ أو الكريمَ) قصدًا إلى التوضيح وتأكيد مقصود الرِّسالة[3].

إذن فأسلوب النعت المقطوع يرتبط بمواقفَ حيَّةٍ ذات سماتٍ خاصَّةٍ، أهمها حالة المتلقي (السامع)، وهي حال تستلزم مزيدَ بيانٍ أو توضيح، ومن ثمَّ لا يمكن الاكتفاء (من جهة المتكلم) بجملته الأولى (مَرَرْتُ بِمُحَمَّدٍ)بل لا بُدَّ له من إضافة

---

(1)بشر ، علم اللغة الاجتماعي، ص 98 – 114.

(2)ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج3 ، ص204.

(3)بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص106.

كاشفةٍ متمثِّلةٍ فيما سمَّوه النعت المقطوع. وعلى هذا فالتحليل اللغويُّ لهذا الأسلوب لا يتم ولا يكون إلَّا بربطه بمقامٍ ينتظمُ بجانبي الرِّسالةِ (مُرسِلًا ومُتَلَقِّيًا)[1].

ويلحظ ممَّا سبق أنَّ في أساليب اللغة أنماطًا كثيرةً لا يمكن فهمها أو تحليلها علميًّا إلَّا بالرجوع إلى مقاماتها الاجتماعية، وربطها بما يَلُفُّها من أحوالٍ ومقاماتٍ ترتبط بطرفي العمليَّة الكلاميَّة (متكلِّمٍ وسامعٍ).

ويرى بشرٌ أنَّ اللغة تذهب في اتجاهين من حيث الفرقة والاجتماع، وهما متضادَّان في حياة اللغة: اتجاهٌ نحو التنوع والانقسام، وآخر نحو التوحيد والتخلص من الفرقة اللغوية[2].

والغالبية العظمى من علماء اللغة يرون أنَّ الوضع الطبيعيَّ للغة يتجه دائمًا نحو الانقسام والتوزيع، ومن ثُمَّ ينشأُ عن الوحدة تَفَرُّقٌ و تَشَعُّبٌ. ويرى بشرٌ أنَّ سبب ذهاب هؤلاء اللغويين هذا المذهب هو تأثرهم بالمُشاهَدِ المَلموسِ في تاريخ البشريَّةِ، وهو انقسام مجموعةٍ ضخمةٍ من اللغات المشتركة إلى لهجاتٍ متعدِّدةٍ. فمثلًا تفرَّعَتْ اللاتينيَّةُ إلى فرنسيَّةٍ وإيطاليَّةٍ وإسبانيَّةٍ وبرتغاليَّةٍ. وتفرَّعَتِ السَّاميَّةُ بدورها إلى عربيَّةٍ وعبريَّةٍ وسريانيَّةٍ. وليس هذا فحسب، بل نجد أنَّ هذه الفروع تشعَّبَتْ كذلك إلى فروعٍ أخرى، فمثلًا العربية تشعَّبَتْ إلى سوريَّةٍ وسودانيَّةٍ ولبنانيَّةٍ وعراقيَّةٍ.....إلخ. ثُمَّ السوريَّةُ نفسُها إلى لهجاتٍ أخرى عديدةٍ[3].

ويضيف بشرٌ سببًا آخر جعل اللغويين يتمسكون بمبدأ الانقسام، وهو كثرة عدد لغات العالم في الوقت الذي نعيش فيه الآن بالقياس إلى لغات الأزمان الماضية. والواقع أنَّ بناء هذا المذهب على أساس عدد اللغات أمرٌ لا يمكن التسليم بصحَّته. فالمعروف أنَّ العالم لم يكن في يومٍ من الأيام مزدحمًا بالسكان كما هو الآن. فقد كان سكان الأرض قليلي العدد بالقياس إلى سكانها في الوقت الحاضر، فكانت

---

(1)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص107.

(2)المرجع نفسه، ص139.وانظر: نهر، هادي، علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، دار الغصون، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ ، 1988م ، ص136 – 137.

(3)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص139 – 140.

هناك اللغات المشتركة العظمى كالساميَّةِ الأولى، واللاتينيةِ، والهنديَّةِ، والأوروبيَّةِ[1].

أمَّا بشرٌ فيرى عكس ما يراه هؤلاء اللغويون من اتجاه اللغة إلى الانقسام والتَّشعبِ، إذ " إنَّ هناك اتِّجاهًا قويًّا في معظم أجزاء العالم - إن لم يكن في العالم كُلِّه – نحو التوحد اللغويِّ وتكوين لغات موحَّدة يتكلَّمُ بكُلٍّ منها عددٌ من الناس، أكبر بكثيرٍ ممَّا كان يحدث في الأزمان السابقة في تاريخ العالم." [2]

ومن الوارد عند بشرٍ إمكانيَّة تكوين لغةٍ مُشتَرَكَةٍ مُوَحَّدةٍ، وهذه اللغة تعتمد دائمًا على الاختلاط الاجتماعيِّ، وعلى أيِّ نوعٍ من المشاركات في الحياة، وبطريق هذا الاختلاط وهذه المشاركة تتَّجه اللهجاتُ إلى التخلص من الخصائص اللغويَّةِ، التي لم تألفها آذان الآخرين، والتي قد يميل مَن لا يعرفها إلى التكلم بها. ومن العوامل والسبل التي تمهد لهذا الاختلاط كما يراها بشر:

1 - التَّجمعات البشريَّة، ومن صورها:

أ - العواصم والمدن.

ب- الجامعات والمعاهد العليا.

ج- الخدمة العسكريَّة والحرب.

د- التَّجمعات أو اللقاءات الموسمية.

هـ- الزواجُ المُخْتَلِطُ ؛ أي الزواج بين أشخاص يتكلمون لهجات مختلفة.

2 - الأدب.

3 - الوحدة السِّياسيَّة[3].

فاللغة – كما في رأي بشر - في اتِّجاهها إلى التوحد، ولكنَّ بشرًا ينبِّه إلى أنَّ هذا التوحد لا يمكن أن يكون توحُّدًا تامًّا بين لهجات اللغة الواحدة، إذ هذا أمرٌ مستحيلٌ عنده. فمن المعروف أنَّ الظروف الاجتماعيَّةِ لا يمكن أن تتَّحدَ اتِّحادًا

---

(1) بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص140.

(2)المرجع نفسه ، ص140 - 141.

(3) المرجع نفسه، ص142- 151.

كاملًا، كما أنَّه من المقرَّرِ أنَّ كُلَّ بيئةٍ لا بُدَّ أن تحتفظ ببعض الألوان اللغويَّة في لهجاتها[1].

أمَّا اللهجات وهي شكلٌ محليٌّ للكلام يستعمل في محيطٍ واسعٍ[2] فقد تناولها بشرٌ وأطلق عليها اسم (لغات) أو (أساليب) كلاميَّةٍ خاصَّةٍ. ويرى أنَّ هذه الأساليب أو التنوعات قد تكون جغرافيَّةً وقد تكون اجتماعيَّةً، ومن الطبيعيِّ أنَّ هذه اللهجاتِ الجغرافيَّةَ أو الاجتماعيَّةَ التي يملكها أو يعرفها أو يكتسبها إنسانٌ ما، من شأنها أن تحدِّدَ هويَّتَهُ المحليَّة و وضعه، أي أنَّنا عندما نقابل هذا الإنسان لأوَّل مرَّة نستطيع غالبًا أن نُحَدِّدَ موقعه في مجتمعه[3].

ومن المعلوم أنَّ العربَ قديمًا كانت تجمعهم لغةٌ واحدةٌ، وهي الفصحى أو اللغة المشتركة، التي كان يستعملها العرب في أسواقهم الأدبية وفي مناسباتهم ومحافلهم، تاركين وراءهم في بيئاتهم الخاصة لهجاتٍ محليَّةً تختلف فيما بينها قليلًا أو كثيرًا[4].

ويرى بعض الدَّارسين أنَّ سبب نشوء اللهجات في جميع اللغات مَردَّه إلى مبادئ طبيعيَّةٍ."ذلك أنَّك إذا تركت اللغة للناس يتكلَّمون بها على سجيتهم، فإنَّها على مرِّ الزَّمن تصبح عُرْضَةً للانحلال والتَّجزُّؤ من جرَّاء ميل الناس إلى السهل، وبسبب مجانبتهم الصَّعبَ. هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ اللغة ليست دومًا تعبيرًا عن الفكر، بل أداةً للتعبير عن الشعور، اللغة للغناء، والرَّقص والبكاء، والمشاجرات، وتصريف الشؤون...... وفي ظروفٍ كهذه يتحلَّل المرءُ من قيودِ اللغةِ ويتكلَّمُ على هواه[5].

---

(1)بشر ، علم اللغة الاجتماعي، ص 150.

(2)ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ص29.

(3)بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص 219.

(4)انظر: تمام حسان ، الأصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، (النحو ، فقه اللغة ، البلاغة) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1982 ، ص77.

(5)فريحة ، نظريات في اللغة ، ص108.

ويرى بشرٌ أنَّ التنوعات اللغويَّة كثيرةٌ تفوق الحصر والعدَّ، وليس بخافٍ ما نلحظه جميعًا من اختلافِ وتنوُّعِ أسلوب الفرد الواحد في حديثه وكتاباته. فالمعلِّم مثلًا كلامه مع أهل بيته يختلف نوع اختلاف عن محاورته مع تلاميذه في فصول الدِّراسة، وحديثه مع زملائه غير حديثه في السوق أو الشارع، وهكذا. ولهذا السبب اكتفى الدَّارسون - كما يرى بشر – بتسمية هذه التنوعات جميعًا بـ (اللهجات) على ضربٍ من التَّجَوُّزِ والتعميم[1].

ومن الطبيعيِّ أن تختلف اللهجات أو التنوعات اللغوية عن اللغة بمفهومها الضَّيِّق، أي اللغة المعيَّنة: كالعربيَّة والإنجليزيَّةِ....إلخ. وهذا ما أكَّده بشرٌ بأنَّ هناك فرقًا بين اللهجة واللغة، والفرق عنده بينهما من زاويتين: سياسيَّةٍ وأدبيَّةٍ. فاللغة من وجهة النظر السِّياسيَّة هي تلك الصيغة اللغويَّة أو الكلاميَّة المقبولة بوصفها اللغة القوميَّة، و وصف اللغة بالقوميَّة يعني أنَّ للعرب في مجموعهم لغة واحدة هي اللغة العربية، فهم وإن اختلفوا فيما بينهم - نوع اختلاف – في نظمهم السِّياسيَّة ما يزالون متفقين تمام الاتفاق على حسبانها لغتهم القوميَّة[2].

ويرى بشرٌ أنَّ تحديد اللغة بالقوميَّة من شأنه أن يخرج أنماطًا من الكلام تشيع في البلاد العربية، كالعاميَّات الدَّارجة والتنوعات الكلاميَّة الأخرى، إذ هي ليست قوميَّةً بالمفهوم السِّياسيِّ، وإنَّما هي تنوعاتٌ عربيَّةٌ تقابل التنوعات الاجتماعيَّة الخاصَّة لكلِّ مجتمعٍ عربيٍّ. وهذه التنوعات بمجملها يطلق عليها (لهجة) أو (لهجات) في مقابل (اللغة) [3].

أمَّا اللغة بالمعيار الأدبيِّ، فيرى بشرٌ أنَّه يمكن تحديدها بأنَّها الصِّيغة اللغويَّة التي صُنِعَ ويُصنَعُ بها الأدبُ القوميُّ في عموم معناه، في حين أنَّ اللهجة ليس لها نصيبٌ مذكورٌ، في هذا السبيل[4].

---

(1)بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص 220 – 221.

(2)المرجع نفسه،ص 121 – 222.

(3)المرجع نفسه،ص 222.

(4)المرجع نفسه ، ص 220.

ويذكر بشرٌ جانبًا أخر للتفريق بين اللهجة واللغة، وهو الجانب اللغويُّ، إذ هو الشُّغل الشاغلُ للغويين الذين يبنون معيار التَّحديد أو التفريق على الخواصّ البنيويَّة أو التركيبية لكلٍّ من اللغة واللهجة. ويحدث ذلك من خلال الكشف عمَّا تنتظمه كُلٌّ منها من نُظُمٍ صوتيَّةٍ وصرفيَّةٍ ونحويَّةٍ، مطابقةٍ أو غير مطابقةٍ - كثيرًا أو قليلًا - للمعيار اللغويِّ المقرَّرِ والمألوفِ، الذي ارتضوه أساسًا للتَّحديد والتفريق.

لنفرض أنَّ اللغويَّ تحدَّث عن خمس لهجاتٍ مثلًا، في لغة ما، فإنَّه يعني أنَّ هناك خمس صورٍ أو (صيغٍ) كلاميَّةٍ مختلفةِ البنيةِ يمكن تعرُّفها، ولهذه الصور في الوقت نفسه علامات أو قرابات واضحة تؤكِّد أنَّها جميعًا قد انحدرت من أصلٍ واحدٍ قديمٍ. ويرى بشرٌ أنَّ أساس الحكم على هذه الصور بأنَّها لهجات أو تنوعات كلاميَّة هو الخروج أو التجاوز - قليلًا أو كثيرًا – عن المعايير اللغوية التي تصوروها أو قرَّروها للفصل بين الجانبين[1].

نلحظ هنا أنَّ بشرًا جعل الأساس في التفريق بين اللغة و اللهجة هو الأساس اللغويُّ، أي الخورج عن المعايير والقواعد اللغويَّةِ التي قرَّرها اللغويون؛ لاستقامة البنية اللغويَّة للغة المعنيَّة.

أمَّا وجهة النظر الاجتماعيَّة وهي محور الحديث في هذا المقام ، فيرى بشرٌ أنَّها محور النظر عند علماء اللغة الاجتماعيين، الذين يبنون التحديد أو التفريق بين اللغة واللهجة على أساس التوظيف والاستعمال، بوصفهما أداتي اتصال ، فإذا ما قرَّر عالم اللغة الاجتماعيُّ أنَّ هذه الصور لهجات، لا لغات، فإنَّه يعني أنها لا تتعدَّى الإطار الاجتماعي الذي تُستخدم فيه، كإطار التجارة أو الزراعة أو الصِّناعة مثلًا. أمَّا اللغة فهي صيغةٌ كلاميَّةٌ عليا (مفروضةٌ أو مقرَّرةٌ) تُوظَّفُ في الاتصال الاجتماعيِّ العام بين المتحدِّثين بلهجاتٍ مختلفةٍ. وينظر علماء الاجتماع إلى اللغة بأنَّها أعلى درجةٍ وأرقى من اللهجة، لاتساع وظائفها وتجاوزها الحدود الضَّيِّقة للهجة أو اللهجات[2].

---

(1)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص 223.

(2)المرجع نفسه، ص223.

ومن هنا ذهب بعضهم إلى القول بأنَّ اللهجة لغة مختلفة أو غير نامية، ويرى بشر أنَّ هذا القول يمكن قبوله بمعنى واحدٍ فقط، وهو أنَّ اللهجة لا تستخدم في كُلِّ الوظائف التي تقوم بها اللغة في مجتمعٍ أوسع بكثيرٍ من المجتمع الضَّيِّق المحدود، كمجتمع القرية أو الحي أو القبيلة وما شاكل ذلك. والناظر في لغات العالم يجد أنَّه ليس هناك لغة مختلفة بطبيعتها أو غير نامية، فكلُّ اللغات العظمى في العالم اليوم كانت غير ناميةٍ في يومٍ من الأيام، بمعنى أنَّ استعمالها كان ضيِّقَ المجالِ. (1)

فاللغة بهذ المعنى " لها مكانةٌ تفتقدها اللهجة، فلو استخدمنا المصطلحات بهذا المعنى فإنَّ الإنجليزيَّةُ المتواضع عليها......... ليست لهجةً على وجه الإطلاق بل هي بالفعل لغة، في حين أنَّ النوعيات غير المستخدمة في الكتابة الرَّسميَّةِ هي لهجات. ويستند الحكم على نوعيَّةٍ بأنَّها (لغة) أو (لهجة) إلى المكانة التي تتمتع بها، وذلك أمرٌ واضحٌ بالنسبة لمعظم الناس؛ لأنَّه يعتمد في المقام الأوَّل على ما إذا كانت النَّوعيَّة تستخدم في الكتابة الرَّسميَّةِ أم لا." (2)

ويرى بشرٌ أنَّه من الأولى بدلًا من أن نسمّي اللغات غير النامية لهجات، الأولى بنا أن ندعوها لغات دارجة أو عاميَّة، ونقصر المصطلح (اللهجة) على المعنى الذي يراه اللغويُّ لا عالم اللغة الاجتماعيُّ، وهو التنوع ذو القرابة بالأصل أو المتولِّد عن أصلٍ عامٍّ(3).

وفي الختام يرى بشرٌ أنَّ التفريق بين اللغة واللهجة ما زال أمرًا صعبًا، إذ اللغة تاريخيًّا قد تكون لهجةً، واللهجةُ قد تصير لغةً، إنَّها ثُنائيَّةٌ بالغة التعقيد، فهما مصطلحان لا يقصد بهما أكثر من التَّمييز بين بعض الظواهر في اتِّجاهات مختلفة، وإن كانت النَّتيجةُ مُتَدَاخِلَةً ومُلبِسَةً إلى حدٍّ كبيرٍ(4).

---

(1)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص 224.

(2)هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص 62.

(3)بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص 224.

(4)المرجع نفسه، ص224 – 225. وانظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 211.

6.3 **علم المعنى (السيمانتيك** - Semantics):

على الرغم من تأخر اهتمام اللغويين المحدثين من علمـــاء اللغـــة بمـــشكلة المعنى اهتمامًا علميًّا [1]، إلَّا أنَّه استقرَّ الرَّأيُ عند الأغلبيَّة الساحقة منهم إلى أهميَّة علم المعنى وأحقِّيَّته ومشكلاته بدراسةٍ مُستَقِلَّةٍ، وإفراده بمنهجٍ خاصٍّ في الدِّراسات اللغويَّة، ذلك المنهج هو ما اتفقوا على تسميته بـــ (علم السيمانتك Semantics). غير أنَّهم وعلى الرَّغم من اتفاقهم على أهميته يختلفون فيما بيـــنهم علـــى درجـــة الأهميَّة التي يستحقها هذا المنهج، وعلى منزله من فروع علم اللغة الأخرى[2].

وتعدُّ دراسة المعنى (السيمانتيك) أو الدَّلالة - كما يسميها البعض – من أقدم قضايا الفكر، أسهم فيها فلاسفةٌ ومناطقةٌ وأصوليون ولغويـــون وبلاغيـــون، مـــن العرب وغيرهم. ولا شكَّ في أنَّ المباحثَ اللغويَّةَ التي تطرَّقَ لها علماء العربيَّـــةِ في عصرورهم الغابرة تعدُّ من مباحث علم المعنى. وخيرُ دليلٍ على هذه المباحث محاولة ابن جنيٍّ في خصائصه[3] ربطَ تقلبات المادَّة اللغويَّةِ الواحدة بمعنىً واحـــدٍ شاملٍ[4].

أمَّا حديثًا فتعدُّ دراسة ميشيل بريبل (Michel breal) سنة 1898م في كتابه (Essai de semantique) أوَّل دراسةٍ علميَّةٍ حديثـــةٍ خاصَّـــةٍ بعلـــم المعنـــى (السيمانتيك). ويذكر محمود السعران أنَّ هذا المصطلح الذي أطلقه بريبـــل علـــى

---

(1)السعران ، علم اللغة، ص291.

(2)بشر ، كمال ، دراسات في علم المعنى (السيمانتيك) ، مجلة الأزهـــر ، المجلـــد الثالـــث والثلاثون ، ذو القعدة 1381هـــ ، أبريل 1962م ، ص1379.

(3)ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص13.

(4)انظر: عمر ، علم الدلالـــة ، ص17. و الـــضامن ، علـــم اللغـــة ، ص72. ومنقـــور ، عبدالجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي – دراسة - ، اتحـــاد الكتـــاب العرب ، دمشق، 2001م ، ص 14 – 18

دراسته هذه، هو من وضع برييل نفسه[1]. ويُعَدُّ هـذا المـصطلح مـن أشـهر المصطلحات التي أطلقت على هذا العلم، من مثل: علم الدَّلالة، وعلم المعنى[2].

ويرى بشرٌ أنَّ اللغويين اختلفوا اختلافًا كبيرًا في تعريف علم المعنى وفي بيان المراد به. ويرى أنَّ هذا الخلاف يرجع إلى أسبابٍ كثيرةٍ، أهمها - فـي رأيـه – اختلاف مناهج البحث في اللغة، فمنهم من نهج منهج العقليين أو النفسيين، ومـنهم من سلك طريق السلوكيين، وآخرون اختاروا ما سمَّوه (المنهج اللغويّ). بالإضافة إلى كثرة المصطلحات التي درجوا على استعمالها في بحوثهم، وإلى عدم اتفـاقهم على معانيها أو المقصود منها على وجهٍ دقيق[3].

وعلى أيَّة حالٍ فقد توصَّلوا في جملتهم إلى عِدَّةِ تعاريف شاملةٍ، مـن أهمهـا وأشهرها: " (دراسة المعنى) أو (العلم الذي يدرس المعنى) أو (ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظريَّة المعنى) أو (ذلك الفرع الذي يدرس الـشروط الواجـب توافرها في الرَّمزِ حتى يكون قادرًا على حمل المعنى) "[4] ويعرِّفه أولمـان بأنَّـه "علاقةٌ مُتَبَادلةٌ بين اللفظ والمدلول، علاقةٌ تمكن كُلَّ واحدٍ منهمـا مـن اسـتدعاء الآخر"[5]

وممَّا يُنبئُ عن هذه الصعوبات وتلك المشكلات التي ترتبط بتحديـد المعنـى وتفسير مفهومه، ما ذهب إليه الأسـتاذان (أوجـدن و ريتـشاردز) (Ogden & Richards) من إفرادهمـا كتابًـا بأكملـه سـمَّوه بـــ (The meaning of meaning) (معنى المعنى) لبحث هذا الموضوع، ويقدِّمان فيه ما لا يقلُّ عن ستَّة

---

(1)السعران، علم اللغة، ص291.

(2)عمر، علم الدلالة، ص 11.

(3)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص 154 – 155. وانظر: أولمان، سـتيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب للطباعة والنـشر والتوزيـع ط12، 1997م، القاهرة، ص80.

(4)عمر، علم الدلالة، ص 11.

(5)أولمان، دور الكلمة في اللغة ، ص 79.

عشر تعريفًا للمعنى، أو اثنين وعشرين تعريفًا، لو أُخِذَتْ التعريفاتُ الإضافيَّةُ في الحُسبان[1].

وجاز لي هنا في هذا المقام استخدام المصطلح (السيمانتيك) للتعبير عن (علم المعنى)، أينما ورد في هذا المقام؛ وذلك تماشِّيًا مع رأي بشر في هذا، إذ يفضِّل المصطلح (السيمانتيك) على بقية المصطلحات الأخرى التي تدلُّ على هذا العلم، وقد اختار مجمع اللغة العربية حديثًا مصطلح (السِّيمية) للدلالة على علم المعنى[2].

ولعلم السيمانتيك أهميَّةٌ كبيرةٌ ومكانةٌ عاليةٌ بين الدراسات اللغوية الحديثة. ومعرفة أهمية هذا العلم ومكانته " هي الأساس الذي تنبني عليه مناهج البحث المختلفة التي يتبعها العلماء في دراسة هذه التفصيلات نفسها[3]." وقد ذهب أولمان إلى أنَّ خير سبيلٍ إلى تحديد مكانة علم المعنى في الدِّراسات اللغويَّةِ، وإلى معرفة الفروع المختلفة التي يمكن أن يتكون منها علم المعنى إنَّما يتحقَّقُ بالنظر في طبيعة الرموز اللغويَّةِ أو الوحدات التي يتألف منها التركيب اللغويُّ، وهذه الرُّموز أو الوحدات - في رأي أولمان – هي رموزٌ و وحداتٌ من نوعٍ معيَّنٍ، تقتضي معرفتها الوقوف على أساسٍ مهمٍّ من أُسُسِ البحثِ. وذلك الأساس هو التفريق بين جانبين من جوانب الكلام الإنسانيِّ: الجانب الأول هو الكلام. والجانب الثاني هو اللغة[4].

ومعنى هذا أنَّ هناك فرقًا بين مادَّة الكلام ومادَّةِ اللغةِ. أو بعبارةٍ أخرى ، إنَّ رموز الكلام و وحداته تختلف عن رموز اللغة و وحداتها، فالوحدات الأولى تتسم بالطابع الماديِّ، أمَّا الثانيةُ فهي وحداتٌ عقليَّةٌ ذهنيَّةٌ. ويرى بشرٌ أنَّ الوحدات التي يعنيها أولمان هنا هي وحدات اللغة لا وحدات الكلام؛ وذلك لأنَّ اللغةَ عندَ أولمان - ومن نهج نهجه – هي موضوع البحث في علم اللغة[5].

---

(1)بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ص 156.

(2)المرجع نفسه، ص 12.

(3)بشر، دراسات في علم المعنى (السيمانتيك)، ص87.

(4)المرجع نفسه، ص87.

(5)المرجع نفسه ، ص88. وانظر: أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص35 – 41.

وممَّا سبق يرى بشرٌ أنَّ وحدات اللغةِ عنــد أولمـــان تتكــوَّنُ مـــن ثـــلاثِ مجموعاتٍ، هي:

1 - الوحدات الصوتيَّة، أو ما يسمَّى بالفونيمات.

2 - الكلمات، أو ما يعرف بالصور الذهنيَّةِ للكلمات.

3 - التراكيب، أو ما يعرف بالصور الذهنيَّةِ لهذه التراكيب.

ويرى بشرٌ من خلال التقسيم السابق أنَّه من الممكن أن ندرس هذه الوحـــدات وننظر فيها من زاويتين اثنتين، هما: وظيفة هذه الوحدات، والتركيب الدَّاخلي لهذه الوحدات. فوظيفة الفونيمات هي التفريق بين الكلمات أو بين معاني هذه الكلمات، وذلك كالتفريق الذي نلاحظه بين: (كَالَ) و (جَالَ) مثلًا، بـــسبب وجـــود الفـــونيم المسمَّى (كافًا) في الكلمة الأولى، و (جيمًا) في الكلمة الثانية. و وظيفـــة الكلمـــات هي الدَّلالةُ أو استدعاء الفكر. أما وظيفة التراكيب فهي الافصاح عن العلاقات بين الأشياء التي تمثلها الكلمات التي تتكون منها هذه التراكيب(1).

وبالنظر إلى هذه الوحدات الثلاث السابقة نجد أنَّ أولمان يقسم علم اللغة إلـــى ثلاثة فروعٍ رئيسةٍ ، كُلُّ فرعٍ منها يقابل مجموعةً مُعَيَّنَةً من هذه الوحدات ، هـــذه الفروع هي:

1 - علمُ الأصواتِ التنظيميُّ (phonology).

2 - علم الكلمات (lexicology).

3 – علم النَّحو أو علم العلاقات اللغويَةِ (syntax).

يرى أولمان أنَّ وحدات المجموعتين الأخريين - الكلمات و التراكيب - لهـــا جانبان: أحدهما الجانب الخارجيُّ أو الدَّالُ، وثانيهما جانب المعنـــى أو المَـــدْلولُ. وبالتالي وبناءً على هذه الثُّنائيَّةِ السابقةِ يرى أولمان أنَّه لا بُدَّ من تفرُّع كُـــلٍّ مـــن الكلمات وعلم النَّحو إلى فرعين اثنين، كالآتي:

1 - علم الكلمات: أ - علم الصَّرف المعجميِّ.

ب - علم المعنى المعجميِّ.

---

(1)بشر ، دراسات في علم المعنى (السيمانتيك) ، ص88 – 89

2 – علم النحو : أ - علم الصَّرف النَّحويِّ.

ب – علم المعنى النَّحويِّ[1].

ويَخْلُصُ بشرٌ ممَّا سبق إلى أنَّ أولمان قد عني بعلم المعنى عنايةً فائقةً ، وأنَّه لم يأل جهدًا في إبراز هذه الأهميَّةِ وتأكيدها. فهو وإن لم يجعل هذا العلم قسيمًا للفروع الرَّئيسةِ ومُقابلًا لها، إلَّا أنَّه أوجب على الدَّارسين تناوله والتعرض له على مرحلتين اثنتين: الأولى عندما يكون البحث في المعنى على مستوى الكلمة المفردة، وهذه المرحلة من اختصاص علم المعنى المعجمي). ومن الواضح أنَّ علم المعنى المعجمي إنَّما يعنى بناحية المعنى أو المضمون أو المَدْلولِ فقط. أمَّا النَّاحيةُ اللفظيَّةُ فيتولَّى شأنها قسيمه الآخر في التفريع السابق وهو (علم الصَّرف المعجميِّ). أما المرحلة الثانيةُ فتتمثَّلُ في دراسة المعنى على مستوى العبارة أو الجملة. وهذه المرحلة هي مجال البحث فيما سَمَّاه أولمان (علم المعنى النَّحويّ)[2].

أمَّا رأي بشرٍ في أهميَّةِ علم المعنى ومكانته في الدِّراسات اللغويَّة فيعتمدُ في أساسه على منهج أستاذه فيرث (fearth). وكان أوَّل ما وجَّه إليه فيرث الاهتمام في منهجه هذا هو التخلُّص من كُلّ أوجه النَّقص والقصور التي اتَّسمت بها النَّظرياتُ والمناهج الأخرى، والتي تتمثل - كما يرى بشر - في اعتمادأصحاب هذه النَّظريات والمناهج على المبادئ والأفكارِ الفلسفيَّةِ والنَّفسيّةِ والمنطقيَّةِ. فجاءت نظريَّتُهُ نظريَّةً لغويَّةً صرفةً، تستمدُّ مبادئها وأُسسها من الواقع اللغويِّ نفسهِ، بدون إقحام عامل الذَّاتيَّةِ أو الافتراض والتخمين فيها[3].

وهذا المنهج انعكس كذلك على النهج الذي نهجه بشرٌ في دراساته اللغويَّةِ بشكلٍ عامٍّ، وهذا ما ظهر جليًّا فيما سبق من حديثٍ في الفصلين السابقين - الأصوات، والصرف والنَّحو - فقد كان يعطي صفاتٍ نطقيَّةً للأصوات بحسب نطقه الشَّخصيِّ وتجربته الذَّاتيَّةِ. بالإضافةِ إلى تلك التفنيدات التي قدَّمها في مناقشاته للكثير من أبواب الصَّرف التَّقليديِّ، فأخرج بعض الأبواب الصَّرفيَّةِ من

---

(1)بشر ، دراسات في علم المعنى (السيمانتيك) ، ص 89 – 99.

(2)المرجع نفسه ، ص 90.

(3)المرجع نفسه ، ص 94.

دائرة الصَّرف أو عالجها بعلاجٍ غير العلاج الصَّرفي؛ وذلك لعــدم مطابقــة آراء القدماءِ في هذه الأبواب أو الظواهر للواقع اللغويِّ.

وقد تحدَّث بشرٌ عن الأداء اللغويِّ أو تأليف الكلام، الأداء الذي يتم في صورة جُمَلٍ أو عباراتٍ أو فِقَرٍ، أو في صورة كلمةٍ أو كلمتين تقوم مقــام أيٍّ مــن هــذه الأنماط. وهذا التأليف بدوره يعتمد على السِّياقين: اللغويِّ، و غير اللغويِّ. ويقصد بشرٌ بالأوَّلِ ما يسمَّى أحيانًا بـــ (سياق المقام) المتمثِّلُ في الكــلام المتَّــصِلِ بــين طرفين: متكلِّمٍ وسامعٍ. أمَّا السياقُ غير اللغويِّ فيعني به (سياق الحال)، أو الظرف الاجتماعيَّ الذي يُلقى فيه الكلام، وقد اصطلح بشرٌ علــى تــسمية الأخيــر بــــ (المسرح اللغويِّ) (1).

وكأنَّ بشرًا هنا ينهج منهج أستاذه فيرث الذي يرى أنَّ المعنى لا ينكشف إلَّــا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقاتها المُختَلِفة، ومعنى هذا أنَّ معاني الكلمات تتطلَّبُ تحليلًا للسياقات والمواقف التي تردُ فيها(2).

ويذهب بشرٌ إلى أنَّ أيَّ بناءٍ للكلام لا يكون صحيحًا سليمًا إلَّا بصحة لبناتــه وتكاملها، حتى يصير مؤهَّلًا لأن نطلق عليه مصطلح (جملةٍ أو عبــارةٍ أو فِقْــرَةٍ) وحقيقة الأمر عنده أنَّ صحة الكلام وسلامته لا تتمُّ إلا باكتمــال ثلاثــة جوانــبَ متَّصِلةٍ غير مُنفَصِلَةٍ، هذه الجوانب هي(3):

الأوَّل: صِحَّةُ المَبنى والمعنى:

ويعني بصحة المبنى أن يكون البناءُ صحيحًا صوتيًّا وصرفيًّا ونَحويًّا ، بمعنى أن يكون صحيحًا سليمًا في تركيبه ، وإملائه كذلك في الكلام المكتوب ، وكلُّ هذا يقتضي من المتكلِّمِ أو الكاتبِ أن يكون عارفًا بالقواعد والــنظم اللغويَّــةِ معرفــةً مناسبةً، بل قادرًا على الإتيان بها على وجهٍ صحيح. فإذا ما تحقَّقت هذه الــصِّحَّةُ صَحَّ المعنى بالضرورةِ. وصحة البناء من هذين الطرفين - المبنــى والمعنــى -

(1)بشر، فن الكلام ، ص79. وانظر لنفس المؤلف: دراسات في علم اللغة ، القسم الثــاني ، ص 154.

(2)عمر، علم الدلالة ، ص68 – 69.

(3)بشر، فن الكلام ، ص79.

يمكن نعتها - في رأي بشرٍ – بالصِّحَّةِ المُطلقة، أي مُجرَّد الصِّحَّةِ اللغويَّةِ للبنــاء التي تعني تماسُكَه وصلاحيَّته للإيصال والتَّوصيل بصورةٍ من الصُّور، وقد أطلــق بشرٌ على هذه الصِّحَّةِ المُجَرَّدَةِ اسم (الصِّحَّةِ الدَّاخِليَّةِ) للنص[1].

وقد أشار تمَّام حسَّان كذلك إلى ضرورة اتِّصال المبنى بالمعنى وارتباطهما ، ويرى أنَّ المعنى وظيفة المبنى، إذ المعاني التي في الأنظمة اللغويَّــةِ (الــصَّوتيَّةِ والصَّرفيَّةِ والنَّحويَّةِ) هي في الحقيقة وظائف تؤديها المباني التي تــشتمل عليهــا وتنبني منها هذه الأنظمة[2].

ويقصد بشرٌ بالصِّحةِ الدَّاخليَّةِ للكلام أنَّ يكون البنـــاء (جملــةً أو عبــارةً أو فِقْرَةً.....إلخ)، سليمًا في هندسته وتشكيله على الوجه الذي يؤهلــه لأداء غرضــه وإصابة مقصوده. ولا يتم هذا البناءُ وذاك التشكيل إلَّا إذا كانت لبناته وعناصــره المُكَوِّنَةُ له صحيحةً في مادَّتها وهيئتها، بحيث تلائم طبيعته وتعمــل علــى إقامــة دعائمه. والمقصود باللبنات أو المُكوِّنات في هذا المقام، أصوات اللغــة وصِــيَغَها الصَّرفيَّةَ ومُفرداتِها المعجميَّة، وما إلى ذلك من مادَّةٍ تتعاون فيما بينها على تــشييد البناء وصيرورته شكلًا أو نمطًا ذا سماتٍ تركيبيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ[3].

الثَّاني: مطابقة الكلام للمقام:

ويرى بشرٌ في هذا الجانب أنَّ الكلام الصَّحيح صِحَّةً لغويَّةً مُطلَقَةً ليس صالحًا بالضرورة لمقامه، أو مُوَفَّقًا في أداء رسالته في ظرفه وحاله. إذ ينقص الكلام - و إن صَحَّ في تركيبه – ضربٌ آخر من الصِّحَّةِ، هي صِحَّة الإيصال والتَّوصــيل، وهذا الضَّرب من الصِّحَّةِ سمَّاه بشرٌ بــ (الصِّحَّةِ الخارجيَّةِ) للنَّص. وهو المقصود عند علماء البلاغة بمطابقة الكلام لمُقتضى الحال[4].

ويربط بشرٌ بين هذا الجانب والجانب الأوَّل (صحَّة المبنى والمعنـــى) ربطًــا تامًّا، إذ ليس من المنطق أو الواقع عنده أن يكون الكلام الفصيح أي الصَّحيح لغويًّا

---

(1)بشر، فن الكلام ، ص79 – 80.

(2)حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 39.

(3)بشر، فن الكلام ، ص 82.

(4) المرجع نفسه ، ص80.

في تأليفه ونظمه، ذا فائدةٍ أو منفعةٍ في التَّوصيل ما لم يكون مَسوقًا على قَدَرِ حاله وملائمًا لظرفه ومناسبته. ومن هنا يرى أنَّ أيَّ نمطٍ من الكلام مهما كانت درجة صِحَّتهِ اللغويَّةِ، وكان خاليًا من عناصر المواءمة والموافقة لمقامه، يُعَدُّ ضربًا من العبث أو اللَّغوِ، أو مُجَرَّد ضوضاءٍ تُلقى في الهواء، وما ذلك - في الحقِّ - يحسب كلامًا إنسانيًّا بحالٍ[1].

أمَّا الجانب الثالث: وهذا الجانب ذو شقَّين: أحدهما خاصٌّ بالكلام المنطوق، والثاني مُرْتَبِطٌ بالكلام المَكتُوب. ويعني بشرٌ بالأوَّل صِحَّةَ الأداء الصَّوتيِّ للكلامِ، أو ما يُدعى بالإلقاء، وهذا الشِّقُّ له أهميَّةٌ بالغةٌ في تمام أو تجويد الصِّحَّتين الداخليَّةِ والخارجيَّةِ. ومن المَعرُوف أنَّ لكلِّ نمطٍ من أنماط التأليف (البناء) لونًا خاصًّا من الأداء الصَّوتيِّ يلائم بنيته ويُفصح عن خواصِّه التركيبيَّة. فللتَّراكيب التَّقريريَّةِ لونٌ، وللاستفهاميَّةِ لونٌ آخرٌ، وللتَّعَجُّبيَّةِ لونٌ ثالثٌ آخر وهكذا. وهذا الجانب يُعرف كذلك باسم التَّنغيم أو التَّلوين الموسيقيِّ. أما الجانب الثاني فهو المقصود عند بشرٍ بصحة الرَّسم وسلامته، وإملائه أو هجائه[2].

7.3 بين اللفظ والمعنى:

إنَّ قضيَّةَ اللفظ والمعنى من القضايا المُوغِلَةِ في القِدَم، ولا تزال تُثار بين الحين والحين في المجالين اللغويِّ والأدبيِّ على سواءٍ، وقد انشغل غير واحدٍ من اللغويين المحترفين في هذا الميدان، كاللغويِّ العربيِّ أبي الفتح عثمان بن جنيِّ(392هـ) في خصائصه، وعبدالقاهر الجرجاني(ت470هـ) في كتابه دلائل

---

(1) بشر، فن الكلام، ص127.

(2)المرجع نفسه، ص 80 – 81. وانظر فيما سبق: الفصل الأول، في الحديث عن التنغيم أو التلوين الموسيقي.

الإعجاز [1]، وهذا الأخير جمع بين الجانبين كليهما، حتى أنَّه يُعَدُّ - في نظر بشر – قِمَّةَ الباحثين في هذا الموضوع وصاحب الرأي الذي لا يُشاركه غيره فيه[2].

وتعدُّ الصِّلة بين اللفظ والمعنى الـركن الأسـاس فـي علـم (الـسِّيمانتيك) المتخصِّص بدراسة المعنى، والذي يعد الآن محورًا للدِّراسات اللغويَّـة الحديثـة. والمقصود بهذه الصِّلة هو أنَّ كُلَّ صوتٍ يرمز إلى معنى، فتكتسب الألفاظ دَلالتها من خلال جَرَسِ أصواتها، وينشأُ ما يسمَّى بالمناسبة الطبيعيَّـةِ بـين الأصـوات والدَّلالات. وهذا المعنى جاء به ابن جنيٍّ في قديم عهده وهو ما أفرد له بابًا خاصًّا في خصائصه أسماه (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) [3].

وقد انقسمت آراء الباحثين في الحديث عن العلاقة بين اللفظ والمعنـى إلـى قسمين اثنين:

الأوَّل: يرى أصحاب هذا الرَّأي أنَّ الأحداث اللغويَّةِ - كلمة كانـت أو عبـارة أو جملة - لها جانبان متميِّزان. أحدهما جانب اللفظ أو الـصوت، والثـاني جانـب المعنى أو المضمون أو المَدْلول. ويرى هؤلاء أنَّ كلَّ جانبٍ منهما يمكـن عزلـه وفصله عن قرينه، ويتضح مذهبهم هذا من خلال مسلكهم نحو تقسيم علـوم اللغة وتحـديد وظـائف كـلِّ فـرعٍ منـها. فـهناك فـروعٌ مُـستَقِلَّةٌ خُصِّـصت لمعالجة الجانب اللفظيِّ أو الصوتيِّ المحض، بمعزلٍ عن مَدلولـه ، كمـا عيَّنـوا فروعًا أخرى مُستقِلَّةً للبحث في الجانب الثاني، وهو جانب المعنى أو المَدلول[4].

وهذا ما ذهب إليه فندريس من إنكاره لـرأي الـرَّئيس دي بـروس(de brosses)،القائل بأنَّ الكلمات تكوَّنت في الأصل من أصواتٍ مُـساوية للأفكـار، ويضرب مثلًا وهو كلمة (fleure - النهر) مثلًا فهو يَدين باسمه إلى الحرفين (fl) اللذين يحتويان حرفًا مائعًا و يوقظان الإحساس بشيءٍ (يسيل)، وهذا مرفوض عند

---

(1)الجرجاني ، عبدالقاهر ، دلائل الاعجاز ، (400 – 470 هـــ) ، ط2 ، 1407 هـــ ، 1987 م ، مكتبة سعد الدين ، دمشق.

(2)بشر ، فن الكلام ، ص 143 – 144.

(3)ابن جني، الخصائص ، ج 2 ، ص 125.

(4)بشر ، فن الكلام ، ص153.

فندريس؛ إذ لا يوجد أيُّ تطابقٍ مبدئيٍّ بين الصوت والمعنى، ويرى أنَّه من الحمق الحكم بوجود علاقةٍ ضروريَّةٍ بين الصَّوت ومَدلولهِ(1).

وممَّا يؤكد مذهبهم هذا تصريحهم بأنَّ اللغة لها جانبــان متميِّــزان: أحــدهما عضويٌّ أو ميكانيكيٌّ، والآخر نفسانيٌّ أو غير ميكانيكيٍّ. وهذا ما أوجــب علــيهم تقسيم فروع اللغة، فيُخصِّصون فروعًا معيَّنةً لجانبٍ منها، وفروعًا أخرى للجانــب الثاني، كما مرَّ سابقًا(2).

ولكنَّ بشرًا يرى غير ذلك؛ إذ اللغة عنده " ليست مُجرَّد ضوضــاءٍ (noise) تُلقى في الهواء كضوضاء الطَّرقِ والقَرعِ أو غيرهما. نعم إنَّها أصواتٌ حقيقيَّةٌ من حيث التأثير السَّمعيِّ المحضِ، ولكنَّ هذه الأصوات اللغويَّةَ ليست إلّا أنماطًــا مــن التعبير تُحدِثُ أثرًا معيَّنًا في السَّمعِ أو تدفعه إلى ضَرْبٍ معيَّنٍ من السُّلوكِ .... بل لسنا نبالغ إذا قلنا: إنَّ بعض الأصوات التي قد تبدو في نظر بعــضهم مجــرَّدَةً عن دلالاتٍ أو معانٍ، لها مضمونٌ مرتبطٌ بهذه الأصوات أشدَّ ارتباطٍ ، بحيــث لا نستطيع إطلاقًا أن نفصل جانبًا منها عن الآخر." (3).

ويضرب بشرٌ مثلًا على عدم صحة هذا المذهب، مذهب الفصل بــين اللفــظ والمعنى، وهو الموسيقا؛ إذ الموسيقا ضربٌ معيَّنٌ من الضوضاء، جاءت منــسوقةً على أنماطٍ معيَّنةٍ من التأليف والتركيب، ومن الواضح أنَّ لهذا التركيــب المعــيَّنِ أثره في السَّامِعِ، حتى لنراه يتجاوب مع ما يسمعه وينفعل ويهتزُّ طربًا. وهذا كُلُّــه يدلُّ على نوعٍ من الفهم والمُشاركةِ الوجدانيَّةِ مع صاحب هذه اللغة (الموسيقا) التي يظنُّها بعضهم صوتيَّةً محضةً ، وما هي كذلك في واقع الأمر وحقيقته(4).

ومن العلماء الغربيين الذين أجروا بحوثَهم ودراساتِهم اللغويَّــةَ علــى هــذا الأساس ، أساس الفصل بين جانبي الكلام ، العالم اللغويُّ ستيفن أولمــان ؛ فقــد تناول قضيَّةَ المعنى وفصل بين ما سمَّاه (الرَّمز) أو (اللفظ) وبين (المَدْلول) فصلًا

---

(1)فندريس، اللغة، ص2335 – 236.

(2)بشر، فن الكلام، ص 154.

(3)المرجع نفسه، ص 154.

(4) المرجع نفسه، ص 155.

تامًّا. وقد صرَّح بذلك صراحةً حين قال: " إنَّ عمليَّة الكلام لها جانبـــان: أحـــدهما مادِّيٌّ وهو الأصوات المنطوقة. والآخرُ عقليٌّ، وهو المعنى المقصود. وعلى هـــذا يجب أن يسير التحليل اللغويُّ في خطَّين متوازيين "[(1)].

أمَّا علماء العربيَّةِ المحدثون ، فالاتجاه الغالب على آرائهم في هذه القضيَّةِ هو القول بوجود صلة قويَّة بين اللفظ و مَدلوله. غير أنَّ " الدَّارســين فــي العقــدين الأخيرين ينكرون وجود علاقةٍ طبيعيَّةٍ بين اللفظ ومعنـــاه، ويــرون أنَّ العلاقــة اصطلاحيَّةً عُرفيَّةً مُكتَسَبَةً. [(2)] ومن هؤلاء إبراهيم أنيس؛ إذ يرى أنَّ الــصِّلةَ لــم تولد بمولد اللفظ؛ وإنَّما تكتسبها بكثرة التَّداول مع مرور الأيَّام." [(3)]

الثَّاني: أمَّا الرأي الثاني، وهو رأيٌ معارضٌ تمام المُعارضة للرَّأي الأوَّل؛ إذ يرى أصحاب هذا الرَّأي أنَّ الحدث اللغويَّ وحدةً مُتكاملةً، لا انفصام بين جانبيها، وليس في استطاعتنا عمليًّا أو نظريًّا أن نفصل بينهما. و إذا جاز لنـــا أن نعـــزل أحـــد الجانبين أحياناً بغرض الاختبار والنظر لهدفٍ مخصوصٍ، فليس يعني ذلك أنَّ هذا الجانب منعزلٌ عن قرينه ومُنفصلٌ عنـــه[(4)]. وهـــذا مـــا ذهـــب إليـــه همبلـــت (hamboldt) من أنَّ "اللغات بوجهٍ عامٍّ تؤثر التَّعبير عن الأشياء بوساطة ألفـــاظٍ أثرها في الآذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان." [(5)]

وبشرٌ من أنصار هذا الرَّأي ؛ إذ إنَّ دراسة أصوات اللغة مثلًا ، لا تؤخذ كما لو كانت خاليةً من معانيها أو مدلولاتها. فالمعاني مُستقرَّةٌ بهذه الأصوات وحالَّـــةٌ فيها ، وكُلُّ ما يفعله الدَّارسُ في هذه اللحظة إنَّما هو التَّركيزُ على هـــذا الجانـــب للكشف عن خواصِّه ومُمَيِّزاته. وهذه الخواصُّ والمُمَيِّزات هي جُزءٌ مـــن المعنـــى العامِّ للحدث اللغويِّ المَدروس. فهذه الأصوات - كما يرى بشرٌ - ليست مُجـــرَّدَ

---

(1)أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص 37 و 78 و 79.

(2)علم الدلالة والمعجم العربي ، عبدالقادر أبو شريفة ، وحسين لافي ، وداود غطاشة ، ط1 ، 1409هـــ ، 1989م ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ص32.

(3)أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص71.

(4)بشر ، فن الكلام ، مرجع ص 157.

(5)أنيس، دلالة الألفاظ ، ص 68.

ضوضاءٍ، وإنَّما هي أصواتٌ جاءت على أنساقٍ صوتيَّةٍ معيَّنةٍ، وصيغَتْ في أنماطٍ خاصَّةٍ. فهذا التأليف الصَّوتيُّ بهذه الطَّريقة له قيمةٌ في نظر أصحاب هذه اللغــة، فهو ذو معنىً وله دَلَالَةٌ خاصَّةٌ عندهم(1).

ويذهب أصحاب هذا المنهج إلى أنَّ القول بثنائيَّة الأحداث اللغويَّــةِ يقتــضي القول بثُنائيَّةِ الإنسان، أي بإمكانيَّة الفصل بين عنــصريه المــاديِّ والرَّوحــيِّ أو الجسميِّ والعقليِّ. ويرى بشرٌ أنَّ هذه القضيَّة إن صحَّت من الوجهــة النظريَّــةِ لا يجوز قبولها من الناحية العلميَّة، فالإنسان وحدةٌ مُتكاملةٌ لا انفصام بين عنــصريه أو جانبيه، ومن ثُمَّ لا يجوز الاهتمام بأحدهما على حساب الآخر(2).

نخلص ممَّا سبق إلى أنَّ بشرًا من أنصار الرَّأي الثاني، الرأي القائــل بــأنَّ الحدث اللغويَّ وحدةً مُتكاملةً لا انفصام بين جانبيها؛ إذ الاتِّجاه الأوَّل الذي يــسير نحو الفصل بين جانبي الأحداث اللغويَّة قد جاوز الحقيقة وجانب الصَّواب - كمــا يرى بشر - في حين أنَّ الرأي الثاني يأخذ بالوجهة الصَّحيحة ويطابق الواقع، فيما يتعلَّق بالكلام وصاحب هذا الكلام وهو الإنسان(3).

---

(1)بشر، فن الكلام، ص 157.

(2)المرجع نفسه، ص 157.

(3)المرجع نفسه، ص 158.

الخاتمة:

وفي النهاية، لا بدَّ من عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الـدِّ راسـة ، والتي تلخَّصت بالأمور الآتية:

غلبت النِّزعة الصوتية على جهود بشر اللغوية ، فلا يكاد يغادر قضيَّة لغويَّة إلا ويناقشها من منظور صوتي.

يرى بشر أنَّ الفوناتيك والفنولوجيا وجهان لعملة واحدة ، لا يمكن أن يستغنى بأحدهما عن الآخر ، إذ أجاز ضمهما معًا تحت مسمًّى واحد هو (علم الأصوات).

يرى بشر أنَّ مخارج الحروف أحد عشر مخرجًا ، مخالفًا في هذا القدماء وبعض المحدثين ، وموافقًا بعضهم الآخر.

قسم الأصوات إلى قسمين: أصوات صامتة ، وأصوات صائتة ، ويرى أنَّ السبب في اختيار المصطلح (الصائت) تمشِّيًا مع منطوق المصطلح المقابل له وهو (الصوامت) في صيغته.

قسم الصفات من حيث صفاتها النطقية إلى قسمين: قسم مجهور ، وأخر مهموس. معتمدً في التفريق بين الاثنين على حال الوترين - الصوتية من التذبذب أو عدمه – حال مرور الهواء في الجهاز النطقي. فتتذبذب مع الصوت المجهور ، ولا تتذبذب مع نظيره المهموس.

خالف بشر القدماء وبعض المحدثين في عدِّه صوت الهمزة صوتًا لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، ويرى أنه ينطق على مرحلتين متصلتين غير منفصلتين.

يعتمد بشر في تحديد صفات الأصوات على منطوقه الشخصي.

قسم الأصوات كذلك من حيث صفاتها النطقية إلى تقسيم آخر ، يعتمد على كيفية مرور الهواء أثناء النطق بالجهاز النطقي ، فقسَّمها من هذه الناحية إلى ثلاثة أقسام: أصوات انفجارية ، وأخرى احتكاكية ، مخالفًا في هذه التسمية القدماء الذين أطلقوا عليها اسمي الأصوات الشديدة و الأصوات الرخوة ، وعرَّف الإنفجاري بأنه الصوت الذي يندفع فيه الهواء عند النطق خلال الجهاز النطقي دون أن يعترضه عارض. أمَّا الصوت الاحتكاكي ، فهو الصوت الناتج عن ضيق مجرى

الهواء الخارج من الرئتين في موضع من مواضع النطق ، بحيث يحدث الهواء حال خروجه احتكاكًا مسموعًا. أما القسم الثالث فهو الصوت المركب (الانفجاري - الاحتكاكي) ، وهو الذي يجمع صفتي الاحتكاك والانفجار معًا في حال نطقه.

يرى بشر أنَّ صوت الجيم صوتٌ مركبٌ ، يتكون نطقه من جزأين ، جزء قريب من نطق الدَّال ، والثاني معطش كالجيم الشامية ، في حين عدها القدماء من الأصوات الشديدة.

أخرج بشر صوت الضاد من الأصوات الرخوة وضمه إلى الأصوات الشديدة وهذا يخالف رأي القدماء.

درس بشر الحركات العربية وأطلق عليها اسم الصوائت، لتناسق هذه الصيغة مع صيغة المصطلح المقابل له، وهو الأصوات الصامتة أو الصوامت.

خص بشر في دراسته للحركات حركات اللغة العربية الفصحى دون لهجاتها، وطبق عليها مقياس جونز، ثم قارن بين هذه الحركات وبين الحركات المعيارية العالمية، مبيِّنًا الفرق والتشابه بين القبيلين.

يخصُّ بشر في دراسته الصوتية اللغة العربية الفصحى كما ينطقها المتخصِّصون والقراء المجيدون في جمهورية مصر العربية.

درس بشر نظرية الفونيم وطبقها على أصوات اللغة العربية صوامتها وصوائتها، والحركات عنده من الفونيمات وذلك لأنَّ الحركات تختلف نطقًا من سياق إلى آخر، أكثر من غيرها من الأصوات.

درس بشر المقاطع الصوتية في اللغة العربية، وجعلها ستة مقاطع، فيوافق في رأيه هذا كلًّا من تمام حسان وأحمد مختار عمر.

تناول بشر الدَّرس الصرفي وأعاد النظر فيه، إذ موضوعات الصرف عنده هي تلك الأبواب التي تخدم العبارة والجملة، فليس من الصرف في شيء أيُّ تغيير لا يؤدي إلى خدمة الجملة والعبارة، ولا يؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية.

أعاد النظر في الصرف، فأخرج الكثير من الأبواب الصرفية التقليدية من الدرس الصرفي، وناقش أخرى نقاشًا مغايرً للنقاش التقليدي، فاعتمد في نقاشه على معطيات العلم الحديث.

عالج بشر بعض الأبواب الصرفية علاجًا صوتيًّا يقوم على الوصف والملاحظة، بعيدًا عن التكهنات والتفسيرات الافتراضية التعسفية.

يأخذ بشر بمبدأ تعدد الأنظمة عند مناقشته للقضايا اللغوية، المبدأ الذي ينظر إلى المسائل بحالتها الراهنة ، ويتناولها من جميع جوانبها، وهو مبدأ يقوم على المنهج الوصفي.

ولبشر رأي خاص في همزة الوصل ، انفرد به عن غيره من اللغويين ، فيرى أنه ليس هناك همزة وصل، وأنَّ ما سمَّوه همزة وصل ليس إلا تحريكًا أو صويتًا كما سمَّاه، جيء به للتَّوصل إلى النطق بالساكن.

قلَّ نتاج بشر النَّحوي، ولكنَّه ناقش بعض القضايا النحوية، فكان نقاشه لها نقاشًا صوتيًّا في معظمه.

يعد بشر الدَّرس المعجمي شظيَّة من شظايا علم المعنى، لذلك لم يفرد له دراسة خاصَّة ، بل تناوله تحت مظلة علم المعنى.

يفضل بشر تسمية علم المعنى بعلم (السيمانتيك)، وذلك لشهرة هذا المصطلح بين الأوساط العلمية.

تناول بشر علم الدَّلالة في درسه اللغوي، وركز جهوده جلها في هذا الجانب على اللغة وعلاقتها بالفرد والمجتمع.

نادى بشر بتشكيل نظرية لغوية عربية، تقوم على خلاصة جهود اللغويين (النحاة) وجهود البلاغيين، وأطلق عليها اسم (علم اللغة العربية) أو (علم اللغة العربي).

غلبت على بشر النِّزعة الاجتماعية في مناقشته للجانب الدَّلالي ، فهو لا يفصل اللغة عن المجتمع بأي شكل من الأشكال.

يرى بشر أنَّ الحدث اللغوي وحدة متكاملة لا انفصام بين جانبيها: اللفظي ، والمعنوي.

المراجع

الأزهري ، خالد بن عبدالله، (د. ت) ، **شرح التصريح على التوضيح**، دار إحياء الكتب العلمية.

استيتية، سمير شريف، (2005م)، **اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)**، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن.

الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى، (د. ت) **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، قدم له و وضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الكوفي (2003م)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

أنيس، إبراهيم، (1961م). **الأصوات اللغوية**، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة.

أنيس، إبراهيم ، (1993م)، **دلالة الالفاظ**، الطبعة التاسعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

أنيس، إبراهيم، (د. ت) ، **في اللهجات العربية**، الطبعة السادسة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

أولمان، ستيفن، (1997م)، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال بشر، الطبعة الثانية عشرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة.

أيوب، عبدالرحمن، (د. ت) ، **أصوات اللغة**، مكتبة الشباب ، القاهرة.

بالمر، (1995 م) **علم الدَّلالة إطار جديد**، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة، الاسكندرية.

البستي، أبو الفتح، (1989م) ، **الديوان** ، تحقيق الأستاذين: دَريَّة الخطيب و لطفي السقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق.

بشر، كمال، (د. ت) **التفكير اللغوي بين القديم والجديد** ، مكتبة الشباب.

بشر، كمال، (2009م) ، **حوارات في اللغة والثقافة الواقع والمــأمول** ، الطبعــة الأولى ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة.

بشر، كمال، (1995م) ، **خاطرات مؤتلفات في اللغــة والثقافــة** ، دار غريــب للطباعة والنشر والتوزيع.

بشر ، كمال ، (1986م) ، **دراسات في علم اللغة** ، **القسم الأول** ، الطبعة التاسعة ، دار المعاف ، مصر.

بشر، كمال ، (1969م)، **دراسات في علم اللغة، القسم الثاني**، دار المعــارف ، مصر.

بشر، كمال، **دراسات في علم المعنى (السيمانتيك)** ، مجلة الأزهر، الجــزء 11 ، 1962م، والجزء 12 ، 1962م.

بشر، كمال، (2000م)، **علم الأصوات** ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيــع ، القاهرة.

بشر، كمال، (د. ت) **علم اللغة العام (لأصوات العربية)**، مكتبة الشباب.

بشر ، كمال ، (1994م) ، **علم اللغة الاجتماعي (مدخل)** ، دار غريب للطباعــة والنشر والتوزيع ، القاهرة.

بشر ، كمال ، **العقاد في الدراسات اللغوية** ، مجلة الأزهر ، ج1 ، العــدد 36 ، 1384هـــ ، 1964م.

بشر ، كمال ، **السكون في اللغة العربية** ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القــاهرة ، الجزء 23 ، 1318هـــ ، 1968م.

بشر ، كمال ، **اللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ** ، مجلــة مجمــع اللغــة العربية ، القاهرة ، الجزء 62 ، رمضان 1408هـــ ، مايو 1988م.

بشر ، كمال ، (1999م) ، **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهــم** ، دار غريــب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة.

بشر ، كمال ، (2003م)، **فن الكلام**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

الجرجاني ، عبدالقاهر (1983م) ، **دلائل الاعجاز** ، تحقيق محمد رمضان و فايز الداية ، الطبعة الثانية ، دار قتيبة ، دمشق.

جرمان ، و لوبلون ، (1997م) ، **علم الدَّلالة** ، ترجمة نور الهدى لوشن، الطبعة الأولى ، جامعة قاريونوس ، بنغازي.

ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، (1999م) ، **الخصائص** ، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الرابعة ، المكتبة العلمية.

ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، (1985م) ، **سر صناعة الإعراب** ، تحقيق حسن هنداوي ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق.

ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، (1954م) ، **المنصف** ، شرح أبي الفتح عثمان لكتاب التصريف للمازني ، الطبعة الأولى ، إدارة إحياء التراث القديم.

حسان ، تمام ، (1982م) ، **الأصول (دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حسان ، تمام ، (1958م) ، **اللغة بين المعيارية والوصفية** ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب.

حسان ، تمام ، (2001م) ، **اللغة العر بية معناها ومبناها** ، دار الثقافة ، مصر.

حسان ، تمام ، **مصطلحات سيبويه في أصوات العربية** ، مجلة الأزهر ، الجزء 10 ، المجلد 32 ، 1380هـ ، 1961م.

حسان ، تمام ، (1979م) ، **مناهج البحث في اللغة** ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب.

الحمد ، غانم قدوري ، (2002م) ، **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، منشورات المجمع العلمي ، تكريت.

الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (د. ت) ، **العين** ، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ، إيران ، قم.

خليل ، حلمي ، (1996م) ، **مقدمة لدراسة اللغة** ، دار المعرفة الجامعية.

الخليل ، عبدالقادر ، (2002م) ، **التشكيل الصوتي في اللغة العربية بحوث ودراسات** ، الطبعة الأولى ، عمان.

الخليل ، عبدالقادر ، (1993م) ، **المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر** ، الطبعة الأولى ، المكتبة الوطنية.

الخضري ، محمد الخضري الشافعي ، (1995م) ، **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر.

الخولي ، محمد علي ، (1990م) ، **الأصوات اللغوية** ، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان.

دي سوسير ، فرديناند ، (1982م) ، **فصول في علم اللغة العام** ، ترجمة أحمد نعيم الكراعين ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر.

سابير ، إدوارد ، (1993م) ، **اللغة والخطاب الأدبي (مقالات لغوية في الأدب)** ، اختارها وترجمها سعيد الغانمي ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان.

السامرائي ، إبراهيم ،(1983م)، **التطور اللغوي التاريخي** ، الطبعة الثالثة ، دار الأندلس، بيروت ، لبنان.

السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ، (1981م) **مفتاح العلوم** ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الرسالة.

السعران ، محمود ، (1999م) ، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** ، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر.

سيبوية ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، (1991م) ، **الكتاب** ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان.

السيوطي ، جلال الدين ، (1958م) ، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، شرحه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، دار إحياء الكتب العربية.

السيوطي ، جلال الدين ، (1966م) ، **شرح شواهد المغني** ، تحقيق أحمد ظاهر كوجان، لجنة التراث العربي.

شاهين ، عبدالصبور ، (1980م) ، **في علم اللغة العام** ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

الشايب ، فوزي ، **تأملات في بعض ظواهر الحذف الـصرفي** ، حوليـات كليـة الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية العاشرة ، 1409هـ ، 1988م.

الشايب ، فوزي ، (1999م) ، **محاضرات في اللسانيات** ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن.

أبو شريفه ، عبدالقادر ، وحسين لافي وداود غطاشة ، (1989م) ، **علم الدلالـة والمعجم العربي** ، دار الفكر للنشر والتوزيع.

الصبان ، أبو العرفان محمد بن علي ، (1970م) ، **حاشية الصبان علـى شـرح الأشموني على ألفية ابن مالك** ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة.

الضامن ، حاتم صالح ، (د. ت) ، **علم اللغة** ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة.

عبابنة ، (2000م) ، **دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية** ، الطبعة الأولى، دار الشروق.

عبدالتواب ، رمضان ،(1983م) **التطور اللغوي مظـاهره وعللـه وقوانينـه** ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

عبدالتواب ، رمضان ، (1985م) ، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

عبدالتواب ، رمضان ،(1999م) ، **فصول في فقه العربية** ، الطبعـة الـسادسة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

عبدالجليل ، عبدالقادر ، (1997م) ، **التنوعات اللعوية** ، الطبعـة الأولـى ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان.

عمايرة ، خليل أحمد ، (1987م) ، **في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلـي** ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار.

عمر ، أحمد مختار ، (1997م) ، **دراسة الصوت اللغوي** ، عالم الكتب ، القاهرة.

عمر ، أحمد مختار ، (1998م) ، **علم الدلالة** ، الطبعة الخامسة ، عالم الكتـب ، القاهرة.

ابن عقيل، عبدالله بهاء الدين بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عقيل القريشي ، (1999م) **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، دار التراث ، القاهرة.

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، (1993م) ، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم** ، حققه وضبط نصوصه وقدَّم له عمر فاروق الطباع ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف، بيروت.

فندريس ، (1950م) ، **اللغة** ، ترجمة عبدالحميد الدواخلي و محمد القصاص ،(د. ن)، القاهرة.

فريحة ، أنيس ، (1981م) ، **نظريات في اللغة** ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

ماريوباي ، (1403هـ) ، **أسس علم اللغة** ، ترجمة أحمد مختار عمر ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة.

ماريوباي ، (1970م) ، **لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها** ، ترجمة صلاح العربي ، قسم النشر بالجامعة الأمريكية ، القاهرة.

مراد ، وليد محمد ، (1983م) ، **نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجاني** ، الطبعة الأولى ، دار الفكر.

المسدي ، عبدالسلام ، (1981م) ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ، الدار العربية للكتاب ، تونس.

مصلوح ، سعد ، (1980م)، **دراسة السمع والكلام** ، عالم الكتب ، القاهرة.

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ،(1992م) ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت.

مكي بن أبي طالب ، (1973م) ، **الرعاية في لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة**، دار الكتب العربية ، دمشق.

منقور ، عبدالجليل ، (2001م)، **علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي** ، دراسة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق.

نهر ، هادي ، (1988م) ، **علم اللغة الاجتماعي عند العرب** ، الطبعة الأولـــى ، الجامعة المستنصرية.

هدسون ، (1987م) ، **علم اللغة الاجتمـــاعي** ، ترجمة محمد عبـــدالغني عيـــاد ، الطبعة الأولى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد.

وافي ، علي عبدالواحد ، (د. ت) ، **علم اللغة** ، الطبعـــة التاســـعة ، دار نهـــضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة ، القاهرة.

ولفنسون ، (1921م) ، **تاريخ اللغات السامية** ، الطبعة الأولى ، مطبعة الاعتماد.

المعلومات الشخصية

الاسم: بدر سند مليح السميحيين

الكلية: الآداب

التخصص: اللغة العربية/ اللغة والنحو

السنة: 2012

هاتف رقم: 0779219595

البريد الإلكتروني: bsm_shm@yahoo.com